
سلسلة الكتاب النفسي التربوي (2)
تأليف: جورية طلعت فواز
تقديم واشراف: د. غسان يعقوب
صدمة الحرب
آثارها النفسية والتربوية
في الأطفال
PEACE
دار النهضة العربية

صدمة الحرب

آثارها النفسية والتربوية في الأطفال

سلسلة الكتاب النفسي التربوي

(2)

صدمة الحرب

آثارها النفسية والتربوية في الأطفال

(تجربة حرب تموز أنموذجاً)

إعداد

جورية فوّاز

تقديم وإشراف

د. غسان يعقوب

رقم الكتاب :12189

اسم الكتاب :صدمة الحرب ـ آثارها النفسية والتربوية في الأطفال

المؤلف :جورية طلعت فواز

الموضوع :علم نفس تربوي

رقم الطبعة :الأولى

سنة الطبع :2011م. 1432هـ

القياس :17 × 24

عدد الصفحات :275

منشورات : دار النهضة العربية

بيروت ـ لبنان

بيروت ـ شارع الجامعة العربية ـ مقابل كلية طب الاسنان

بناية اسكندراني رقم 3 ـ الطابق الأرضي والاول

تلفون : 854161 ـ 1 ـ 961 +

فاكس : 833270 ـ 1 ـ 961 +

ص ب : 0749 ـ 11 رياض الصلح

بيروت 072060 11 ـ لبنان

بريد الكتروني: e-mail: darnahda@gmail.com

ISBN 978-614-402-316-7

الإهداء

إلى أغلى ما في الوجود

أمي وأبي

إلى أوفى الناس

إخوتي رفعت وشادي

إلى أحبّ الناس

أختي فرح

شكر وتقدير

لا يسعني في البدء إلا أن أشكر الأستاذ المشرف الدكتور غسان يعقوب الذي كان لإشرافه وتوجيهاته فضل كبير في إنجاز هذه الدّراسة وفي ضبط الموضوع وشدّ أواصره وإخراجه.

كما أتقدّم بالشكر والإمتنان الى الدكتور أنطوان شامي الذي أفادني بملاحظاته القيّمة والبنّاءة، وبتوجيهاته في تحليل الجداول إحصائيّاً.

كما أتقدّم بالشكر والإمتنان إلى كل من ساعدني لإنجاز هذه الدّراسة.

فهرست المحتويات

تقديم

بقلم د. غسان يعقوب

إلى اي مدى تركت حرب تموز 2006 آثاراً سلبية في الطفل اللبناني؟

تحاول الدراسة الحالية أن تجيب عن هذا السؤال من خلال استعمال الرسم الحر والتعبير الكتابي كتقنيات بحثية وتشخيصيّة. وتضم العيّنة أطفالاً من بيروت بشقيها الشرقي والغربي وأطفالاً من ضاحيتها الجنوبية وذلك من باب المقارنة.

ـ الضاحية الجنوبية وهي منطقة النار أو العين العاصفة.

ـ بيروت الغربية وهي الأقل خطراً من الأولى.

ـ بيروت الشرقية وهي المنطقة حيث يكون الخطر فيها قليلاً أو محدوداً للغاية.

إن الدراسات التي تناولت آثار صدمة الحروب في الأطفال قليلة نسبياً إذا ما قيست بالأبحاث التي جرت على الراشدين. ويبدو ان هناك نقصاً في دراسة صدمة الحرب عند الأطفال عن طريق الرسم الحر الذي يشكل فرصة رائعة أمام الطفل كي يعبّر تلقائياً عن معاناته ومخاوفه ومشاعره.

وبما أن لبنان هو بلد النزاعات السياسية والحروب بامتياز، فليس من الممكن دائماً القيام بدراسات ميدانية حول آثار الحروب النفسية والتربوية في الأطفال، لما تتطلبه هذه الدراسات من جهود وأموال وإعداد لوجستي. لذا، وجدنا أن الرسم الحر قد يكون أداة تشخيصية وعلاجية مفيدة جداً، ويمكن للمعلمين أن يلجأوا إلى الرسم الحر في المدارس لمساعدة الأطفال على ترميم جراحهم النفسية وتنمية مواهبهم الفنية. ويمكننا هنا أن

ندرس تطور الحالة النفسية والذهنية عند الأطفال من خلال رسوماتهم وكيف تنعكس عليهم الأحداث الخارجية.

إن الطفل يتأثر بالأحداث السياسية وأعمال العنف والحروب أكثر مما نتصور. لذا يجب أن ننظّم تفكيرنا حول صدمة الطفولة، وإلا غامرنا في أن لا نفهم مطلقاً ظروفها. يجب أن لا ندع أنفسنا ننسى صدمة الطفولة، لأن حجم المشكلة، فعلاً كبير.

لقد قمنا منذ سنوات (1992) بدراسة أطفال الحرب في لبنان، ولكننا لم نتناول في ذلك الوقت أطفال الجنوب والضاحية الجنوبية لبيروت. وأمام هذا النقص في الدراسات الميدانية، رأينا من الضروري والمهم أن ندرس حرب تموز 2006 ونحدّد انعكاساتها على الأطفال، علّنا نسد ثغرة علمية في هذا المجال. إن الدراسات النفسية نادرة حول آثار الحروب في أطفال الجنوب والضاحية على حد علمنا.

نحن لا نستطيع أن نوقف الحروب والنزاعات السياسية والاعتداءات الاسرائيلية، ولكننا نستطيع أن نحصّن أطفالنا ضد الأزمات وندرّبهم على كيفية التعامل مع الأحداث الصادمة. وهذه المسألة تستدعي منّا أولاً إجراء البحوث المختصة لفهم الواقع ثم وضع البرامج التأهيلية والعلاجية لتطبيقها في المدارس وفي مختلف مراحل التعليم العام. إذ لا يجوز إطلاقاً أن نغمض أعيننا عن هذه المسألة الهامة ونقول بأن أطفالنا سوف يكبرون وينسون الصدمة ولن يتأثروا بها. إن نكران الواقع المؤلم عن طريق رفض الاعتراف بالنزف الجاري يعني أننا لا نريد أن نضمّد جراحنا. هناك مسؤولية كبرى تقع على عاتق الكبار، بمن فيهم رجال الدولة والأحزاب والأهل والمعلمون والمختصون بعلم النفس، وهي العمل على تدعيم ركائز الصحة النفسية لدى الأطفال والأجيال الطالعة.

إن دراسة موضوع الحروب وصدمات الطفولة بالشكل الذي نطرحه هنا تعتبر من الدراسات الرائدة في لبنان والعالم العربي على حد علمنا. من هنا، تتجلى القيمة العلمية والتربوية والنفسية لهذا البحث المتواضع.

المقدّمة

إنّ المشكلة التي نريد معالجتها في هذا البحث هي : « أثر حرب تموز 2006 في الأطفال اللّبنانيين من خلال الرّسم الحر والتّعبير الكتابي، وسوف تأخذ الضّاحية الجنوبيّة قسطاً وفيراً من اهتمامنا باعتبار أنّ هذه المنطقة قد تعرّضت لقصف جوي عنيف من إسرائيل، وقد أدّى هذا القصف إلى دمار كبير وتهجير واسع.

بصورةٍ عامّة، يتأثّر الطفل بالحرب وأعمال العنف والقتل أكثر من الرّاشد لأنّه كائن في طور النمو وعاجز بمفرده عن مواجهة ضغوط الحياة والعالم الخارجي المهدّد. من المهم إذاً أن ندرس آثار حرب تموز في الأطفال، وكيف يعبّرون عن خبراتهم الصّادمة من خلال الرّسم والتّعبير الكتابي. والشيء الذي يجب أن ندركه، نحن الكبار، هو أنّ الحرب كارثة فظيعة تؤدّي إلى صدمة نفسيّة عند الصّغار والكبار. فالحرب تترافق بكثير من الويلات والضحايا والآلام ......

لذا تأتي هذه الدراسة لتلقي الضوء على الآثار النفسيّة والتربويّة لحرب تموز في الأطفال اللّبنانيين وبالأخص أطفال الضّاحية الجنوبيّة.

إنّ معاناة الأطفال في الحرب تختلف من منطقة الى أخرى، وهم يتأثّرون بالحروب أكثر ممّا نعتقد نحن الكبار. قد تظهر هذه الآثار لاحقاً في سلوكياتهم ومردودهم الدّراسي. وهذا قد يتجلّى من خلال عملنا الميداني على الأطفال الذين سوف ندرسهم من خلال تعبيراتهم العفويّة عن معاناتهم وخبراتهم الصّادقة بواسطة الرّسم الحر والتّعبير الكتابي لدى تلاميذ الصّف الخامس في بعض مدارس بيروت، ومنها بصورة خاصّة مدارس الضّاحية الجنوبيّة.

نخلص إلى القول بأنّ هناك نقصاً في دراسة آثار الحرب في أطفال الضّاحية بصورة

خاصة وأطفال الجنوب بصورة عامّة.....

يبدو واضحاً أنّ الدّراسات الميدانيّة في مجال الحروب وآثارها النّفسيّة والتّربويّة صعبة ومعقّدة لأنّها تستدعي الخبرة الواسعة والإعداد اللّوجستي الواسع. لذا، وجدنا من الأسهل علينا ان نستعمل الرّسم الحر بالإضافة إلى التّعبير الكتابي كأدوات للدّراسة. وتجدر الإشارة ايضاً إلى أنّ الدّراسات السّابقة التي تناولت آثار الحروب في الأطفال من خلال الرّسم قليلة على حدّ علمنا، إذ لم نجد إلا القليل منها. من هنا نعتقد أنّنا قد نتوصّل من خلال دراستنا إلى سد هذا النّقص ولو بالحد الأدنى.

1 - إشكاليّة الدّراسة

ما شاهدناه أثناء حرب تمّوز 2006 هو تلك الصُّور المؤلمة والمرعبة لمشاهد الدمار والقتلى والجرحى والتهجير والنزوح، والشيء الذي قد يبقى في الذّاكرة هو تلك الصورة المؤلمة التي تتركها الحرب وأعمال العنف في ذاكرة الأطفال والتي تظهر من خلال أعراض متعدّدة كالشرود وقلّة التّركيز والتبوّل اللاإرادي والقلق والخوف والكوابيس اللّيليّة.... وهذه الأعراض قد تستمر لفترة قصيرة أو طويلة. ويطلق عليها علماء النّفس صدمة الحرب أو اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة (PTSD).

إنّ الطّفل اللّبناني يعيش إجمالاً في مجتمع مضطرب لا يوفّر له الطمأنينة اللازمة لتحقيق متطلّبات النّمو بسبب الحروب والنّزاعات السّياسيّة التي طال أمدها. فما حصل على الأرض أثناء حرب تموز 2006 أصاب معظم النّاس من كل الأعمار وبخاصةٍ الاطفال، مثيراً في داخلهم القلق والخوف.

من هنا تنبع مشكلة هذا البحث، التي تتحدّد في التساؤلات الآتية:

- الى أي مدى تركت حرب تموز 2006 انعكاسات سلبيّة في نفوس أطفال الضاحية، هذه المنطقة التي تعرّضت للقصف الجوي الإسرائيلي العنيف؟

- وكيف تظهر هذه الآثار في رسومات الأطفال وتعبيراتهم الكتابية؟

لذا تأتي هذه الدراسة لتكشف عمّا خلّفته الحرب (حرب تموز 2006) من آثارٍ سلبيّة في الأطفال، في الصّف الخامس الأساسي في مدارس الضّاحية الجنوبيّة بالمقارنة مع أطفال بيروت بشقّيها الشّرقي والغربي، مع إتاحة الفرصة لهم للتّعبير عن حالتهم النّفسية ومشاعرهم تجاه الحرب والتي يمكن أن تبيّن لنا حجم ما يعانيه هؤلاء الأطفال من انفعالات ومخاوف قد ترتدّ على سلوكهم ومردودهم الدّراسي.

أشارت دراسة ميدانيّة نشرت في لبنان عام 2008 (عدنان الأمين، وغيره...)[1] وتناولت الأحوال النفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد 9 أشهر من انتهاء حرب تموز 2006. ومن نتائج هذه الدّراسة أنّ هناك 27.7 % تقريباً من التلاميذ الملتحقين بالصفوف من الأول إلى الخامس الابتدائي يعانون من صدمة الحرب.

وإذا رجعنا الى بعض الدراسات السّابقة التي جرت في لبنان حول أطفال الحرب (يعقوب، دمعة 1991)[2] تبيّن أنّ هناك 66 % من الأطفال يشعرون بأنّ العالم الخارجي خطير ومهدّد، كما أن صدمة القلق بارزة أكثر عند الأطفال المهجّرين ثم يأتي أطفال بيروت، بينما لم تظهر أي آثار للقلق بسبب الحرب في منطقة جبيل وهي منطقة آمنة أدخلها الباحثان في الدراسة من باب المقارنة.

وفي دراسة أخرى قامت بها الطالبة ريماز حرز[3] حيث أعدّت دراسة الماجستير على 50 طفلاً من أطفال مجزرة قانا عام 1996، وقد جرت الدراسة بعد مرور 4 سنوات من حدوث المجزرة، وتناولت العينة 50 طفلاً عاشوا تجربة الحرب ورَأَوا بأعينهم القتلى والجرحى، وقد تبيّن أن هناك 88 % من الأطفال مازالوا يعانون (حتى تاريخ انتهاء الدراسة عام 2004) من آثار المجزرة وكانت درجة الصدمة لديهم شديدة مقابل 4 %

---

1 - عدنان الأمين وآخرون، **الأحوال النّفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد حرب تموز 2006**، ص 262.

2 - غسان يعقوب، ليلى دمعة، **أطفال الحرب في لبنان**، ص 96 - 97.

3 - ريماز حرز، **الآثار النفسيّة والتربوية للعدوان الاسرائيلي على أطفال قانا**، ص80

كانت شديدة جداً، وهذه الآثار تظهر من خلال اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD). بالاضافة الى اضطرابات سوماتيّة أخرى كأوجاع الرأس والقلق واضطراب النوم والتأخر الدراسي....

هذا طبعاً بالنسبة لتأثّر الأطفال بصدمة الحرب والتي أثبتتها معظم الدّراسات السّابقة، غير أنّ الآثار قد تقصر أو تطول، وهذا يتوقّف على أسباب عديدة سوف نناقشها في القسم الميداني من هذه الدراسة.

غير أن المشكلة التي تواجهنا في دراستنا هذه، هي أنّ الدّراسات التي تناولت العلاقة بين آثار الحرب عند الأطفال وانعكاساتها في الرّسوم قليلة جدّاً ليس فقط على الصّعيد المحلي بل على الصّعيد العربي والعالمي. ويشير [1] (R.Jolley, 2001) إلى النّقص الواضح في هذا المجال.

ومن الدّراسات المحليّة التي تناولت موضوع الحرب والرّسم الحر عند الأطفال، هناك دراسة أجرتها الطالبة ليليان شلالا[2] في إعدادها لرسالة الماجستير عام 2004، حيث تناولت موضوع قلق الحرب في رسوم الأطفال اللّبنانيين وخاصة أطفال الجنوب، وقد تبيّن أنّه من بين 46 طفلاً من أطفال العيّنة في قانا، هناك 92 رسمة تناولت مواضيع الحرب بينما رسم أطفال البترون الطبيعة.

بناءً على ما تقدّم، وكما رأينا، فإنّ الحاجة تبدو ماسّة لإجراء المزيد من البحوث في المجال الذي ندرسه. لذا تأتي هذه الدّراسة لتسدّ ثغرة علميّة في دراسة الأطفال من خلال الرّسم الحر والتّعبير الكتابي.

ونعتقد أنّ استعمال التقنيات المذكورة قد يكون مفيداً جدّاً لمتابعة دراسة الأطفال ليس فقط من جانب الباحثين، بل من جانب المعلّمين أيضاً الذين يتعاملون يوميّاً مع الأطفال.

وهكذا يمكن اجراء تقويم مستمر لمسارات النّمو النّفسي الانفعالي عند الاطفال بتقنيات

1 - R.Jolley, creation children experience of war, p.107-110.

2 - ليليان شلالا، **قلق الحرب في رسوم الأطفال اللبنانيين**، ص56 .

بسيطة وغير مكلفة.

الى أيّ حدّ سوف تستمر الآثار السلبيّة لحرب تموز في الأطفال؟

هذا السؤال يحتاج الى متابعة الأبحاث على الأطفال أنفسهم الذين خضعوا للدراسة. إذ يعتقد البعض أنّ الطفل ينسى آثار صدمة الحرب مع الوقت والبعض الآخر يعتقد العكس. والواقع أنّ هذا الخلاف في الآراء له مبرّراته العلميّة .

إنّ دراستنا التي أجريناها بعد تسعة أشهر من توقّف الحرب (تموز 2006)، قد تُظهر الى أي مدى ما تزال الآثار قائمة لدى الأطفال.

إنّ استعادة التوازن الإنفعالي عند الطّفل يتوقّف من جهة على طبيعة الصّدمة ودرجة قوّتها، ومن جهة أخرى على الدعم الاجتماعي والعاطفي الذي يلقاه الطّفل في بيئته العائليّة والمدرسيّة. لذا يبدو أنّ قدرة الطّفل على التّعامل مع الأحداث تتوقّف على النّضج الإنفعالي عند الأهل وقدرتهم على التّكيّف مع الظروف الصّعبة[1].

فأين نحن من هذه الأمور عند أطفالنا في لبنان؟؟

2 - بعض التّساؤلات

إنّ الحرب، وبشكلٍ عام، لها تأثير سيّء في سلوك الأطفال الذين يتعرّضون لها، وهي قد تؤدّي إلى حالة من الخوف والقلق لديهم. لذلك يمكننا أن نطرح هنا التساؤلات الآتية:

- كيف انعكست حرب تموز2006 على أطفال الصّف الخامس الأساسي؟
- ما هي الأعراض أو الإضطرابات النّاتجة عن تعرّض هؤلاء الأطفال للحرب؟
- كيف تمثّلت تجربة الحرب في رسوم الأطفال وتعبيراتهم الكتابيّة؟
- هل أدت الحرب الى تدنّي في التحصيل عند الأطفال؟

---

1 - غسّان يعقوب، **سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النفسي**، ص 157.

- هل هناك فروقات، في هذه الآثار، بين الذكور والإناث ؟

- هل هناك فروقات دالة بين الأطفال الذين تعرضوا للحرب مباشرةً والأطفال الذين لم يتعرّضوا لها ...).

بناءً على ذلك ترمي هذه الدّراسة إلى تحديد الآثار التي تركتها حرب تموز في الأطفال اللّبنانيين، من خلال الرّسم والتّعبير الكتابي.

3 - الفرضيّات

أ- الفرضيّة الرئيسيّة

إنّ حرب تموز 2006 أدّت إلى أضرار نفسيّة وتربويّة لدى الأطفال الذين تعرّضوا لمخاطرها، وبخاصّةٍ في ضاحية بيروت الجنوبيّة؛ وقد تظهر هذه الآثار في رسوماتهم وتعابيرهم الكتابية.

ب- الفرضيات الفرعيّة

- هناك انعكاسات مختلفة لتأثير حرب تموز 2006 في رسومات الأطفال تعزى إلى درجة تعرّض منطقة السكن لنيران القصف .

- هناك فروقات دالّة إحصائيّاً بين الأطفال لمفهوم الحرب والسّلم من خلال تعبيراتهم الكتابيّة تعزى الى درجة تعرّضهم لصدمة الحرب.

- هناك علاقة بين تراجع الأطفال في تحصيلهم الدراسي ودرجة تعرّضهم لصدمة الحرب.

- إنّ الأطفال الذين تعرّضوا لمخاطر الحرب وخسروا أحد أفراد العائلة أو أحد الرفاق يعانون من قلق الصدمة بدرجة أقوى من أولئك الذين لم يعانوا الحرب بشكل مباشر.

4 - أهميّة الدّراسة

تكمن أهميّة هذه الدّراسة في الكشف عن أثر حرب تموز في الأطفال بهدف فَهم معاناتهم. كما تكمن أهميّتها في أنّها من الدّراسات الميدانيّة القليلة (على حدّ علمنا) التي تناولت حرب تموز 2006 ومدى تأثيرها في الأطفال. ونعتقد، وبحسب ما اطلعنا عليه من كتب ودراسات ومراجع... أنّ الأبحاث قليلة جداً حول أطفال الحرب في لبنان وبالأخص تلك التي تناولت دراسة العلاقة بين الحرب والرّسوم والتّعبير الكتابي.

نأمل أن تكون هذه الدّراسة مفيدة من النّاحية التربويّة(تحديد حجم آثار الحرب في الأطفال) ومدى فائدة الرّسم والتّعبير الكتابي في دراسة هذه الآثار.

كما نرجو أن تُساعدنا هذه الدّراسة على تحديد آثار الحرب في تحصيل الأطفال وحياتهم اليوميّة.

إنّ فائدة هذا البحث قد يكون لها مردود علمي يسمح لنا بفَهم أفضل لآثار الحروب في الأطفال من خلال تقنيات بسيطة ومهمّة وغير مكلفة مثل الرّسم والتّعبير الكتابي.

5 - حدود الدّراسة

تقتصر هذه الدّراسة على تلاميذ الصّف الخامس الأساسي الذين يصل متوسط أعمارهم الى تسع سنوات، إذ وقع اختيارنا على هذه المرحلة لأنّه باستطاعة هؤلاء التلاميذ التّعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بشكل عفوي وصادق عن طريق الكتابة والرّسم. وهذا ما يساعدنا في معرفة ردّة فعلهم ومدى تأثّرهم بالحرب وتشخيص حالاتهم للوصول إلى فَهم أفضل لآثار الحروب فيهم.

أمّا بالنّسبة لاختيارنا الضّاحية الجنوبيّة، فإنّ الأمر يعود لتعرّض هذه المنطقة للقصف الجوّي الإسرائيلي العنيف، الذي استمرّ مدّة 33 يوماً، وقد قمنا بإجراء العمل الميداني في شهري نيسان وأيّار من عام 2007، أي بعد مرور ما يُقارب

التسعة أشهر على حرب تموز 2006.

بالإضافة إلى منطقة الضّاحية، حاولنا، ومن باب المقارنة، أن ندرس أيضاً منطقة المزرعة والطريق الجديدة والأشرفيّة وبدارو وفرن الشّباك ورأس النبع (أي بيروت بشقيّها الشرقي والغربي).

6 - المنهج المعتمد

لدراسة آثار حرب تموز 2006 في الأطفال، اعتمدنا المنهج الوصفي الاستقصائي* ودراسة بعض الحالات**. فنحن نرمي الى دراسة آثار حرب تموز في الأطفال وكيف تظهر هذه الآثار في رسوماتهم الحرّة وتعبيراتهم الكتابية.

لقد طلبنا منهم ان يقولوا لنا ماذا تعني لهم الحرب؟ وماذا يعني لهم السّلام؟

أ- عيّنة الدّراسة

تتألّف عيّنة الدّراسة من عددٍ من تلاميذ الصّف الخامس الأساسي في بعض مدارس ضاحية بيروت الجنوبيّة وبيروت بشقيّها الشّرقي والغربي، وقد أخذنا بالاعتبار المدارس الرّسميّة والخاصة، التي تمّ اختيارها عشوائيّاً، وقد وصل عدد التلاميذ إلى 269 طفلاً (111 في بعض مدارس ضاحية بيروت الجنوبية و 158 في بيروت في شقيها الشّرقي والغربي).

ب- أدوات البحث

إنّ التقنيات التي سنعتمدها لجمع المعلومات تضم المقابلة (مقابلة الأطفال في منطقة

---

* يقوم المنهج الوصفي على استعمال الاستمارات وجمع المعلومات اللازمة حول أفراد العيّنة من مصادر متعدّدة (من المعلّمين، والأطفال أنفسهم، والإدارة...) .

** دراسة الحالات الفرديّة لا تحتاج إلى كثرة الجداول الإحصائيّة القائمة على التعميم، ومن العلماء من يصفها بالمنهج التّفهّمي

الضّاحيـة وسـواها)، الملاحظـة، اختبـار التّعبـير الكتـابي ومفهـوم الحـرب والسّـلام والرّسـم الحـر. وسـوف نتنـاول هـذه الأدوات بالتّفصيـل في الفصـل الأوّل مـن البـاب الميـداني.

7 - تحديد مصطلحات الدّراسة

وجدنا من المفيد هنا ان نقوم بتعريف بعض المصطلحات التي سوف تُستعمل في هذه الدّراسة:

أثر حرب تموز 2006: المقصود بمصطلح أثر، هو المعاناة التي تركتها الحرب لدى الأطفال بما فيها الخوف والقلق والشرود، وكيف ظهرت هذه المعاناة في رسوم الأطفال وتعبيراتهم الكتابيّة.

أما المقصود بمصطلح الحرب، فهو، تحديداً، الكارثة التي يتعرّض لها الكبار والصّغار والتي ترتبط بقلق الموت والألم والجراح والإعاقة....

لقد تمّ اختيار الصّف الخامس الأساسي لتحديد عيّنة الدّراسة، ذلك لأنّ تلاميذ هذه المرحلة تتراوح أعمارهم ما بين 9 - 11 سنة، وهي تشكّل مرحلة الطفولة المتأخّرة أي التي تسبق مرحلة البلوغ، ويمكن اعتبارها مرحلة انتقاليّة بين الطّفولة والمراهقة، وهي مرحلة مهمّة على الصّعيد الدّراسي والاجتماعي.

وفي هذه المرحلة يكتسب الطفل المعايير والقيم الإجتماعيّة والأخلاقيّة، وتظهر لديه الرّغبة في الاعتماد على النّفس وتحمّل المسؤوليّة. لذا، فهذه المرحلة مناسبة لعمليّة التنشئة الاجتماعية والعمل الدّراسي.

الرّسم: يعتبر الرّسم من أهم الوسائل التّشخيصيّة والتّفريغيّة التي تُساعدنا على تحديد معاناة الطّفل وفَهم ما لديه من مشاعر مؤلمة. وتكمن قيمة الرّسم الحرّ في تعبير الطفل العفوي عن حالته النّفسيّة والاجتماعيّة. من هنا، يرتدي الرّسم أهميّة تربويّة لا يمكن انكارها وبالأخص في المرحلة الإبتدائيّة.

التّعبـير الكتـابي: وهـو مـا يُعـبرّ بـه التّلميـذ كتابـةً عـمّا يجـول في فكـره مـن صُـور ومشـاعر

ومخاوف وأفكار، وما يتعرّض له من مواقف وحوادث مختلفة ....، وهو مُكمّل لتقنيّة الرّسم الحر لأنّ الطفل يعبّر عفويّاً من خلال النّص كما في الرّسم عن معاناته ومشاعره مثل قلق الصدمة وعلاقته بالحرب.

مدارس ضاحية بيروت الجنوبيّة: لقد اخترنا منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة لاعتبارات عدّة، أهمّها أنها أكثر المناطق التي كانت عرضة للقصف الاسرائيلي وقد تهجّر معظم سكّانها وتركوا منازلهم، إضافةً إلى تعرّض منطقة الشّياح لقصف عنيف في اليومين الأخيرين بشكل فجائي، ممّا أودى بحياة البعض من سُكّانها، فمنهم من دُمّرت منازلهم ومنهم من بقي تحت ركام المنازل، ومنهم من فقد أحد أفراد أسرته....، هذا ما جعلنا نُقدم على دراسة الآثار السّلبيّة التي تركها العدوان الإسرائيلي في نفوس الأطفال.

8 ـ أقسام الدّراسة

تضم دراستنا مقدّمة ومقاربتين (مقاربة نظريّة ومقاربة ميدانيّة) وخاتمة. تقوم المقاربة النظريّة على فصلين، الأول يتناول قلق الصّدمة أو اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة وآثار الحرب في الأطفال. وفي الفصل الثاني نتناول الرّسم الحر للكشف عمّا يجري في داخل الأطفال من مشاعر وإنفعالات بالإضافة إلى لمحة بسيطة عن التّعبير الكتابي كتقنية تشخيصيّة مساعدة.

لقد حاولنا في هذا التقسيم اتباع التّدرّج المنهجي في معالجة الموضوع، ويتضمّن الباب الميداني فصلين، الأوّل يتناول الكشف عن العوامل المؤثّرة في الأطفال وردّة فعلهم، أكانت سلبيّة أو إيجابيّة، وتتطلّب دراسة هذه الآثار بحثاً علميّاً يحدّد المشاكل الناجمة عن الحرب وانعكاساتها النفسيّة والتّربويّة. وهناك الفصل الثاني الميداني المخصّص لمناقشة النتائج وتفسيرها.

9 - أهم المصادر والمراجع

اعتمدّنا في هذه الدّراسة على بعض المصادر والمراجع التي سنذكر بعضاً منها لأنّها كانت أساسيّة بالنسبة لدراستنا، ومنها:

- أطفال الحرب في لبنان، تأليف غسّان يعقوب وليلى دمعة، هذا الكتاب هو كناية عن دراسة ميدانيّة تناولت عدداً من الأطفال في لبنان ، وقد اعتمد الباحثان على المنهج الإكلينيكي والاستقصائي بما فيه دراسة الحالات، وفيه الكثير من الاحصاءات والمعلومات. تناولت هذه الدراسة 89 طفلاً من مناطق مختلفة (بيروت الكبرى، الجبل، جبيل) تبيّن أنّ هناك 66 % من الأطفال يشعرون بأنّ العالم الخارجي خطير ومهدّد، كما أن صدمة القلق بارزة أكثر عند الأطفال المهجّرين ثم يأتي أطفال بيروت، بينما لم تظهرأي آثار للقلق بسبب الحرب في منطقة جبيل. استفدنا من الفصل الأوّل الذي يتحدّث عن التّدامج الإجتماعي عند الطفل في زمن الحرب، كما أفادتنا هذه الدراسة في الجانب الميداني أي في طريقة التحليل واستخراج النتائج.

- سيكولوجيا الحروب والكوارث، تأليف غسّان يعقوب، وهو عبارة عن دراسة علميّة نظريّة مقرونة بعدد من دراسة الحالات وتتناول تأثير الحروب والكوارث في الكبار والأطفال وفيه تفصيل لاضطراب ما بعد الصّدمة ومراحله ثمّ عمليات التّعذيب وغسل الدّماغ في عشرة فصول، ومنها ثلاثة تتحدّث عن تأثير الحروب في الأطفال. وقد أفادناهذا الكتاب كثيراً.

- أطفال بلا طفولة، إعداد شارلوت ستانفورت (مترجم)، يتضمّن هذا الكتاب في فصوله تأثير الإحتلال والعنف الإسرائيلي في زمن الانتفاضة الأولى والثانية في أطفال فلسطين، وقد اعتمدت الباحثة على تحليل رسومات الأطفال من خلال مقارنتها مع رسوم أطفال هنغاريين وذلك من أجل تحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف في

مواقف وأفكار الأطفال حيث أظهرت نتائج هذه الدراسة أنّ رسومات الأطفال الفلسطينيين تضمّنت تفاصيل أكثر عن السلاح وعن الآلة الحربية بالمقارنة مع رسومات نظرائهم الهنغاريين. ضمّ هذا الكتاب خمسة فصول حيث استفدنا من الفصل الأوّل الذي يتحدّث عن التأثير النّفسي للإنتفاضة في الأطفال الفلسطينيين، اضافةً إلى الفصل الأخير الذي يهتم بتقنيّة الرّسم كأداة تشخيص وتعبير.

- الأحوال النّفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد حرب تموز 2006، (عدنان الأمين، وغيره..، 2008) تناولت هذه الدراسة الأحوال النفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد 9 أشهر من انتهاء حرب تموز 2006، تمّ استعمال عدّة أدوات لدراسة آثار حرب تموز في الأحوال النّفسيّة للأطفال والشباب في المراحل التّعليميّة المختلفة، وقسّمت فصول الدّراسة الى ستّة حيث يدرس كلّ منها مرحلة تعليمية معيّنة. وقد استفدنا من الفصل الخامس الذي شمل عيّنة من التّلاميذ الملتحقين بالصّفوف الابتدائيّة من الأول إلى الخامس. وقد تبيّن أنّ هناك 27.7 % تقريباً من الأطفال يعانون من صدمة الحرب ومن نقص التّحكّم بسلوكهم ومن عجز تعبيري عن غضبهم بطريقة مضبوطة، وهم يتصرّفون بشكل غير مسؤول.

إنّ اعتمادنا على هذه المراجع، قد وضَّحَ لنا صورة الموضوع الذي نعالجه، أكان ذلك من النّاحية النّظريّة أو الميدانيّة.

الباب الأوّل:

المقاربة النّظرية

تمهيد الباب الأوّل

إنّ للحرب آثاراً مدمّرة في الأطفال. وهذه الآثار تنعكس في سلوكهم اليومي وأوضاعهم النّفسيّة وتحصيلهم الدّراسي.

وإذا كان لا يمكن النّظر إلى الحرب إلا من زاوية الخسائر البشريّة والماديّة، فإنّنا سنحصر بحثنا في هذا الباب بدراسة الأطفال الذين عانوا حرب تموز 2006، وهم الفئة الأضعف بيننا، أكان ذلك على الصّعيد النّفسي والتّربوي (التّحصيل الدّراسي)، لأننا نرى أن هذه الدّراسة قد تساعدنا من خلال الرّسم الحر والتّعبير الكتابي على فَهم معاناة أطفالنا.

إنّ التّقنيات المعتمدة تمكّن الطّفل من التّعبير العفوي عن انفعالاته وخبراته الصّادمة ومخاوفه وكيف يفهم معنى الحرب والسّلم وما هي آماله المتوقّعة.

لقد جاءت هذه الدّراسة لتطرح مشكلة الحرب وتبيّن لنا ما إذا كان هؤلاء الأطفال، الذين عاشوا حرب تموز 2006 قد تأثّروا بها أم لا، وإلى أي مدى؟

وللتّحقق من فرضيات البحث قسّمنا هذا الباب إلى فصلين، نتناول في الفصل الأوّل صدمة الحرب وآثارها النّفسيّة والتّربويّة في الأطفال بعد أن نقوم بتعريف اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة، وفي الفصل الثاني نحدّد وظيفة الرّسم الحر والتّعبير الكتابي وعلاقة كلٍّ منهما بصدمة الحرب.

وبرأينا أنّ هذا التّدرّج في معالجة الموضوع سيتيح لنا لاحقاً إثبات ما إذا كان للحرب آثارٌ نفسيّة وتربويّة في الأطفال تتجلّى من خلال سلوكياتهم وتحصيلهم الدّراسي.

الفصل الأوّل صدمة الحرب وآثارها في الأطفال

تمهيد

تمثّل الحرب أفظع كارثة إنسانيّة، ذلك لأنّها تقوض النّظم القائمة وتخلق حالة من التّوتر الشامل، علاوة عن الخسائر البشريّة والماديّة وقلق الموت والإعاقة. لقد كان لحرب تموز 2006 آثار سلبيّة في أطفال المناطق التي تعرّضت للقصف الإسرائيلي. وأهم اضطراب يُصاب به الكبار والصّغار بسبب الحرب هو اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة.

فما المقصود بهذا الاضّطراب؟ وما هي أعراضه بصورة عامّةً وعند الأطفال بصورة خاصّةً؟ وما هي المخاطر التي يتعرّض لها طفل الحرب عموماً، والطفل اللبناني خصوصاً؟ وما هو دور البيئة الاجتماعية في توفير الحماية للأطفال؟ .

هذا ما سنتعرّف إليه في هذا الفصل من خلال عرضنا لإضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة.

أولاً: تعريف صدمة الحرب (PTSD)

«إنّ عبارة اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة أو كما يُقابلها بالإنكليزيّة Post Traumatic Stress Disorder واختصارها ptsd، لم تكن موجودة في قاموس الطّب النّفسي قبل عام 1980. اذ كان العلماء يستعملون قبل هذا التّاريخ بعض العبارات الخاصّة مثل، صدمة القصف أو المعارك أو الحروب Combat Neurosis. وفي عام 1980

أدخلت جمعيّة الطّب النّفسي الأميركيّة(APA) عبارة PTSD أي اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة وذلك للدلالة على اضطراب نفسي خاص يتلو حدوث الصّدمة بسبب الحرب.»

«وبعد سبع سنوات عادت جمعيّة الطّب النّفسي الأميركيّة [1] وأدخلت تعديلين مهمّين على مفهوم الـ PTSD (1987،1994) ، يتناول الأوّل: التركيز على عمليّة التجنّب Avoidance ، وتتمثّل في تجنّب الأشياء والأفكار والمشاعر المرتبطة بالحدث وتجنّب الوضعيات التي يمكن أن توقظ ذكريات الحدث. ويتناول الثاني: اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة عند الأطفال، ويتمثّل في استعادة الطفل للحدث المؤلم عن طريق اللّعب المتكرّر المرتبط بالصّدمة، بالإضافة إلى إنخفاض الرّغبة في بعض الأنشطة والمهارات بما في ذلك الكلام.»

ويرى جيمس تيتشنر (James Titchener) [2] أنّ هذا الإضطراب المؤلم «يؤدي إلى عجزٍ تمتدّ آثاره إلى أسابيع أو أشهر أو سنوات، ممّا يجعله صعب المعالجة، إذ ينجم هذا الاضطّراب عندما يتعرّض الفرد للتّهديد بالموت أو لأذى جسدي شديد قد يؤدّي إلى الإعاقة»، أو عندما يتعرض شخص ما لحدث مؤلم جدّاً (صدمة) يتخطّى حدود التّجربة الإنسانيّة المألوفة (أهوال الحروب، رؤية أعمال العنف والقتل، كارثة طبيعيّة، الإعتداء الخطير على أحد أفراد العائلة...) .

وهذا ما يسمّى بالحدث الصّادم بحيث تظهر لاحقاً عدّة اعراض نفسيّة وجسديّة «(كالتجنّب، أي تجنّب الأشياء والأفكار والمشاعر المرتبطة بالحدث وتجنّب الوضعيّات التّي يمكنها أن توقظ ذكريات الحدث والأفكار والصّور الدّخيلة واضطراب النّوم والتّعرّق والخوف وضعف الذّاكرة والتركيز....)»[3]، وهذه الأعراض قد تدوم لدقائق

---

1 - غسّان يعقوب، **سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النّفسي**، ص37،38 .

James Titchener, Post traumatic decline : A consequence of unresolved destructive drives, p.5 . -2

3 - غسّان يعقوب، **م.س.**، ص39 .

أو ساعات أو أيّام، أي أنّها تستمر لفترة محدودة وقد تطول وتصبح مزمنة. وتتّسم أعراض PTSD بالإحساس بفقدان شيء ما، وهذا الشّيء قد يكون صديقاً أو من ذوي القربى أو شيئاً نملكه أو وظيفة نشغلها أو تقديراً لذاتنا. «ويمتزج هذا الإحساس بالخوف والأسى عند تذكّر الموقف أو الحدث».[1]

ليس جميع الأشخاص (إناثاً أو ذكوراً، كباراً أو صغاراً)، الّذين يتعرّضون لصدمة أو كارثة، يسقطون في الاضطراب المذكور، إذ يختلف الأفراد فيما بينهم في تفسيرهم للمواقف الصّادمة. وترجع هذه الإختلافات الى فروق الأفراد لتقديرهم لذاتهم وتقييمهم لقدراتهم.

«قبل عام 1985، لم تكن عبارة PTSD شائعة في قاموس الطّب النّفسي للأطفال. ولكن بعد هذا التّاريخ أظهرت الأبحاث أنّ الطّفل يعاني كالرّاشد من اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة، ويذهب بعض الباحثين الى أنّ العديد من الأطفال يتأثّرون بالعنف السّياسي (التّهجير، الإشتراك في النّزاع المسلّح، الحروب، المجازر...)، وهذا يؤدّي بدوره الى نتائج مأساويّة عند الأطفال وينعكس سلباً عليهم.»[2]

نستنتج من خلال تعريفنا السّابق لإضّطراب ضغوط ما بعد الصّدمة أو PTSD أنّ الكثير من الأشخاص في العالم معرّضون لحدث صادم، ولكن الصّدمة تختلف من حيث تأثيرها فيهم.

فما هي إذاً أعراض PTSD عامّةً ولدى الأطفال خاصّةً الذين يُعانون الحروب؟

ثانياً: أعراض الإضطراب

«إنّ أعـراض مـا بعـد الصّدمـة تشـبه أعـراض التّوتّـر النّفـسي إلى حـدٍّ مـا. ويمكـن أن تحـدث هــذه الأعــراض نتيجــة لأحــداث مختلفــة لكنّهــا في العــادة تكــون مرتبطــة بحــدث صــادم

James Titchener, Posttraumatic decline : A consequence of unresolved destructive drives, p.5- 1

2 - غسّان يعقوب ، **م.س.**، ص163 - 164 .

خارج التّجربة الإنسانيّة العاديّة».[1] إذ أنّ الباحثين يجدون صعوبة في الرّبط بين مظاهر الاضطراب النّفسي أو السّلوكي لدى الفرد واحتمالات تعرّضه لحدث صادم معيّن. «لذا فإنّ الحدث الصّادم يجب تصنيفه وفق مظاهره الخاصّة التي تنقسم الى قسمين: مظاهر رئيسيّة أوّليّة وأساسيّة في اضطراب ما بعد الصّدمة ومظاهر ثانويّة أخرى تترافق مع الأولى».[2]

أ- المظاهر الرّئيسيّة:

التهديد والخوف: أو الخطر على الشخص نفسه أو على أحد أبنائه أو زوجته أو منزله، أو أطفاله.....

رؤية الجراح والموت: أن يرى الشخص أحداً يُجرح أمامه أو يُقتل.[3]

الأخبار المؤلمة: أن يسمع أخباراً مؤلمة جداً تتناول أحد أفراد عائلته أو أشخاصاً أعزاء عليه.

استعادة الحدث – الصّدمة: تتمّ هذه الاستعادة بصورة تلقائيّة مع شعور الشخص بالذّنب والحزن والعدوانيّة وهو يعتقد بأنّ الحدث قد يتكرّر.

الكوابيس: وتأتي هذه الكوابيس على أربعة أشكال:

- كوابيس مرتبطة بالحدث – الصّدمة.
- كوابيس غير حقيقيّة ولكنها يمكن أن تحدث.
- كوابيس بعيدة عن الواقع.
- كوابيس بعيدة عن التجربة الصّادمة.

ومن جهة أخرى، وجد بعض الباحثين أنّ الكوابيس تستمرّ حتى ساعة اليقظة، الأمر

---

1 - شارلوت ستانفورث، **أطفال بلا طفولة (أطفال فلسطين في زمن الحرب)**، ص15 .

2 - R.Gorden, Wraith , Responses of children and adolescents to disaster, p.562 .

3 - R. Gorden, R. Wraith ,ibid, p.562.

الذي يزيد من ظاهرة التفكّك عند الشّخص. وهكذا تبقى الكوابيس تُنغص عيش الشّخص لسنواتٍ طويلة.

- ظاهرة التّفكّك والتّذكّر السّريع للحدث: "استعادة الحدث بصورة سريعة ومفاجئة بحيث تجعل الشّخص يعبّر بشدّة عن انفعالاته مع ظهور حالة من النّسيان والخلط الذّهني. وتطغى على تفكيره ذكرى الحدث ويظهر التّقطع في مسارات السلوك السّوي" .[1]

وقد كشفت دراسة [2](Carlier.l et al) «أنّ ظاهرة التفكّك تظهر عند الأشخاص الذين يعانون من اضطراب ما بعد الصّدمة بدرجة شديدة أو متوسّطة.» وبسبب هذا التفكّك لا يستطيع المصدوم أن يفصل بين الواقع والخيال، فهو يخلط بين أحلامه وواقعه مع وجود الأرق والإرهاق الذّهني والجسدي.

ـ التّعرّض لأحداث رمزيّة أو ما شابه: إنّ أعراض اضطراب ما بعد الصّدمة تتفاقم عندما يتعرّض المُصاب لأشياء او وضعيات أو أعمال تُذكّره بالحدث – الصّدمة: كالطّقس، أو رؤية الهليكوبتر أو رؤية الدّم....إلخ

ـ التبلد الانفعالي: يعتبر التجنّب والتّبلّد من الصّفات الرّئيسيّة لاضطراب ما بعد الصّدمة. فالتبلّد الانفعالي، أي الخمود في ردّات الفعل إزاء المنبهات الخارجيّة، يظهر من خلال انخفاض الاهتمام بالأنشطة التي كانت قائمة في حياة المصدوم. « فهو يميل إلى العزلة الاجتماعيّة أو الانسحاب الاجتماعي وفقدان الرغبة في المشاركة الوجدانيّة، وقد تكون هذه وسيلة دفاعيّة يلجأ إليها الشّخص لإستعادة السّلام الدّاخلي [3].»

الشعور بالانفصال والنفور: إنّ شعور المصدوم بالنفور يدفعه الى اتخاذ ردّات فعل عدوانيّة ضدّ الآخرين بحيث ينفعل بشدّة ويغضب ويتعارك معهم.

---

1 - غسّان يعقوب، **سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النّفسي** ، ص 43 - 44 .

2 - L. Carlier et al., PTSD in relation to Dissociation, p.325- 328.

3 - **غسان يعقوب، م. م، ص 47.**

إنّ الألم النّفسي القوي الذي يعاني منه المصدوم يجعله يشعر بأنه شخص غير مرغوب فيه من قِبل الآخرين.

ب- المظاهر الثانويّة :

إضافةً إلى الأعراض المذكورة، تشير جمعيّة الطّب النّفسي الأميركيّة إلى اعراض أخرى ثانويّة تترافق مع الأعراض الأوليّة. لذا يجدر بنا التذكير بها علّها تساعدنا على فَهم معاناة الشّخص، ومن الأعراض الثانويّة نذكر:

- « الاكتئاب
- القلق والتوتّر
- الخوف والشّعور الدّائم بأنّ حياة الشّخص في خطرٍ وأنّه لن يعيش طويلاً.»[1]
- التعب الجسدي.
- التّعرّض لتغييرات سلبيّة في الأسرة والسّلوك والشّخصيّة كالتّطرّف في المواقف والشّعور بالاضطهاد وفقدان الرّجاء بالمستقبل.... [2]

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ اضطراب ما بعد الصّدمة يؤدّي إلى:

- تدنّ في المستوى المعرفي وضعف الذّاكرة والتّركيز وعدم القدرة على الإنجاز والمثابرة في العمل.
- كما أنّ الشّخص المصاب يصبح أكثر حساسيّة لأيّة حركة أو كلمة، وغالباً ما يفسّر الأمور بطريقة ملتوية.
- الشّعور الدّائم بالذنب ولوم النّفس لأنّ الشّخص يعتقد أنّه لم يفعل شيئاً لإنقاذ أحدٍ ما

---

1 - . J. Kinzie, A century of controversy surrounding PTSD spectrum symptoms, p.160-175

2 - J.Kinzie,ibid , p179.

من ذويه أو زملائه ويحمّل نفسه مسؤوليّة ما حدث ويعتقد أنّه يستحق العذاب.[1]

هذا باختصار ما يشعر به المُصاب باضطراب ما بعد الصّدمة، وإذا كان الأمر كذلك عند الرّاشد، فماذا نقول عن الأطفال؟.

ج- الأعراض عند الأطفال

وبالرغم من أنّ المعالم العامة لتأثيرات صدمة الحرب في الأطفال تكون متماثلة عند معظمهم، إلا أنّ ما يبدو من أعراض ومظاهر لهذا الاضطراب تتباين بينهم وفقاً للبعد النمائي، أي وفقاً لمتغيّر عمر الطفل ولخصائص النمو ومشكلاته.

إنّ الأطفال في سنوات المدرسة الإبتدائيّة (7 - 12 سنة)، قد يستطيعون الإفادة ممّا لديهم من مهارات معرفيّة أو انفعاليّة واجتماعيّة بحيث يستعملونها في التعامل مع الصّدمة. ففي المجال المعرفي، قد يجدون صعوبات ومشكلات في التركيز بسبب الشّرود الذي يظهر عليهم، ولهذا فإنّ مستوى الأداء المدرسي لديهم يتعرض للتدهور.

وهذا قد يعود الى عدم قدرة الطفل على التركيز بسبب ذكريات الصدمة وتشبع ذاكرته بمشاهد الحرب، وفي هذه الحالات يبدي الطفل تشتّتاً في عمله المدرسي.[2]

تأخذ اضطرابات ضغوط ما بعد الصّدمة عند الأطفال عدّة أشكال تشمل:

الإسترجاع البصري للأحداث: والمقصود به أن يستعيد الطفل الأحداث التي تعرّض لها بشكل صُوَرٍ بصريّة يعبّر عنها في رسوماته أو ألعابه التي يحدّدها. وقد كشفت نتائج دراسة أعدّها (Nader & Fairbanks, 1994)[3] عن وجود علاقة عكسيّة

---

1 - غسّان يعقوب، **سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النّفسي**، ص 52 - 60 .

2 - مكتب الإنماء الاجتماعي، **أبناء الشهداء والأسرى وحاجاتهم الإرشاديّة**، ص58.

3 - K. Nader, L. Fairbanks, The suppression of reexperiencing : Impulse control and somatic symptoms in children following traumatic exposure, p. 229 - 239.

بـين أعـراض اسـترجاع الخـبرة الصادمـة* (Reexperiencing) واضطـراب التحكّـم في الاندفاعـات والشـكاوى الجسـميّة والصحيّـة.

نسيان أو خلل في ترتيب الأحداث: وهنا يروي لنا الطفل ما حدث معه، ولكن بدون ترتيب دقيق، كما نجده يحذف جزءاً من الأحداث لم يعد يتذكّره، وهي محاولة منه (غير واعية) للتخلّص من بعض المشاهد أو الأفكار أو الأحداث التي لا يحتملها أو لا يرغب في الاحتفاظ بها.

زيادة الخوف والتّوتر: وفيه يبدو الطفل وكأنّه في حالة توقّعٍ لحدوث شيء مكروه، فهو يتوقّع دائماً أنّه سوف يتعرّض لخطر كالذي مرّ به، فيحدث لديه نوع من الحركات اللاإراديّة، كما يخشى النوم بمفرده. وقد يصل الأمر في حالة الخوف الشّديد إلى عدم قدرته على دخول الحمّام بمفرده أو حتى التّحرّك لعدّة خطوات بعيداً عن أمه. وقد يربط الطفل بين ما حدث معه قبل الأزمة وما يراه الآن، بمعنى أنّه إذا كان القصف قد حدث في أثناء تناول الطعام مع الأسرة، ففي كلّ مرة يبدأ في تناول الطّعام، يعتقد أنّ القصف قد يحدث الآن، أو يعبّر عن ذلك بخلل يظهر من خلال ملامح وجهه أو رعشة في يديه أو حتى في مشكلات البلع أو عدم تناول الطعام.

تراجع في السلوك: ويشمل الخوف من الظلمة، والإلتصاق بالوالِدين أو من يمثلهم، فيربط حركته بحركتهم ولا يستطيع نهائياً الانفصال عنهم، ويَظهر لديه أيضاً مصّ الأصابع.[1]

انخفاض القدرة على التّركيز وبعض القدرات المتعلّقة بالتّحصيل الدّراسي: قد نجد الطفل غير قادرٍ على التّركيز أو الانتباه لشيء معيّن لبضع دقائق، ويظهر ذلك في تواصله مع المحيطين به، فقد نحدّثه في موضوع ويدخل في موضوعٍ آخر ويظهر لديه الشّرود في الصّف.

* الخبرة الصادمة (Reexperiencing) : وهي اختبار يساعد الأشخاص الذين أُصيبوا بصدمة الحرب في استرجاع الخبرة الصدميّة.

1 - مكتب الإنماء الاجتماعي، **الإضطرابات التالية للأحداث الصدميّة** (دراسة إيبديمولوجيّة)، ص 8 - 18.

زيادة الغضب والعنف السلوكي واللّفظي: قد تظهر سلوكيات غير مقبولة سواء موجّهة للآخرين أو موجّهة لنفسه خاصةً لدى المراهقين، فنجد الطفل يدخل في ثورات الغضب وقد يتلعثم بالكلام؛ فهو يعصّب لأتفه الأسباب أو حتى من دون سبب. أمّا العنف السلوكي فيظهر من خلال كسرِ ما يقع تحت يديه من أشياء وهو يضرب أقرانه أو بعض أفراد أسرته، كذلك يظهر العنف اللّفظي في صورة سبّ الأشخاص أو الأشياء، ويظهر العنف أيضاً نحو الذات فيؤذي الطفل نفسه. أمّا الإحباط فقد يظهر لديه في عدم رغبته في المشاركة أو في غياب الإندماج مع الآخرين.

رفض الحدث وإنكاره:[1] في الواقع تعد هذه الظاهرة من المؤشرات الهامة على مدى الضّرر الذي لحق بالطفل، فهو لا يحتمل التصديق بأن الحدث قد تمّ بالفعل إذ أنّه ينكر ذلك تماماً.

إذا كانت هذه هي الأعراض التي تظهر عند الطفل في البداية كإستجابة، فإنّ هناك العديد من الإضطرابات المَرَضِيّة الأخرى التي قد تظهر لديه ربما في وقت متأخّر. فقد نجد أنّ الطفل يدخل مثلاً في حالة من الإكتئاب، والتي تظهر في الأعراض الآتية: [2]

عدم القدرة على الإستمتاع بأيّ شيء.

توقّع حدوث شيء مكروه بصورة دائمة.

عدم الرّغبة في التّحدّث أو التّواجد مع الآخرين، أو في التّعبير عمّا يُعانيه.

عدم الإهتمام بالنظافة الشخصيّة.

الشعور بالغربة والانفصال عن الأشخاص.

هبوط النّشاط: إذ نجده خاملاً لا يحرّك ساكناً ولا يرغب في أيّ نشاط.

لقد أظهرت دراسة أجريت عام (1989)، تحت عنوان «الإنتفاضة والطفل الفلسطيني

---

1 - مكتب الإنماء الاجتماعي، **أبناء الشهداء والأسرى وحاجاتهم الإرشاديّة**، ص 60 - 68.

2 - بشير صالح الرشيدي، **الخريطة النفسيّة والاجتماعية للشعب الكويتي بعد العدوان العراقي**، ص296.

تحت الاحتلال»، حيث شملت عيّنة الدّراسة عدداً من الأطفال ما بين 3 - 9 سنوات، وقد تبيّن أنّ 56.5 % من الأطفال الذين شملتهم الدّراسة يعانون من قلق الصّدمة. وقد بلغت نسبة الأطفال الذين لم ترصد لديهم مؤشرات القلق 11.1 % من العيّنة الكليّة. أمّا دراسة (كاتليين)[1] التي أجريت عام 1996، والتي هدفت للتعرّف إلى آثار العنف الذي تمارسه القوى الإسرائيليّة ضدّ الفلسطنيين. فقد كشفت عن وجود علاقة موجبة بين التّعرّض للعنف وظهور المشكلات السّلوكيّة لدى الأطفال، خاصةً الذكور منهم.

يبدو أنّ إنتشار هذه الأعراض بين الأطفال لم يتمّ فهمه بشكل كامل حتى يومنا هذا، إذ هناك نقطة مهمّة لها علاقة بالأمر، وهي أنّه ربما لا يتأثر الأطفال مباشرةً بالأحداث، وإنّما قد يتأثرون أكثر بالقلق الذي يعانيه آباؤهم وأفراد أسرتهم. وقد تبين أن الانفصال عنهم أثناء الأزمة يزيد من الوضع سوءاً.

والجدير بالذكر هنا أنّ الأطفال الذين تعرّضوا للعنف لا يظهرون بالضرورة كافة الأعراض المذكورة، كما أن الأعراض ليست دائماً سلبية، بل إن التعرض للأزمات قد تشد من عزيمة الفرد وتزيد من قدرته على الاحتمال (Résilience).

لذلك، ومن خلال ما تقدّم، يمكن القول بأنّ انعكاسات الحرب في نفسيّة الأطفال تستلزم تدخّلاً مبكراً للتعامل مع الآثار النّاجمة والتّقليل من مخاطرها لتوفير ظروف أفضل للنّمو الإنفعالي لديهم.

ثالثا: صدمة الحرب عند الأطفال: موضوع حديث

تُعد الحروب من أخطر الظروف التي يتعرّض لها الإنسان، حيث تمثّل عامل ضغط نفسي واقتصادي واجتماعي. فتأثير الحرب لا يقتصر على تدمير المنازل بل يتعداه إلى معاناة الإنسان الذي يفقد فيها الإستقرار والطمأنينة والرّجاء في المستقبل، عدا أعمال

1 - مكتب الإنماء الاجتماعي، **الإضطرابات التالية للأحداث الصدميّة** (دراسة إيبديمولوجيّة)، ص 26-22.

النزوح والتّهجير والجراح النّفسيّة الكبيرة.

وإن كان الأمر كذلك بالنسبة للإنسان بوجه عام، فالأمر يُصبح أكثر خطورة بالنسبة للأطفال بوجه خاص..!!

إنّ تصنيف اضطراب ما بعد الصّدمة عند الأطفال لم يبدأ بشكل واضح قبل عام 1986، حيث أشارت جمعيّة الطّب النّفسي الأميركيّة[1] إلى وجود اضطراب من هذا النّوع عند الأطفال، إلا أنّه يجب علينا الاعتراف بأنّ الدراسات التي تناولت هذا الموضوع عند الأطفال لاتزال محدودة بصورة عامّة.

فهناك دراسات مثل(Garmezy & Rutter 1985-1986)[2] التي خلصت الى عدم تحديد تشخيص خاص بالأطفال يتعلّق باضطراب ما بعد الصّدمة، غير أنّ هناك الكثير من الدّراسات التالية قد دحضت هذه الإقتراحات وأظهرت بأنّ الطّفل يعاني من اضطراب ما بعد الصّدمة بدرجة مشابهة جدّاً للراشدين، أمثال، ([3] (Yule & Williams، فقد تبيّن أنّ الأطفال يعانون من اضطراب ما بعد الصّدمة بما في ذلك الكوابيس واضطراب النوم وعدم القدرة على التركيز والتجنّب بالاضافة إلى العدوانيّة واللّعب الدراماتيكي والتّمرّد وإلتزام الصّمت حول الحادثة. ومن جهة أخرى، تبيّن أنّ الأطفال الذين يشاهدون أمامهم قتل أحد ذويهم يُصابون باضطراب ما بعد الصّدمة.

1 - غسّان يعقوب، **سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النفسي**، ص52 - 60.

2 - N. Garmezy, children under stress, p.384-339.

3 - Yule, Williams. et al, Increased substance use in survivors of the herald of free enterprise disaster, p.185-191.



مستند 1: أكثر من 60 قتيلا

و50 جريحاً في يارون بينهم 39 طفلاً[1]



مستند 2: جثّة طفلة من ضحايا

مجزرة قانا 2006[2]

تعتقد الجمعيّة الطّبيّة الأميركية أنّ أطفال لبنان سيواجهون مشكلات صحيّة خطيرة في الأشهر القادمة نتيجة الصّراع اللبناني الإسرائيلي حيث كان ثلث القتلى والجرحى من الأطفال، وتوقعت الجمعيّة أن يؤدّي الصّراع المسلّح إلى أمراض الطّفولة مثل الحصبة. حيث أكّدت جمعيّة "أنترناشونال ميديكال كوربس"[3]، أنّ عدداً من الأطفال، وقعوا ضحيّة حرب تموز الذي استمرّ شهراً، ويفيد التّقرير أنّ ما يزيد على 300 طفل قتلوا في لبنان وأنّ هناك ألفي طفل أصيبوا بجروحٍ، بالإضافة إلى نصف مليون آخرين من صغار السّنّ قد نزحوا من أماكنهم بسبب حرب تموز 2006، وقد حدث أثناء ذلك أبشع المجازر، منها مجزرة قانا الثانية التي سقط فيها أكثر من 60 قتيلاً معظمهم من النساء والأطفال، وأكثر من 39 طفلاً سقطوا في بلدة يارون، وأكثر من 22 طفلاً كانوا ضحايا

1 - الشرق الأوسط، «أكثر من 60 قتيلاً و50 جريحاً في يارون بينهم 39 طفلاً» ، **جريدة الشرق الأوسط**، ص1.

2 - النّهار،»أطفال قانا يقلبون الموقف الدّولي»، **جريدة النّهار**، ص1.

3 - ميدل إيست أونلاين، «أمراض ما بعد الحرب ptsd تطارد أطفال لبنان»، www.MEAonline.com، ص1.

في مجزرة مروحين،....

توقّعت الجمعيّة أن يعود الإسهال وأمراض الرئة التي كانت متفشّية في لبنان في أثناء الحرب الأهليّة السّابقة إلى الظهور مرّة أخرى.

ولاحظ أطباء الجمعيّة[1] تغيرات سلوكيّة عند الأطفال الذين يعيشون في منطقة الصّراع ويعانون من اضطراب ما بعد الصّدمة حيث أصبحوا أكثر عصبيّة ويتكلّمون بلغة الكبار، وقد دخلت في مفرداتهم ألفاظ جديدة مثل الحرب والقصف والقذائف، والطّائرات، والأسلحة والصواريخ (رعد، RBJ)، كما ازدادت معدلات الكوابيس واضطرابات النّوم.

إنّ ما يؤكّد أيضاً هذه النتائج هو ما أظهره الإختبار النّفسي الذي خضع له 500 طفل لبناني، أجراه المعهد اللّبناني لتنمية الأبحاث بالتعاون مع صندوق الطّفولة التابع للأمم المتّحدة ووزارة التّعليم اللّبنانيّة، حيث تبيّن أنّ 30 % من هؤلاء الأطفال لايزالون يعانون من عدم القدرة على النّوم و13.8 % منهم يعانون الإكتئاب.

ولكن الباحثة "ميسا الحسيني"[2]، التي عملت مع الأطفال النّازحين خلال الحرب تقول: " يتعامل هؤلاء الأطفال مع الوضع بشكلٍ جيّد وأفضل بكثيرٍ ممّا كان متوقّعاً، فقد ظهر القلق عند الأطفال من خلال رسوماتهم، ولكن هذا القلق لم يكن خطراً". وتضيف الباحثة المذكورة أنّ معالِم الصّدمة قد ظهرت عند القليل منهم. وهذا ما عكسه رفضهم المشاركة في النّشاطات التّرفيهيّة. وقد ظهر البكاء والصّراخ والعنف في سلوكهم بالإضافة إلى العصبيّة المفرطة.

لذا نعتقد أنّنا إذا أردنا إكتشاف حالات الأطفال ومعالم اضطراب ما بعد الصّدمة، يجب علينا تطبيق بعض الاختبارات بعد الحرب لأنّ تداعيات الصّدمة قد تظهر في

---

1 - ميدل إيست أونلاين، م.ن.، www.MEAonline.com ، ص2.

2 - كارولين عاكوم، مايا مشلب، «موعد أطفال لبنان مع «أعراض ما بعد الصّدمة» بعد عامين:30 % منهم يعانون من القدرة على النّوم بعد كل مشاهد الدّم والدّمار والرّكام» ، **جريدة الشّرق الأوسط**، ص5.

مراحل لاحقة، وهذا ما سنقوم بعرضه أثناء تحليلنا للعمل الميداني، حيث نجري مقارنة بين ما توصّلت إليه الدّراسات أثناء حرب تموز 2006 وما قمنا به نحن من دراسة آثار حرب تموز في مجموعة من الأطفال اللبنانيين.

يجب الإعتراف بأنّ الحرب تترك آثاراً سلبية في نفسيّة الأطفال الذين يتعرّضون للصّدمة مما يؤثّر في آدائهم الدّراسي وفي عدم رغبتهم في الذهاب إلى المدرسة. فالطفل يُصاب بالشّرود وعدم التّركيز وغير ذلك..... ناهيك عن اضطراب السّلوك في المنزل والمدرسة من انفعال وبكاء وخوف وغضب وعدوانيّة وإنطواء.... [1]

بعد كل ذلك، تجدر الإشارة إلى مجزرة عناقيد الغضب في قانا في نيسان 1996 والتي كان الأطفال أبرز ضحاياها. وكأنّ هذه المجزرة لا تكفي، فجاءت مجزرة قانا الثانية في تموز 2006 التي حصدت أيضاً عدداً من الأطفال.



مستند 3: أشلاء ضحايا عدد من سكان مروحين في المجزرة التي ارتكبتها اسرائيل. [2]

وهناك مجزرة مروحين في تموز 2006 التي كان معظم ضحاياها من الأطفال....

يبدو واضحاً أنّ الأطفال هم أكثر عرضة للتأثّر بالأزمات كالحروب والكوارث والمجازر وغيرها.... لأنّهم أكثر عطباً من الرّاشدين ولأنّ نموهم لم يكتمل بعد.

---

1 - L. Terr, Childhood Traumas, p.18.

2 - النّهار، «أشلاء ضحايا عدد من سكان مروحين في المجزرة التي ارتكبتها اسرائيل»، **جريدة النّهار**، ص1.

وإذا كان علم النّفس[1] يُشير إلى أنّ الأطفال والمراهقين يمرّون، في حالة السّلم، ببعض الأزمات التي قد تعوّق تكيفهم النّفسي والإجتماعي كعدم إشباع حاجاتهم الأساسيّة وتعرّضهم للاحباطات، فإنّ الضغوطات والشّدائد الناجمة عن الحروب قد تكون شديدة الوطأة عليهم.

رابعاً: أنواع الصّدمة، مظاهرها ومصيرها عند الأطفال

يشكّل اضطراب ما بعد الصّدمة عاملاً مهمّاً في حدوث اضطرابات نفسيّة عند الأطفال قد تستمرّ حتى سنّ الرّشد [2] (TERR, 1991) وتحدّد "تير" نوعين من الصّدمة عند الأطفال :

النموذج الأوّل: الذي ينجم عن **حدث صادم واحد**، غير أنّ الذكريات المرتبطة به تستمر لسنوات طويلة. فحادثة الصّدمة – بحكم طبيعتها – تخلق الحزن في نفوس معظم الأطفال الذين يتعرّضون لها بغضّ النظر عن عوامل الضّعف لدى الأطفال أو موارد التّكيّف المتوافرة لديهم.

النموذج الثاني: إنّ الطّفل يتعرّض **لأحداث صادمة تدوم وتتكرّر**[3]. فالحدث الأوّل يؤدّي إلى صدمة فجائيّة بينما الأحداث التالية تدفع بالشّخص إلى استبصار المخاطر التي تهدّده محاولاً إبعادها عن وعيه لتعطيل مفعولها. فيتجاهل الطّفل الحدث وينكر الواقع وكأنّه لا يعنيه معتمداً التّبلّد العاطفي كوسيلة دفاعيّة ضدّ أخطار العالم الخارجي.

ويتمثّل هـذا العامـل في النظـر إلى اسـتجابة الأطفـال لتجربـة الصّدمـة بأنّـه رد فعـل عـام يشـملهم جميعـاً. وبالرغـم مـن تبايـن الشّـكل الـذي تظهـر فيـه أعـراض ردة الفعـل بحسـب

-1 محمّد بن عمّار، مصطفى النّصراوي، **الآثار النّفسيّة والصّحيّة والاجتماعيّة لحرب الخليج على أطفال المنطقة وسبل علاجها**، ص8.

- 2 L. Terr, Childhood Traumas, p.10 - 11.

3 - **غسان يعقوب، سيكولوجيا الحروب، م.م، ص 154.**

سن الطّفل وطبيعة الصّدمة، فإنّ الملامح أو المظاهر العامّة لردة فعل ما بعد الصّدمة تتشابه أو تكون ذاتها عند جميع الأطفال.

وتخلص "تير" إلى القول بأنّ اضطراب ما بعد الصّدمة يتّخذ له أربع صفات رئيسيّة:

- الذكريات والصّور البصريّة المرتبطة بالحدث.

- تكرار الأفعال والتّصرفات كما هي الحال في اللّعب. فالطفل يلعب الصّدمة ويكرر هذا اللّعب.

- المخاوف الخاصة والكوابيس المتعلّقة بالصّدمة، وهناك مخاوف شائعة قد تظهر عند الطّفل المصدوم مثل الخوف من الظّلمة والوحدة والغرباء.

- الاتجاهات السلبيّة إزاء النّاس والحياة والمستقبل.[1]

أ- مظاهرها ومصيرها عند الأطفال

يمرّ الأطفال بخبرات مؤلمة مختلفة في حياتهم كمشاهدة أعمال العنف والقتل والدّم أو التّعرّض للتعذيب والاعتداء والانفصال عن الأبوين أو فقدان أحدهما أو كليهما، إضافةً إلى التّهجير والإعاقة الجسديّة والتّعرّض للتهديد أو الخطف وسوى ذلك من الخبرات المؤلمة.

وهنا نتساءل: هل الصّدمة بحدّ ذاتها هي التي تؤدي إلى ظهور الاضطراب أم أنّ هناك عوامل تؤثّر في ذلك وما هي هذه العوامل؟

إنّ اضطراب ما بعد الصّدمة قد يستمرّ عدّة أشهر أو سنوات. ويبدو أنّ هذه المدّة تتوقّف على عدّة عوامل: نفسيّة وعائليّة واجتماعيّة...

ومن هذه العوامل التي تؤدي إلى ظهور ذاك الاضطراب:

ـ النّقص في الدّعم الاجتماعي: غياب الأبوين أو انفصال الطّفل عنهما لسبب ما.

1 - L. Terr, Childhood Traumas, p.12.
أنظر أيضاً غسان يعقوب،م. س. ص 154.

ـ تدنّي المستوى الإقتصادي عند الأهل إلى درجة الفقر والعوز.

ـ الصّدمات والأخطار الخارجيّة النّاجمة عن الآخرين: كالتّهديد والقتل وأعمال العنف والإعتداء..

ـ انفعال الأهل وعدم تمكنهم من التّعامل مع الصّدمة بشكلٍ واعٍ. ويبدو أنّ قدرة الطّفل على التّعامل مع الأحداث تتوقّف على النّضج الانفعالي عند الأهل وقدرتهم على التّكيّف مع الظروف الصّعبة.

ـ فقدان الاتّصال والحوار بين الطّفل والأهل وإلتزام موقف الصّمت والحذر. لقد تبيّن أنّ التّحدث عن الصّدمة وتعبير الطّفل عن مخاوفه ومشاعره يساعدان هذا الأخير على فَهم الصّدمة والتّعامل معها (الاستعادة المعرفيّة لمعنى الصّدمة).

ـ الوضع النّفسي السيّئ عند الطّفل قبل الحادثة وذلك بسبب ظروفه العائليّة والنّفسيّة غير الملائمة كالحرمان والشعور بالنبذ ووجود حالة اكتئابيّة واستعداد وراثي وغير ذلك...[1]

ـ قوّة الصّدمة وطبيعتها: وجد (Pynoos وزملاؤه عام 1990)[2] أنّ التّلامذة الذين تعرّضوا أكثر لخطر القناص في المدرسة يعانون من اضطراب ما بعد الصّدمة بصورة أشد بالمقارنة مع رفاقهم الذين كانوا أقلّ تعرّضاً.

ـ عمر الطّفل وارتباطه بالصّدمة: كشفت إحدى الدّراسات البريطانيّة[3] أنّ تميّز الأطفال الأكبر سنّاً بالواقعية في تفسير ظروف الحرب جعلهم أكثر عرضة للتأثّر بها مقارنة بالأطفال الأصغر سنّاً. فالمرحلة العمرية الحرجة للطفل من حيث التأثر بصدمات الحرب هي 3 - 7 سنوات و12 - 14 سنة. أمّا مرحلة 8 - 11 سنة فتميّزت بأنّها

---

1 - غسّان يعقوب، **سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النفسي**، ص 157، 159.

2 - R. Pynoos, Witness to violence, p. 306 - 319.

3 - محمد بن عمار، مصطفى النصراوي، **الآثار النّفسيّة والصّحيّة والاجتماعيّة لحرب الخليج على أطفال المنطقة وسبل علاجها**، ص17 - 18.

الأقل تأثّراً من حيث تجلّي الاضطرابات السّلوكيّة كما كشفت الدّراسة عن تأثّر الذكور أكثر من الإناث في عمر 3 - 7 سنوات.

وقد أظهرت دراسة (Thabet & Vostanis لعام 1999)[1] ، وهما باحثان أعدّا دراسة مشتركة حول ردّة فعل الأطفال في ظلّ الحروب تجاه الصّدمات، أنّ الأطفال الفلسطينيين يُعانون من قلق الصّدمة، وتناولت عيّنة الدّراسة أطفالاً من غزّة تراوحت أعمارهم ما بين 6 - 11 سنة.

لقد أظهرت الدّراسة أنّ الأحداث التي عاشها سكان شمال غزة، حيث تتركّز مخيمات اللاجئين، أنّ الأطفال يُعانون قلق الصّدمة بدرجة متوسّطة وشديدة. ومن مسبّبات الأعراض المتوسّطة، التّعرّض لقنابل الغاز المسيل للدموع، أو رؤية صديق يستشهد أو يتعرّض للضرب، وتبيّن أنّ 72.8 % منهم يعانون من ردّة فعل خفيفة، و41 % يعانون من ردّة فعل متوسّطة أو حادّة. ومن الأعراض الشّائعة هاجس الخوف وانعدام التّركيز وتجنّب المواقف التي تذكّرهم بالصّدمة.

تجدر الإشارة إلى أنّ بعض الأطفال والمراهقين الذين عاشوا ظروف الحرب القاسية لمدّة طويلة وبصورة متكرّرة في شكل عنف وعدم استقرار كما هي الحال في الجنوب اللّبناني أو في فلسطين المحتلّة – قد يُظهرون تأقلُماً مع وضعهم الجديد بحيث لا تبدو عليهم علامات الاضطراب. غير أنّ إستمرار هؤلاء في هذا الوضع قد يحول دون اكتسابهم لمقومات الصّحة النّفسيّة.

إنّ الطّفل يستمدّ أمنه وطمأنينته من البيئة المباشرة أي من الجماعة التي ينتمي إليها والتي تساعده على التّخفيف من حدّة مخاوفه أثناء تعرضه للشدائد والأزمات.... فالطفل الذي فقد أحد أبويه يبقى في حالة خوف مستمر.

---

1 - Thabet, P.vostanis, Post-traumatic stress reactions in children of war, p.385-388..

أمّا بالنسبة لتأثير مشاهدة الجرحى والموتى ورؤية الجثث الممزّقة، فالأطفال، حتى وإن لم يُعاينوا مباشرةً ما تسبّبه الحروب، فإنّهم قد يتعرّضون للصّدمة عن طريق ما يحدث للكبار في محيطهم المباشر خاصةً إذا تعلّق الأمر بأحد أفراد الأسرة الذين يوفّرون لهم الأمن والطمأنينة.

لقد أظهرت بعض الدّراسات العقبات الجمّة التي يتعرّض لها الفرد نتيجة نجاته من موت محتّم. "إنّ استمرار الاضطرابات الانفعاليّة بسبب الصّدمة يتمّ من خلال مسار تعلّمي يفترض أنّ المعاناة الشّديدة والخسارة المفاجئة للسند، وضجيج الأصوات العالية هي منبهات خوف غير مشروطة تصبح قادرة عند اقترانها بوضعيات حياديّة سابقة على إحداث ردود فعل الخوف الشَّرطِي بحسب النموذج البافلوفي".[1]

خامساً: آثار الحرب اللّبنانيّة في الأطفال

لقد شهد لبنان حروباً محليّة وإقليميّة كان لها تأثير سيىء ومدمّر في المواطنين ومنهم الأطفال وذلك منذ العام 1975. وقد تفاقمت الأمور زمن الإجتياح الإسرائيلي عام 1982 . وفي عام 1989 كان اتّفاق الطّائف لوقف الحرب. وقد انتشرت القوات السّوريّة على جميع الأراضي اللّبنانيّة ما عدا الجنوب حيث حصرت المقاومة نشاطها فيه وبقي الوضع الأمني هادئاً بصورة عامة حتى عام 2005 حيث اغتيل الرّئيس رفيق الحريري وبدأت مرحلة جديدة وبالأخص بعد إنسحاب الجيش السّوري من لبنان في 17 نيسان من عام 2005. وقد عقبت ذلك عدّة اغتيالات سياسيّة حتّى وقعت حرب تموز عام 2006 بين المقاومة واسرائيل. وقد استمرّت الأعمال الحربيّة المصحوبة بالقصف مدّة 33 يوماً وكانت من أقسى الأيّام التي مرّت على لبنان الجنوبي والضّاحية.

لقد أثارت دراسات عدّة أسئلة جوهريّة حول أثر الحرب اللّبنانيّة في النمو النّفسي-

1 - محمد بن عمار، مصطفى النصراوي، **الآثار النّفسيّة والصّحيّة والاجتماعيّة لحرب الخليج على أطفال المنطقة وسبل علاجها**، ص13، 15.

الاجتماعي للأطفال، اذ تشير بعض الدّراسات[1] إلى أنّ أكثر من نصف الأطفال المقيمين في بيروت كانوا يشكون من أمراض جسديّة ناشئة عن اضطرابات نفسيّة وعاطفيّة (سيكوسوماتيّة).

وأظهرت دراستان مستقلّتان[2] أنّ طفلاً واحداً من كلّ عشر عائلات كان يعاني من مشكلات سلوكيّة (Jamal, R et al, 1986)، وتذكر الدّراسة أنّ 70 % من أمهات عيّنة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 3 و 9 سنوات لاحظن ارتفاعاً في نسبة القلق والعدوانية لدى أطفالهنّ (Abu Nasr 1985)، وتمّ تشخيص الأطفال على أنّهم يعانون من ردّات فعل ناجمة عن الحرب، كما دلّت مقابلات تمّ إجراؤها على عيّنة من الأطفال الذين كانوا يعيشون في مدينة بيروت على ارتفاع معدّلات أعراض القلق والخوف والاكتئاب لديهم، مقارنة بأطفال يعيشون في منطقة لم تتعرّض للحرب (Der-Karabetian, A, 1984).

وفي دراسة عن الأطفال اللّبنانيين[3] الذين تعرّضوا لصدمات الحروب اللّبنانيّة، استخدم «فيليب صايغ» (Saigh, P.A, 1989) طريقة المقابلة مع 840 طفلاً لبنانيّاً تتراوح أعمارهم بين 9 و12 سنة.

وقد أظهرت نتائج الدّراسة أن 230 طفلاً (27 %) من هؤلاء الأطفال كانوا يعانون من اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة، كما أوضحت النتائج أنه من بين هؤلاء الأطفال كان قد تعرّض منهم 58 طفلاً (6.8 %) للصّدمة المباشرة، و128 طفلاً (56 %) من خلال المشاهدة، و13 طفلاً (6 %) من خلال ما يتداول أمامهم من أحاديث وعبارات لفظيّة، و31 طفلاً (14 %) من خلال تجمّع بعض هذه الخبرات معاً.

1 - يحي فايز الحداد، **الحروب وآثارها النّفسيّة على الأطفال**، ص273.

2 - يحي فايز الحداد، **م.ن.**، ص274.

3 - P.A. Saigh, The development and validation of the children's posttraumatic stress disorder inventory, p. 75-84.

وفي دراسة حول تأثير الحرب اللّبنانية في الأطفال [1](Rubonis & Bickman, 1991) تناولت 2200 طفل موزعين على عشر مدارس في مختلف أحياء بيروت الكبرى، تبيّن أنّ 96 % من هؤلاء الأطفال قد تعرّضوا لحادثة صادمة واحدة على الأقل، وأنّ الطفل اللبناني قد خبر في حياته، بالمتوسط، خمسة إلى ستة أنواع مختلفة من الأحداث الصادمة، وقد تكرّرت خبرته في هذه الأحداث مرّات عديدة. وقد تبيّن أنّ التعرض للقصف المدفعي والمعارك والتهجير ومشاهدة أعمال العنف، كانت التجارب الأكثر شيوعاً في الحروب. فالمناطق السّكنيّة كانت تتعرّض للقصف بين الحين والآخر، والمعارك بين الميليسشيات المتصارعة تندلع بشكل مفاجئ، والقنابل الموقوتة، والسيارات المفخخة تنفجر في الشوارع بشكل عشوائي. وتمثّلت نتائج أعمال العنف في احتراق المنازل، ومقتل أو إصابة مدنيين بجروح، ومسارعة الأهل المذعورين للبحث عن أفراد عائلاتهم، وهذه المشاهد قد أصبحت مألوفة لدى الأطفال اللّبنانيين.

وفي بعض الأحيان كان يشتدّ القتال في بعض المناطق إلى درجة تجبر الأهل على الهروب إلى أماكن آمنة، غير مدركين بما يمكن أن يحصل لبيوتهم وممتلكاتهم.

وفي دراسة عن أثر الخبرات الصّادمة في الحرب اللّبنانية على إدراك المراهقين لفعاليتهم الذّاتيّة، قام « فيليب صايغ وآخرون» [2](Saigh et al, 1995) بمقارنة بين ثلاث مجموعات متجانسة من المراهقين: مجموعة من المراهقين المصدومين ممّن شُخّصوا على أنّهم يعانون اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة، ومجموعة ثانية من المراهقين المصدومين ممن لم يستوفوا المحكات المقرّرة للاضطراب المذكور، ومجموعة ثالثة ضابطة من مراهقين غير مصدومين. وقد طبّقت على هذه المجموعات الثلاث « المقاييس المتعدّدة الأبعاد الفاعلية الذاتية المدركة؛ بحسب نظريّة «باندورا» Self Efficacy (MSPSE) Perceived

1 - A.V.Rubonis, L.Bickman, Psychological Impairment in the wake of disaster : The disaster-psychopathology relationship, p.384-399.

2 - P.A. Mroueh. Saigh et al, Self Efficacy Expectations Among Traumatized Adolescents, p. 701- 704.

(Bandura's Multidimensional Scales of) وقد أظهر تحليل البيانات المتجمّعة أنّ المراهقين في المجموعة الأولى (حالات اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة) قد حصلوا على درجات منخفضة في ثمانية مقاييس من بين تسعة مقاييس فرعية للفاعلية الذاتيّة المدركة. وعند المقارنة بين مجموعة المراهقين المصدومين (ممّن لم تنطبق عليهم محكات تشخيص الضغوط التالية للّصدمة) والمجموعة الضابطة، فلم تظهر بينهما فروق ذات دلالة احصائية.

أمّا بالنسبة لحرب تموز 2006، فلا تتوفّر حتى الآن احصاءات نهائية عن أعداد القتلى والجرحى من الأطفال والمراهقين حتى عمر 20 سنة، ولكن إذا اعتبرنا أنّ ثلث الضحايا هم من الصغار والفتيان، فإنّ حوالي 500 من هؤلاء قد تعرّضوا للوفاة بالإضافة إلى عدد آخر من الجرحى.*

فرؤية القتل والقصف المروّع وخسارة الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت، ومشاهدة الدّمار، والنّزوح والتّهجير (ما يقارب المليون نازح) لا بدّ أن تترك في النفوس جروحاً واضطرابات نفسيّة (صدمة الحرب) يصعب نسيانها عند الناشئة بوجه خاص.

وبحسب أحد ممثّلي الأمم المتحدة «كاريل دي روي»[1]، فإنّ هناك نصف مليون طفل لبناني يحتاجون الى دعم نفسي أو معالجة نفسيّة من صدمة الحرب ومفاعيلها.

إنّ دراسة الكوارث والحروب قد بيّنت أن الأمراض النّفسيّة ترتفع بنسبة 17 % بعد انتهاء الحروب وتختلف آثارها بحسب نوعيّة التعرض للخطر وفق التّدرّج التالي[2]:

ـ مقتل أحد أفراد الأسرة أو إصابته.

ـ خسارة المنزل.

ـ خسارة العمل أو الوظيفة.

---

* راجع ص 48 من الرسالة.

1 - يحي فايز الحداد، **الحروب وآثارها النّفسيّة في الأطفال**، ص276.

2 - يحي فايز الحداد، **م.ن.**، ص276

ـ النزوح ومشكلاته وحالة السّفر إلى الخارج والمعاناة عن بُعد.

من جانبه يوضّح فيليب دواميل[1] (منسّق عمليات الطوارئ التابعة لليونسف في لبنان) أنّ دراسات اليونسف تبيّن أنّ 3.5 % من أطفال ومراهقي الجنوب يحتاجون إلى علاج طبّي ونفسي معاً وأنّ 95 % منهم يحتاجون إلى دعم نفسي للخروج من صدمة الحرب.

أمّا حب الله [2] (رئيس المركز العربي للأبحاث النفسيّة والتحليليّة في صُور) فيرى أنّ أكثر من ثلث الشّعب اللبناني يعاني بسبب الحرب من حالة عصاب اكتئابي وخوف وقلق. ويشير حب الله إلى أنّ معظم سكان الجنوب (أكثر من مليون وربع شخص) أصيبوا بصدمة الحرب بدرجات متفاوتة.

وإذا كان حجم الرّعب والخراب متلازماً مع حجم التأثيرات النّفسيّة للحرب، فإنّ شدّة هذه التأثيرات تختلف جغرافيّاً بحسب قوّة التعرّض للخطر في هذه المنطقة أو تلك. فمن أُصيب أو فَقَدَ عزيزاً أو رأى بيته مدمّراً ليس كمن كان في مدينة أو قرية آمنة.

سادساً: الآثار النّفسيّة والتّربويّة للحروب

إنّ الصّراع المسلّح في العالم اليوم، يؤثّر في السّكان المدنيّين بشكل متزايد، وليس الصّراع الإسرائيلي-اللّبناني أوالصّراع اللّبناني الدّاخلي إلا وجهاً مأساويّاً لهذه النّزاعات.

ويبدو أنّ الأطفال – كضحايا وأحياناً كمقاتلين- يتحمّلون الوطأة الكبرى للعنف المزمن، وغالباً ما تكون الآثار النّفسيّة والتّربويّة كبيرة جدّاً بحيث يصبح السّلام وهماً والأمن أمنية بعيدة عن الواقع.

إنّ 30 % من ضحايا حرب تموز في لبنان، هم الأطفال الذين كتب لهم البقاء على قيد الحياة ومن المحتمل أنّهم لن يَنسوا هذه الصُّوَر البشعة التي انطبعت في ذاكرتهم والتي

---

1 - الشرق الأوسط، «موعد أطفال لبنان مع أعراض ما بعد الصدمة بعد عامين»، **جريدة الشرق الأوسط** ، ص 1.

2 - الشرق الأوسط، **م.ن.**، ص2.

قد تترك آثاراً سلبيّة في نموّهم النّفسي. ولكن يبقى السؤال، هل يستمر قلق الصّدمة عند بعض الأطفال أو أنّه يظهر لاحقاً؟

وإذا كانت الأعراض التي نتجت عن العدوان الإسرائيلي، والتي ذكرناها سابقاً، قد اتّخذت خصائص الحدّة والتّنوّع، فإنّها قد تتّصف بالشمول، حيث عانى منها بعض المواطنين كباراً وصغاراً وبالأخص في المناطق التي تعرّضت للقصف المباشر.

لقد اتّفقت مختلف الدّراسات التي أُجريت على أطفال الحرب أنّهم كانوا من أكثر الفئات تضرراً، وهذا الضّرر قد تنوّعت أشكاله واختلفت مظاهره تجاه صدمات الحرب وفق عمر الطفل وجنسه وقوّة الصّدمة (مباشرة كانت أو غير مباشرة)، ووفقاً لتوفر الرعاية الأسرية والدّعم الإجتماعي.

وتفيد (جراسيا ماتشل)[1] المدافعة عن حقوق الأطفال في تقرير لها في دراسة قدّمتها للأمم المتحدة بعنوان: « تأثير الحرب في الأطفال» أن الصّراع المسلّح يقتل بعض الأطفال ويسبّب إعاقات جسديّة للمدنيّين أكثر من المقاتلين.

وإستناداً للتقرير، فإنّ إصابات المدنيين في زمن الحرب ارتفعت من 5 % عند بداية القرن العشرين إلى 15 % أثناء الحرب العالميّة الأولى لتصل إلى 65 % عند نهاية الحرب العالمية الثانية، والى 90 % في حروب العقدين الأخيرين من القرن العشرين حيث قتل نحو مليوني طفل في النّزاعات المسلّحة وثلاثة أضعاف ذلك أصيبوا بجراح خطيرة أو بإعاقة دائمة، وآخرون يصعب حصرهم حيث أجبروا على مشاهدة أعمال عنف مرعبة أمامهم أو حتّى المشاركة فيها. وكثير من الأطفال حُرِمُوا من الحاجات الماديّة والعاطفيّة لاسيّما الحاجات التي تُعطي معنى للحياة الاجتماعية والثّقافية مثل الأمن والحريّة.

قليلة هي الدراسات العالمية عامة والعربية خاصة حول مسألة التأثير النفسي لأعمال العنف والحروب في الأطفال، وقد جرت دراسة تحدّثت عن جوانب مختلفة من الموضوع

---

1 - جمعيّة اليونيسيف، «تأثير الحرب على الأطفال»، www.unicef.org، ص 1 - 2 .

لحالات النزاع في أماكن عديدة منها لبنان وفلسطين والكويت وسراييفو وكرواتيا وموزامبيق... ويفيد الصايغ[1] (saigh 1991،1989) في تقاريره أن نحو 32 % من الأطفال في سن 9 - 13 سنة قد ظهرت عليهم أعراض الـ ptsd خلال الحرب الأهلية اللبنانية وما بعدها، وتقدّر(chimenthie,[2] 1989) أن الأطفال اللّبنانيين الذين تعرّضوا لأجواء النّزاع قد ظهرت عليهم أعراض ال ptsd أكثر من عامة السكان بسبع مرّات .

تُميّزُ الدّراستان المذكورتان بين استجابات الأطفال تجاه العنف المزمن وبين ردود فعلهم تجاه صدمات الحرب. فالنزاعات المسلّحة المزمنة المصحوبة بالتّهديد والخوف والحرمان يمكن أن يكون لها آثار بعيدة المدى في التّطوّر النّفسي للأطفال، بما في ذلك التّغيّرات في أنماط السلوك، مثل العدوانية والإنطوائية، وحدوث تغيرات في الإتجاهات والمعتقدات والتبدلات في الشخصية. وهناك دراسات قليلة تناولت تأثيرات الحرب في جوانب معيّنة من مخرجات الأطفال التكيفيّة مثل «سلوك مؤازرة المجتمع أو نضج التخطيط » وتظهر الدّراستان المذكورتان أن المخرجات ليست جميعها سلبية، فالمعاناة من الحرب قد تقوّي المشاعر الإيجابية لدى الأطفال والإلتزام بخدمة ضحايا العنف.

أ ـ دور المدرسة

تشير [3](Maksoud et al.) إلى أن الخبرات الصادمة التي يواجهها الأطفال خلال الحرب لها وجهان، أحدهما قصير المدى والآخر طويل المدى وتختلف الضغوط التالية للصدمة تبعاً لعمر الطفل (قبل المدرسة، في سن المدرسة، المراهقة).

1 - **جمعيّة اليونيسيف**، «تأثير الحرب على الأطفال»، **www.unicef.org**، ص3 - 5.

2 - **جمعيّة اليونيسيف**، م.ن.، ص 5 - 6 .

3 - A.Dyregrow, M.Mack sound & M.Raundalen, Traumatic War Stress experiences and their effects on children, p 625-633.

ومن الآثار طويلة المدى للصّدمة مسألة السّلوك الأخلاقي، ونقص الثقة بالنفس والخوف من المستقبل، يُضاف إلى ذلك تدنّي التّحصيل المدرسي.

وقد أوضح تقرير[1] (Trawenson,2001) سكرتارية الخطة الوطنية للعمل من أجل الأطفال الفلسطينيين، استناداً الى مقابلات مع عددٍ من الأطفال والآباء، أن الأطفال الفلسطينيين لا يستطيعون النوم بأمان في فراشهم أو اللّعب في حاراتهم بسبب الخوف من مهاجمة الجنود الإسرائيليين أو المستوطنين لهم. ويكشف التّقرير أن الأطفال يعانون بصورة متزايدة من الخوف والقلق والكوابيس والتّبول اللاإرادي في اللّيل. ويفيد الآباء أن أطفالهم بإزدياد سنّهم يصبحون أكثر إدماناً على مشاهدة الأخبار ويناقشون ويشتركون في الأحداث. ويفيد المعلّمون أن واحداً من كل ثلاثة من التلامذة يعاني من مشاكل نفسيّة قد أثرّت سلباً في آدائه المدرسي، مما أحدث اضطراباً في النظام التعليمي بشدة، لأنّ التلامذة والمعلمين لا يستطيعون الوصول الى مدارسهم نتيجة القيود المشدّدة المفروضة عليهم من الإسرائيليين وذلك بسبب تصويب فوهات المسدّسات والأسلحة الرّشاشة إلى رؤوس الأطفال.[2]

وبسبب اختفاء كافة الأنشطة والإنغلاق داخل المنزل، حُرم الأطفال من اشباع الحاجة الى اللّعب والاستطلاع، ومما لا شك فيه أن اشباع هذه الحاجات يساعد على تنمية الذكاء والقدرات الإبداعية وزيادة الثقة بالنفس والنجاح الدّراسي، كما أن عدم إشباعها قد يؤدي الى سيطرة مشاعر الفشل والإحساس بالنقص والحرمان، ويضعف الرّغبة في التّحصيل والتّعليم. وهذا يؤدّي الى تدنّي مفهوم الذات، كما يؤدّي إلى اضطراب العلاقة مع الآخرين واللجوء الى الإنطواء او الإنحراف والجريمة مثل الإنخراط في العصابات للحصول على التقدير وتعويض النّقص .[3]

---

1 - جعفر المهاجر، الآثار النّفسيّة الناجمة عن الإرهاب الإسرائيلي، ص3.

2 - جعفر المهاجر، م.ن.، ص 2 - 4 .

3 - مركز البحوث والدّراسات الكويتيّة، أثر الغزو العراقي على أطفال الكويت «تجارب مؤلمة»، ص27-26.

لقد أشارت إحدى الدّراسات[1] أن عدداً من أطفال الكويت الذين تتراوح أعمارهم ما بين 5 - 13 سنة قد تعرضوا لصدمة الحرب بسبب مشاهدتهم لأحداث القتل والإختطاف والتفجيرات أو فقدان أحد أفراد الأسرة، وأن 62 % من الأطفال كانوا يعانون من الصدمة النفسية التي تولدت عن مشاهدتهم للجثث المعلقة فوق الأعمدة أو الجثث الملقاة في الشوارع أو جثث الأطفال المقطعة بفعل المتفجرات، وأن 52 % من الأطفال المصدومين يعانون من قلة النوم والكوابيس والأحلام المزعجة المتعلقة بأحداث العدوان العراقي. وقد دلّت النتائج على أن جميع الأطفال الذكور أفادوا أنهم يرغبون في أن يصبحوا جنوداً عندما يكبرون للدّفاع عن وطنهم. كما أن الحرمان من الرّعاية الصّحيّة المناسبة وتوقف الدّراسة، قد وضع الطفل أمام فراغ قاتل جعله حبيس المنزل ممّا لم يسمح له بالتّعبير عن رغباته وحيويّته وحاجته إلى اللّعب.

قد تَظهر الآثار النّفسيّة عند أطفال الحرب من خلال مجموعة من الأعراض التي تنعكس سلباً في آدائهم الدراسي، وتؤدّي إلى اضطراب في حياتهم الإنفعاليّة نتيجة الحرمان الفجائي. ومن هذه الأعراض[2] اضطراب النوم والأحلام المزعجة وقضم الأظافر وظهور بعض المظاهر العصبية على وجوههم، والذعر من سماع الأصوات العالية المشابهة للطلقات النارية أو أصوات الطائرات المحلّقة فوق بيوتهم وأراضيهم، كما حدث خلال عدوان نيسان 1996 في لبنان، ولا سيما بعد مجزرة قانا، حيث تنبهت اليونيسف الى ضرورة الإهتمام بالآثار النّفسية والتّربوية للعدوان في الأطفال، نظراً لقسوة ما عانوه مباشرة أو ما شاهدوه وسمعوه.

وفي هـذا الإطـار، جـرت دراسـة شـملت[3] عينـة مـن أطفـال الجنـوب والبقـاع الغـربي بغيـة تحديـد التأثـير النّفـسي لعمليـة عناقيـد الغضـب في الأطفـال. وقـد أظهـرت نتائـج هـذه الدراسـة

1 - مركز البحوث والدّراسات الكويتيّة ، **أثر الغزو العراقي على أطفال الكويت «تجارب مؤلمة»**، ص 25 - 26.

2 - الجمعيّة الكويتيّة لتقدم الطّفولة العربيّة، **حرب الخليج** (أبعادها وآثارها على أطفال الكويت)، ص 268

3 - أديب نعمة، **أوضاع الأطفال في لبنان**(1998-1993)، ص206 - 207 .

وجود نسب من حالات الاكتئاب والقلق والصعوبة في النوم وضعف في الترّكيز تفوق المعدّلات الطبيعيّة .

قد تؤدي المعاناة التي يواجهها أطفال الحرب الى اضطراب سلوكي يظهر في حالات العناد واللامبالاة والكذب بهدف التبرير نتيجة الحرمان من اشباع الحاجات النّفسية مثل الشعور بالأمان والحرية.

ب ـ دور الأسرة

تلعب الأسرة دوراً مهمّاً في تحصين الطفل ضد الضغوط على اختلاف أنواعها من خلال سلوك الأهل المتّزن أمامه وقت الأزمات. وفي الحالات المُعاكسة يدفع الأهل الخائفون والإنفعاليّون بالطّفل إلى المزيد من الاضطراب والقلق، لأنّهم القدوة والمثال.

الأبوان هما مصدر الأمان والحب للطفل. ففي أثناء الحرب تكون الأسرة متوترة ، ما ينعكس سلبا على الأطفال فينقلون لهم معاناتهم بطريقة مباشرة، ممّا يجعل الأطفال أكثر انفعالاً واضطراباً.

ومن جانب آخر، فإنّ للأمّهات دوراً أيضاً في احتضان أطفالهن الذين يتعلّقون بهنّ أكثر بسبب الخوف ويحتمون بهنّ، ولكن بعض الأمّهات، ونتيجة للوضع المتوتّر، يصرخن أمام الطفل مما يخلق جوّاً من الخوف وكأنّ الطّفل يعيش على أرضيّة مهتزّة.

لقد تبيّن أن الأطفال الذين يصابون بسبب الحرب أو الذين فقدوا أصدقاءهم أو أي فرد من أفراد الأسرة ينفعلون بشدّة عندما يشاهدون جريمة قتل أو إصابة أو حادث لشخص ما حتّى على شاشة التلفزيون، إذ أنهم يستعيدون ذكرى الصّدمة ويتصوّرون المشاهد المرعبة التي خبروها. وهكذا، قد يشعر هؤلاء الأطفال بالوحدة والخوف ويفقدون الرغبة في الدّراسة، وتظهر عليهم علامات الخوف والارتباك وضعف التركيز والانتباه.[1]

---

1 - الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، حرب الخليج: أبعادها و آثارها على أطفال الكويت، ص167 .

ومما لا شك فيه أن دور الأسرة مرتبط بالتّحصيل الدراسي لدى الأطفال. هذا بالإضافة الى قائمة المشاكل النّفسية مثل: الحزن والاكتئاب، الخوف والقلق، وتشتّت الانتباه والإحساس بالضّيق، وغيرها من المشكلات النّفسية.

ج- دور الإعلام

تتوقّف أعراض اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة على درجة التّعرّض للصّدمة، ويبيّن (Saigh, 1991)[1] أنّ أعراض ptsd قد تنشأ من التّعرّض للصّدمة مباشرةً من خلال المشاهدة أو السّماع بها. وفي معظم الحالات، وبالرّغم من إبعاد بعض الأطفال عن الحرب الفعليّة، فإنّهم يتلقّون معلومات عنها من خلال أقاربهم وأقرانهم أو عبر وسائل الإعلام. ومع زيادة انتشار الفضائيّات، فإنّ هناك عرضاً سافراً لأخبار العنف والقتلى، فصورة الصّبي محمد الدّرّة*، على سبيل المثال، قد ظهرت فوراً في جميع أنحاء العالم.

يتابع النّاس أنباء الحروب والأزمات على شاشة التلفزيون. والكل يعرف كيف تبث محطّات التلفزيون صُوَر المعارك والقتلى والجرحى بشكل تقشعر لها الأبدان وتنفر منها النّفوس الحسّاسة التي تتأثّر سلباً بدون شكّ بتلك المشاهد.

فالأسرة التي تتابع الأخبار من خلال جهاز التلفزيون لن تستطيع عزل الأطفال عن رؤية صُوَر الحرب والمجازر. لذا، فقد يتلقّى الطّفل جرعات من الأخبار وصُوَراً عن الحرب وما يتضمّنه ذلك من مشاهد مرعبة تخدش نفوس الأطفال.

وهكذا يتوصّل الأطفال إلى اكتساب مصطلحات حربيّة بواسطة وسائل الإعلام، وكلّها تدخل في ثقافة الموت مثل الجرحى والقتلى والجثث والصّواريخ والمدافع والدّبابات والقِناص والطائرات الحربية إلخ...

---

1 - غسّان يعقوب، **أطفال الحرب في لبنان**، ص33.

* محمّد الدّرة وهو طفل فلسطيني قُتل برصاص الجنود الإسرائيليّين وهو في حضن أبيه في أيلول 2000، مع بداية انتفاضة الأقصى.

إنّ التّلفزيون يقدّم للأطفال نماذج مشتركة من التّماهيات والتّصرّفات والقيم التي تعبّر عن الثقافة الاجتماعيّة وعن الإيديولوجيا السّائدة، ويدور الإعلام في لبنان على الدّعاية التّجاريّة والسّياسة والطّائفيّة والحروب.

ويكاد لا يمرّ يوم إلا ويرى فيه المواطن اللّبناني على الشّاشة الصّغيرة شخصيات الطّبقة المسيطرة والشّخصيّات الدّينيّة بكل ما تمثّله من تناقضات أو نفور وانجذاب، تُضاف إلى ذلك مشاهد الحرب والدّمار والموت التي أصبحت خبزنا اليومي طوال خمس عشرة سنة وأكثر.

لم نجد ضرورة للدّخول في التّفاصيل بشأن تأثير وسائل الإعلام المرئي في الأطفال، لأنّ هذا الأمر يخرج عن حدود بحثنا، ولكنّنا أردنا أن نشير إلى أنّ الطفل اللّبناني يعيش في بيئة ملوّثة إعلاميّاً وسياسيّاً. زد على ذلك النّزاعات المسلّحة والصّراع العربي ـ الإسرائيلي ، وبالأخص حرب تموز التي كانت مرعبة وعنيفة في طبيعتها وقوّتها ونتائجها التّدميريّة.

ومن خلال هذا العرض، يمكننا القول بأن نتائج الدراسات التي أجريت على الأطفال قد أشارت إلى الآثار السّلبيّة للحروب في الأطفال أكان ذلك على الصّعيد النّفسي أو الدراسي.

أمّا المسألة الأساسيّة التي تطرح نفسها هنا فهي : إلى أي مدى أثّرت حرب تموز في الأطفال؟ وهل هذه الآثار ما تزال قائمة أو أنّها في طريق الإنطفاء؟

وهل الحروب والنّزاعات المسلّحة تعرقل عمليّة النّمو الإنفعالي والإجتماعي عند الأطفال؟.

بمعنى آخر، ما دور المجتمع المحلّي وما فيه من منظّمات وأحزاب في تنشئة الطفل على مبادئ العيش المشترك والسّلام؟

خاتمة

لقد تبيّن لنا من خلال ما تقدّم، ومن خلال الدّراسات التي تناولت تأثير الحروب والنّزاعات في الأطفال وجود قاسم مشترك يتمثّل في أنّ النّمط الأصلي لتأثير الخبرات الصّادمة في الأطفال هو في الأساس اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة، وهذا الاضطراب هو الأرضيّة العامّة التي قد يتولّد منها الكثير من مشكلات التّكيّف واضطراب السّلوك وتدنّي التّحصيل المدرسي.

إنّ ردّات فعل الطّفل تختلف من منطقة إلى أخرى ومن مرحلة نمو إلى أخرى، فمثلاً بعض الأطفال قد يُصبح مُفرط الحركة، وبعضهم الآخر قد يبكي ويخاف، ومنهم من يهرب باستمرار من المدرسة أو يُعبّر عن معاناته باللّعب المفرط أو الثرثرة، فلا بدّ ان نترك للولد فرصة لتأخذ ردّة فعله مداها، أكان من خلال الرّسم الحر أو التّعبير الكتابي. والأهم من ذلك يجب أن يتعلّم الطّفل كيف يتكيّف مع الظروف لكي يعي أنّ ألَمَه مرئي ومسموع، وأنّ الرّاشد جاهز لفهم ما يشعر به الطّفل، لأنّه إذا أحسّ بالأمان فإنه قد يهدأ ويبدأ بالتّعبير عن الحادث. وهذا الأمر قد يُساعد على المدى الطّويل في السّيطرة على الأزمة وتجاوزها بخلاف النظرة التي تقول بأن نبعد الطّفل عن صدمات الواقع.

فما هو دور تقنيتي الرّسم الحرّ والتّعبير الكتابي في الكشف عن تلك الآثار ؟؟ هذا ما سنتعرّف إليه في الفصل الثاني من الباب الأوّل.

الفصل الثاني الرّسم الحر والتّعبير الكتابي عند الأطفال

تمهيد

بعد أن تناولنا في الفصل الأوّل موضوع الصّدمة عند الأطفال وتأثيراتها النفسية والتربويّة فيهم، نأتي لنتعرّف الى لغتهم الدّاخليّة التي يعبرون بها من خلال رسوماتهم وكتاباتهم (التعبير الكتابي) لنكشف عن عالمهم الدّاخلي، وخاصة فيما يتعلّق بحرب تموز وانعكاساتها عليهم.

اللّغة أداة التّواصل، وهي من أهم الظواهر الاجتماعيّة والانسانيّة. بها تتجلّى الحضارة وثقافة المجتمع، فهي مرآة لهذه الثقافة التي تحفظ التراث الإنساني عبر الأجيال.

تظهر أهميّة اللّغة في ما تقدّمه من وظائف لتسهيل حياة البشر ونقل التّراث العلمي والأدبي. فاللّغة بالنّسبة للفرد، وسيلة تعبير عن مشاعره وعواطفه وأحاسيسه وأفكاره. فحاجة الفرد للتّعبير عن نفسه ضروريّة. فالطفل قد يستطيع التّعبير عن نفسه بالكلام ولاحقاً بالكتابة، ولكن الرّسم هو لغة الأطفال العفويّة في العالم كلّه.

.... ونحن في هذا الفصل سنتناول الرّسم والتّعبير الكتابي كأداتين من أدوات التّعبير عن الذات. فما دور كُلٍّ منهما في تعبير الأطفال عن أنفسهم وعن عالمهم المُعاش؟

يعتبر الرّسم بدون شكّ من أهم الوسائل التي تساعد الطفل على التعبير عن نفسه وشخصيته وانفعالاته. وهذا يعني أنّ الرسم يستطيع أن يشير الى الخلل الحاصل في النمو الإنفعالي. لذا يجب أن نتابع رسوم الطفل لفترة زمنية معينة حتى نتحقق ما إذا كان قد توصّل الى تخطي الصدمة أو المشكلة القائمة أم أنه ما يزال يعاني منها حتى الآن.

وإذا كان الرسم وسيلة للتعبير عن الذات، فهو أيضاً وسيلة للدلالة على مستوى النمو الذهني. وهنا يستعمل علماء النفس رسم الرجل الذي أصبح معروفاً لقياس مستوى الذكاء عند الأطفال (اختبار كوديناف).

تشكّل رسوم الأطفال موضوعاً مهماً للدراسة لِما لها من دلالات ذهنية ونفسية وفنيّة. فالراشد يتوقف عن الرسم ولا يعود يهتم بهذا الموضوع باستثناء الموهوبين والفنانين. فنحن نعيش اليوم في ثقافة الصورة باشكالها المختلفة (وسائل الإعلام السمعية والبصرية، الكتب الملونة، الألعاب الإلكترونية ذات الأبعاد الثلاثة، معارض الفنون التشكيليّة...).

إن رسوم الطفل لا تنمّ عن عجزه عن تقليد الراشد فحسب بل إنها تعبّر بشكل طريف وفريد عن أنماط تفكيره الخاصة ومداركه ومشاعره. من هنا ظهر الإهتمام المتزايد بطريقة الطفل في التفكير وادراك الأشياء التي يمكن أن نجدها في ابداعاته التشكيلية.

أولاً: الرّسم كأداة للتّعبير عند الأطفال

أ- الرّسم كأداة للتّعبير عن الذات والواقع المعاش

يعتبر الرّسم الحر من الوسائل الإسقاطيّة (Techniques Projectives)* المهمّة التي تساعد الطفل على التعبير عن انفعالاته ومعاناته وواقعه المعاش.

فالرّسم هو من الأنشطة الفنيّة التي تساهم في توسيع آفاق الطفل وتنمية خياله وقدرته على الملاحظة والاكتشاف والإبداع. ويذهب علماء النفس إلى أنّ للرسم قدرة تعبيريّة عفويّة تعكس الظروف النّفسيّة والاجتماعية التي يعيش فيها الطفل.

---

* الإسقاط (Projection) هو ميكانيزم نفسي يقضي بأن يُسقط الشّخص بشكل لا شعوري ما لديه من مشاعر وحاجات ومعاناة من خلال منبّه خارجي لا يرتبط مباشرةً بتلك المعاناة، مثل الرّسم الحر أو اختبار T.A.T ، واختبار رورشاخ ....

ويلعب اللّون دوراً مهمّاً في رسوم الأطفال. فهناك الألوان الباردة مثل الأزرق، والألوان الحارّة مثل الأحمر، ولكلّ لون دلالاته النّفسيّة والانفعاليّة. إن بعض العلماء استعملوا الرّسم كأداة لقياس مستوى الذكاء (كوديناف Goodenough)[1] والبعض الآخر لدراسة الشخصيّة والمشكلات الانفعاليّة عند الأطفال .

من هنا تظهر أهميّة الرّسم في المجال النفسي والتّربوي. فالرّسم يدخل في صلب الأنشطة الفنيّة في رياض الأطفال وكذلك في المدرسة الإبتدائيّة، وهو وسيلة مهمّة للتّعبير عن الذات والقدرات الفنيّة عند الطّفل. هنا تحلّ الصّورة والخطوط مكان الكلمة والجملة. فالطفل هو فنّان صغير يرسم لوحته كما يشعر ويفكّر. إنّه التّعبير العفوي عن الذات.

إنّ التّربية الفنيّة ترمي إلى تنمية القدرات الإبداعيّة عند الطفل وتوفير المناخات المناسبة له. وهذا لا يعني أن يقدّم المعلّم الإرشادات للطفل كي يرسم شيئاً محدّداً، بل المهم هو تنمية الذوق الفنّي والعفويّة المبدعة. ويعتقد الدكتور (كورمان Corman)[2] بأنّ الرسم الحر يعبّر عن شخصيّة الطفل بالذات وعن العالم الذي يحيط به، فهو يكشف عن أشياء أخرى غير الذكاء ألا وهي الشّخصيّة والمعاناة الوجوديّة، أي معاناة الطفل في عالمه المعاش.

إنّ دراسة رسوم الأطفال تقودنا بدون شك إلى قلب المشكلات والوضعيات التي يعاني منها الطفل. كما أنّ الرّسم يقدّم دلالات أو مؤشّرات غنيّة تعبّر عن رؤية الطفل للأشياء والعالم.[3] فالرّسم هو لغة ناشطة مثل الحركة، وهي لغة عالميّة مشتركة بين جميع الأطفال في مختلف المجتمعات.

فالرّسم كاللّغة يتضمّن «العمق» و«الشّكل»[4]، وهذا الأخير يشير إلى معنى الرّسالة.

---

1 - Daniel Widlöcher, L'interprétation des dessin d'enfants, p.117.

2 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d'enfants, p.12-15.

3 - L.Corman, Le test de dessin de famille, p.11.

4 - Elyette, Dany, Colette, Duran et al., L'école maternelle première école, p.78-

فالرّسم يوصل الرّسالة إلى الآخر بشكل أسرع وأوضح من الكلام. صفحات كثيرة نكتبها لكي نصف محتوى «رسمة» واحدة. والتّعرّف الى لغة الرّسم يسمح لنا بقراءة رسوم الأطفال المختلفة وفكّ رموزها.

إنّ الرّسم كالمرآة، فهو يعكس الصّور الفكريّة والنّفسيّة والدوافع اللاشعوريّة التي تكون قابعة في ذهن الرّسّام أو في عقله الباطن، وذلك على الورقة التي هي أمامه، ما يجعله يرى جيّداً ما يدور في داخل نفسه. أمّا بالنسبة إلى الرّسم بالألوان فهو يكشف لنا عن النواة الأساسيّة للنزوات والمشاعر.

ب- عناصر الرّسم عند الأطفال

1 - القصد، الغرض أو النيّة (L'intention):

الطفل يرسم عادةً لكي يلعب. فالرّسم بالنّسبة إليه هو تسلية ممتعة لا تتطلّب جهداً أو شريكاً، وأنّ جميع الأطفال قد يُمارسونه في أوقات التّوتّر والعزلة.

يُعبّر الطفل عادةً عن انفعالاته كالغضب ليس بالكلمات فحسب، ولكن بالأفعال، فهو يمزّق الورقة التي تحمل رسمه ويرميها، وقد يقوم بفرك الورقة بحدّة على الطّاولة، وذلك تعبيراً عن استيائه من المعلّمة. وعندما تقول المعلّمة له أنّ هذا الجزء من الرّسم ناقص، فإنّه يقوم بالخربشة. أمّا إذا أراد الطفل أن يقوم بتصحيح رسم معيّن، فإنّه يقوم بوضع العناصر الجيّدة إلى جانب العناصر السيّئة.

فما هي أهم المواضيع المرسومة عفويّاً عند الأطفال؟

«في الدرجة الأولى، لا أحد يستطيع أن ينكر رسم الإنسان أو الرّجل، وهو الأكثر تداولاً بين الأطفال، اضافةً إلى الأشياء واللّوحات الطّبيعيّة التي يستمدّها الأطفال من خلال نزهة قاموا بها وهناك الرسوم التي تشير الى الأماكن التي يعيشون فيها (المنازل).... وهذه الرّسوم ما هي إلا امتداد للنّمو العقلي. أمّا العنصر الثاني للنيّة فهو ربط الأفكار

بالرسمة».[1]

عند الأطفال من جنسيات مختلفة، يكون الرّسم الأوّل لامرأة أو لأم هو المرادف لرسمة رجل أو أب. هناك ما يُسمّى بالمجانسة أو الرّسوم المتشابهة مثلاً، عندما يرسم الطفل رجلاً أو امرأة، فهو لا يستطيع أن يميّز بينهما.

2 - تفسير رسوم الأطفال

يمكن أن يحدث أنّ التّفسير المعطى من طفل لرسمة ما قد تمّ تنفيذها، يختلف عن النيّة التي حدّدت الرّسمة، مثلاً يقول الطفل « هذه سمكة» ، ولكن في الحقيقة هي ليست سمكة، يفسّر الطفل الرّسمة وكأنّها سمكة لأنّها تشبه السّمكة في نظره، ولكن ليست هي التي أراد رسمها.

«إنّ تفسير الرّسم يتطلّب أولاً القدرة على قراءته. من هنا يجب تركيز الاهتمام على الأشياء المرسومة وعلاقتها بعضها البعض. كذلك يجب وضع اشارة على الخصوصيّات الفنيّة التي تطبع المشهد المقدّم بإشارة خاصة».[2]

إنّ الرسم يعطينا مؤشراً جيداً لنمو الطفل الذي ينتقل من محورية الذات (الأنوية) الى الوعي المتدرج للذات كجزء من العالم الخارجي».[3] وإذا كان الرسم دليلاً على النمو الذهني والإنفعالي عند الطفل، فهو أيضاً أداة للتعبير عن الألم والمعاناة ووسيلة للسيطرة على القلق من خلال اللعب الرمزي مع المشكلة. من هنا تبدو أهمية التفسير لرسوم الأطفال. ولكي نبلغ هذا الهدف يجب أن ندرس عدة متغيرات في الرسم، الشكل وحجم الرسم وأنواع الخطوط والمضمون والحركة واللون....

وعندما ندرس مضمون الرسم، يجب أن نفهم معاني الأشياء والعناصر التي تكوّنه.

---

1 - Daniel Widlöcher, L'interprétation des dessin d'enfants, p.10 - 11.

2 - Daniel Widlöcher, ibid, p.11 - 13.

3 - Lowenfeld.v and Britain,Creative and Mental growth,7ed,m.y.macmillan,1982.

في كثير من الأحيان قد لا يتوصّل الراشد وبالأخص عند الأطفال الصغار، الى فهم موضوع الرسم. لذا يجدر بنا أن نسأل الطفل عمّا رسم حتى نحدّد العناصر والمواضيع التي يعلن عنها. فإذا كان الرسم عبارة عن خطوط ينقصها التنظيم وتغيب فيها البنية (الجشطالت)، فهذا يعني أنّ هناك اضطراباً نفسياً. وهذه حالات نادرة عند الأطفال. ومن المفيد أن يتوصل الباحث الى تحديد موضوع الرسم أو المتن الرئيسي في الرسمة. وعندما يكون هناك متن بارز يطغى على باقي العناصر، فهذا يعني أن الطفل يقصد هذا الموضوع بالدرجة الأولى. وعندما يتناول الرسم موضوعاً واحداً ومميزاً (مثل صورة الرجل)، عندئذ يجب أن ندرس العناصر المكونة لهذا الموضوع من حيث الحجم والتنظيم والتناسق بين العناصر. وهناك مواضيع مألوفة وشائعة بين الأطفال.

إنّ تفسير العناصر والأشياء التي تتضمنها رسومات الأطفال تستدعي الدقة والرؤية والثقافة النفسية لأنّ فكّ الرموز ليس بالأمر اليسير. فهناك أشياء تحمل في الوقت نفسه تفسيراً إيجابياً وآخر سلبياً. إنّ المسألة تتوقف على الإطار العام للرسمة وكيفية توزيع العناصر وعلاقتها مع بعضها البعض.

أكثر المواضيع بروزاً هي الحيوانات والكائنات البشرية والمناظر الطبيعية والمنازل والشمس.... ويبدو أنّ الطفل يختار مواضيع رسمه من البيئة التي يعيش فيها ومن تجاربه الحياتية ومعلوماته المدرسية.

3 - النموذج الدّاخلي في رسوم الأطفال Le modèle interne

يحاول الطفل أن يشير في رسمه إلى كل العناصر التي يراها أساسيّة لهذا الغرض حتّى إذا كانت هذه العناصر غير ظاهرة للعيّان.

«أوّل رجُل أو شخص يرسمه الطّفل يكون مستوحى من أشكال مرسومة من أهله (الأبوان أو الأخوة الأكبر سنّاً). ومن المألوف عند جميع الأطفال تقريباً أن يكون رسم الرّجُل في البداية بدون ثياب، وخاصّةً في حال كان الطّفل يرسم رَجلاً. وبالنسبة إلى

رسومات الأطفال أيضاً، فالملابس غير مهمّة للطّبيعة الإنسانيّة في المراحل الأولى».

«عندما تكون هناك يدٌ واحدة ظاهرة في رسمة الطّفل، فهذا يعني أنّ الطّفل يريد أن يُظهِر الشيء الذي يحمله الشّخص في الرّسمة. أمّا اليدُ الثانية التي لا تحمل شيئاً في الرّسمة فتكون غير مهمّة ولا يقوم الطّفل برسمها».[1]

كما أنّنا نرى الطّفل يُهمل الجذع « Tronc » الذي هو قسم مهمّ من الجسم البشري، والذي يقوم بجمع الأعضاء. ولكن بما أنّ الطّفل يجهل صورة الجسم المتكامل والتّشريح، فهو لا يعرف أن يتحكّم بالرّسم، فنلاحظ عند الأطفال المختلفي الجنسيّات أنّ رسومات الرّجل بواسطة البروفيل «Profile » الخالية من الجذوع، تُظهر الأيادي ملتصقة بالرأس أو الفخذين. اذ يرسم الأطفال عادةً الحيوانات من النّاحية الجانبيّة، أمّا رسومات الأشخاص فعلى العكس فإنّها تكون وجهاً لوجه.[2]

ثانياً: مراحل الرّسم، اختباراته ورموزه الشّكليّة والحركيّة

أ- مراحل الرّسم

الرّسم بالنسبة إلى الطّفل تسلية ومتعة. إنّه نوع من اللّعب، ولكنّه أداة مهمّة جدّاً لدراسة الأطفال والتّعرّف إلى مُعاناتهم وصراعاتهم وقدراتهم العقليّة والفنيّة. لذا، حاول العلماء أن يدرسوا رسوم الأطفال وأن يضعوا النّظريات حولها. وهنا نكتفي بالإشارة إلى بعض النّظريات المهمّة، ألا وهي نظريّة (Luquet) المؤسّس الأوّل، ثمّ نظريّة (J.Royer) التي جاءت بتوليفة حديثة عن الرّسم.[3]

ـ مرحلة الخربشة أو الواقعية العرضية(1 - 2 من العمر)

عندما يبدأ الطّفل بمسك القلم بطريقة مقبولة بحيث يستطيع أن يخطّ شيئاً على الورقة

---

1 - Daniel Widlöcher, L'interprétation des dessin d'enfants , p.11-13.

2 - Daniel Widlöcher, ibid, p.11-13.

3 - Antoine Chami, Le dessin projectif en clinique infantile, p.43.

الموجودة أمامه، فهذا يكون ناتجاً عن القيام بتمرين حركي. إنّ الطفل في هذه المرحلة يلاحظ ما يرسمه وهو يشعر بالفرح. يأخذ الطّفل بعض الوقت قبل أن يقوم بإنجاز هذه الخطوط التي تميّز مرحلة الخربشة. في هذه المرحلة، يكون الرّسم عبارة عن نشاط حركي عضلي.

إنّ الطفل في هذه المرحلة لا يعتمد على الرّسم القصدي وإنّما تأتي رسوماته بشكل عرضي وبالصّدفة. فليست هناك نيّة مُسبقة لرسم شيء محدّد مسبقاً. لذا تُسمّى هذه المرحلة أيضاً بالواقعيّة العفويّة.

ـ مرحلة الواقعيّة النّاقصة (3 - 4 سنوات) Réalisme manqué

هناك تقارب في الأفكار يحصل عند الطّفل ما بين الذي خطّه عفويّاً على الورقة وظهور الشيء أمامه. فهو يهتمّ إذاً في إحراز النّجاح عن قصد مما يوصله إلى مرحلة الواقعيّة النّاقصة. لنعتبر ما خطّه عفويّاً وظهر أمامه على الورقة على سبيل المثال هو تفّاحة. يهتمّ الطّفل هنا في تجويد رسم هذه التّفاحة. فالطفل هنا يرسم بعض أجزاء من التّفاحة وينسى الأجزاء الأخرى. فهو لا يستطيع أن يُراقب حركات يده.[1]

ـ مرحلة الواقعيّة الفكريّة (5 - 8 سنوات)Réalisme intellectuel

في هذه المرحلة، يقوم الطّفل بإنتاج ما يَعرفه عن الأشياء وليس ما يراه، حيث يتوصّل أخيراً حوالي الثّانية عشرة من العمر إلى مرحلة الواقعيّة البصريّة. فالطفل يريد هنا أن يرسم كل ما يعرفه عن الشيء وليس كما يظهر له الآن في وضعه المكاني. فهو يرسم مثلاً شعر الرّجل من تحت القبّعة لأنّه يعرف أنّ الرأس مملوء بالشعر.[2] وهناك ثلاث صفات للواقعية الفكرية في رسوم الأطفال:

1 ـ النموذج المثالي: حيث يريد الطفل أن يرسم كل ما يعرفه عن الشيء بدون أن يأخذ بالإعتبار موضع هذا الشيء في المكان وعلاقة العناصر مع بعضها البعض. إنه يريد أن

1 - G.H.Luquet, Le dessin enfantin, p.18-21.

2 - Antoine Chami, Le dessin projectif en clinique infantile, p.79.

يكون رسمه كاملاً وأن لا يحذف أي عنصر يعرف أنه موجود أساساً في الشيء.

2 ـ الشفافيّة: وتعني رغبة الطفل في إبراز عناصر الشيء الخفية أو المستورة. فالطفل يريد أن يرسم الأشياء غير المنظورة في الحقل البصري. فإذا رسم منزلاً، فهو يرسم الأثاث بكامله والأشخاص المتواجدين في داخله.

3 ـ التّسطيح: ويعني أن الطفل يرسم الأشياء بشكل مسطّح وكأنه يراها من فوق كالطائر، فيأتي الرسم كخارطة جغرافية. فهو يرسم مثلاً عجلات السيارة بشكل مسطّح.

ـ مرحلة الواقعيّة البصريّة (8 سنوات وما فوق)Réalisme visuel

يتوصّل الطفل في هذه المرحلة إلى النّضج في رسمه، حيث تصبح لديه القدرة على مشاهدة الأشياء لكي يعبّر عنها من خلال الرّسم. فهو يرسم على سبيل المثال، الشّجرة والزّهرة والعصفور.... وهنا يقترب الطفل في رسوماته من الرّاشد. فهو يرسم الشيء كما يراه الآن في المكان. وهنا يبدأ مفهوم المنظور بالظّهور.[1]

ب- صفحة الرّسم ومعناها

"بعد سنّ السّابعة من العمر، يعتبر عدم استعمال مركزيّة الوسط في الرّسم على الورقة خارجاً عن القاعدة العامّة، وقد يُشير إلى بعض الصّعوبات في التّكيّف الاجتماعي. كذلك فإنّ الخروج عن حدود الورقة يعني أنّ الطّفل يعاني مشكلة ما كالهروب والكبت".[2]

يبدو حسب الملاحظات الإكلينيكيّة أنّ الأطفال الذين يعانون مشاكل عاطفيّة لديهم ميل لملء الصّفحة كلّها بالرّسوم، فإنّ عدد التّفاصيل يتضاعف عند هؤلاء الأطفال في الرسم بالمقارنة مع الأطفال الأسوياء.

إنّ رسم الصّفحة يمكن أن يضمّ صُوراً نمطيّة مثل القلوب والنّجوم والغيوم وهي

---

1 - G.H.Luquet, Le dessin projectif en clinique infantile, p.26-33.

2 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d'enfant p.123-125 .

عناصر تتماشى مع ميول الأطفال. من جهة ثانية، يقوم بعض الأطفال برسم خطوط لا تمثّل شيئاً، وذلك فقط لملء الفراغ على الورقة. هذا العمل هو من صفات الأطفال الماهرين والموهوبين فنيّاً، والذين يتمتّعون بمخيّلة واسعة في الرّسم، ولكن ليسوا بمنأًى عن المشاكل العاطفيّة.

أمّا بالنّسبة إلى مسألة الإخراج، ففي أغلب الأحيان، يجد الطّفل نفسه أمام مساحة رسم موحّدة ومستطيلة. ونلاحظ أنّ أغلبيّة الأطفال يستعملون الصّفحة أفقيّاً، أمّا استعمالها عموديّاً فيأتي عند الأطفال المكبوتين. إنّ جهة اليسار تختصّ بالماضي، وجهة اليمين بالمستقبل، والأسفل يختصّ بالحياة الماديّة، والقسم الأعلى بالحياة الخياليّة والمثاليّة بحسب دراسات علماء النفس.[1]

ج- اختبارات الرّسم

1 - موضوعات الرّسم

هناك مواضيع واختبارات متعدّدة يقوم الأطفال برسمها في بداية الحياة المدرسيّة. من هذه المواضيع وأهمّها رسم الرّجل أو الانسان (Le bonhomme)، العائلة، الحيوان، الكائنات الأسطوريّة، آلات الحرب، الأسلحة، المنزل، السّماء، الغيوم، المطر، الثّلج، الشّمس، القمر، الأزهار، الشّجر، الماء والنّار. فما المقصود من هذه المواضيع وماذا تعني للطفل خاصّةً عندما نطلب منه القيام برسم حر لأيّ موضوع يختاره؟.

- الرّجل أو الانسان: ما يهم الفرد أساساً هو ذاته، ومن خلال ذاته هناك الذين يشبهونه. وليس من المستغرب إذا قلنا بأنّ رسم الانسان ليس فقط هو المطلوب بالدّرجة الأولى ولكنّه الأكثر شيوعاً. فمن مئات رسوم الأطفال العائدة إلى 41 بلداً في العالم وجد " أبراهام Abraham "[2] أنّ هناك 71 % من هذه الرّسوم تحتوي على رسمة

1 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d'enfants p.136-137

2 - Jacqueline Royer, ibid, p.123-125.

الانسان. ويعتبر اختبار رسم الرّجل للعالمة النّفسيّة الأميركيّة " فلورانس كوديناف " من المحاولات الأولى البالغة الأهميّة في الرّبع الأوّل من القرن العشرين لجعل قياس الذكاء أمراً ميسوراً.

إنّ اختبار رسم الرَّجُل لا يزال من الأدوات الشّائعة التي يستعملها الأخصّائيون النّفسيّون والباحثون في بلدان العالم، سواء على مستوى العمل العيادي في مراكز دراسة الطّفولة أو في رياض الأطفال والمدارس الابتدائيّة. وفي الوقت نفسه، يبدو أنّ استعمال الرّسوم في العلوم النّفسيّة والتّربويّة، بوجه عام، هو في ازدياد وتوسّع، ليس في مجال القياسات العقليّة فحسب، وإنّما أيضاً في مجال الدّراسات حول الشّخصيّة أو في العمل العيادي.

وإذا كان اختيار رسم الرّجل، بحسب الأبحاث التي أجريت عليه حتى اليوم، قليل الفائدة في هذا المجال، فإنّه لا يزال مع ذلك يزخر بإمكانات كثيرة، لأنّه يُستعمل كأداة مفيدة. فبالقياسات العقليّة مع الأطفال المعاقين والمتخلّفين الذين لا تصلح معهم الاختبارات التقليديّة أو الشفويّة، فإنّ الاختبار المذكور يوفّر مجالاً ناجحاً للعمل مع هذه الفئة من الأشخاص ومنهم الصّمّ أيضاً.[1]

- العائلة: عادةً إنّ الأشخاص القريبين من الطّفل هم نماذجُهُ الواضحة أي الأم والأب والإخوة والأقرباء؛ وعندما يظهر في رسوم الأطفال أشخاص كثر، فَهُم يمثّلون، بالتأكيد، أفراد أسرته مع خصوصياتهم الطبيعيّة والنفسيّة. وعندما يظهر الطفل هذه الخصوصيات في رسمه، فإنّه يكون هنا قد أظهر درجة من التّعاطف والانجذاب التي يكنّها لأفراد العائلة.[2]

- الحيوان: يستطيع أن يكون الحيوان موضوعاً يختاره الطفل لرسمه. ومن الملائم

1 - نعيم عطيّه، **ذكاء الأطفال من خلال الرّسوم** (نسق جديد لاختبار «رسم الرّجل» دراسة تجريبيّة)، ص7 - 8.

2 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d'enfants, p.123-125

الاستعلام عن الحضور الفعلي لهذا النّوع من الحيوان الذي وقع عليه اختيار الطّفل، لمعرفة بعض المعطيات عنه: أَهُوَ يعيش في بيئة الطفل؟ أم أنّ هذا الأخير يملك حيواناً كالكلب، والهر، والأرنب، والعصفور.... إنّ الحيوانات تلعب دوراً كبيراً في حياة الأطفال: " انعكاس المشاعر الممكنة مثل الحب والقسوة مروراً بالغيرة ". فالحيوان هو في أكثر الاحيان مرافق للطفل في لعبه، كذلك في أوقات حزنه وكآبته، ومن جهة ثانية، إنّ الطّفل يتعلّم من خلال الحيوانات آلية الولادة والجنس والموت.

- الكائنات الأسطوريّة: في هذه السلسلة، تظهر في رسوم الأطفال الملكات والسّاحرات والملائكة وهي قادرة أن تحوّل الحياة إلى نعيم بلمسة عصا سحريّة. هذه أمنية تعبّر عنها الفتيات من خلال رسوماتهنّ.

- آلات الحرب والأسلحة: وهي مواضيع أساساً ذكوريّة. ومن بين ذلك ظهور المركب. وهذا شيء مألوف خصوصاً عند الصّغار. هذه الصّورة ترمز إلى علاقة الطّفل بأمّه من خلال دغدغة الأمواج العذبة، أو قلّة الأمان من أمّ مضطربة. كذلك ترمز الأمواج إلى الصّراع الأوديبي مع الأب، حيث يأخذ الطّفل هنا الأم كسند أو ركيزة له. أمّا الطّائرة فإنّها تمثّل الإقلاع والنّجاح والهروب إلى بلاد بعيدة، وتمثّل السيّارة أخطار الحوادث أيضاً. وهناك رسم الأسلحة التي تمثّل العنف والعدوانيّة مثل البندقيّة والمسدّس والأسلحة البيضاء.

- المنزل: هذا الموضوع هو المفضّل في الرّسم عند الفتيات والفتيان، ولو كان المنزل يرمز إلى الانثى. فالعديد من العائلات تقطن الشقق، ولكن المنزل الصّغير والمنفرد هو الذي لا يزال الموضوع المألوف عند الأطفال، وهو رمز الأمان والرّاحة.

- السّماء: هي العنصر الكونيّ الأوّل الذي يرسمه الأطفال قبل الأرض عادةً وبحدود السنة السّادسة. وتتمثّل السّماء بشريطٍ من الألوان الزرقاء في أعلى الصّفحة من دون أن يحدّه شيء بالأرض. وفي الوقت نفسه تظهر في السّماء الشّمس والقمر والنجوم، بالإضافة إلى العناصر الحيّة مثل العصافير والفراشات. وما بين ست وتسع سنوات نعثر

في رسوم الأطفال على أكبر عدد من السّماوات. وبعد سنّ التّاسعة، يبدو أنّ الطّفل يهمل هذا الموضوع.

- السّماء اللّيليّة : هي قليلة في رسوم الأطفال. فاللّون الأسود استثنائي وهو يعبّر عن المخاوف الكبيرة عند الطفل.

- الغيوم: عندما تظهر بشكل متلبّد وبكثرة، فقد تشير إلى التّهديدات الكبيرة.

- المطر: عنصر مائي، مؤنّث، يشير إلى جوّ عائلي حزين مملّ مسيطر أو موبّخ.

- الثّلج: يذكّر بالبرد، والوحدة، وغياب الدفء العاطفي، أو يرمز إلى صورة الأب كلّي الوجود ولكنّه مثقل بالمتاعب. ويمكن أن يمثّل الثلج أيضاً عند الأطفال رياضة الشّتاء.

- العاصفة: هي الصّورة الواضحة للمشاجرات العائليّة، حيث يكون الطّفل شاهداً على الشّجار بين الأبوين. وعندما يدخل قوس قُزَح في رسوم الأطفال، فإنّ هذا الأمر يشير إلى المصالحة الفعليّة أو المتوقّعة بين الأهل.

- الشّمس: وترمز أساساً إلى الأب. ووجودها في الرّسم يطرح المسألة الأوديبيّة على بساط البحث. فالشّمس نراها تقريباً غائبة في رسوم الأطفال المتحدّرين من عائلات من دون أب، والشّمس تكون غالباً موجودة في رسوم الفتيات الصّغيرات والصّبيان الأكبر سنّاً. والطريقة التي تبرز فيها الشّمس هنا تؤكّد شكل العلاقة بين الطّفل وأبيه. عند الأطفال الأصغر سنّاً تبرز الشّمس على شكل وجه مع عيون وأنف وفم، ويمكن أن تكون أشعّتها عدوانيّة أو غريبة، ما يشير إلى وجود سلوك مضطرب عند الطفل. فالشّمس الطبيعيّة ليست عادةً في وسط الصّفحة، ولكن في إحدى الجهتين، اليسرى أو اليمنى بحسب الجنس والعمر.

- القمر: هو رمز أنثوي قريب في بعض الأحيان من الشّموس، وهو يشير إلى اضطراب مفهوم الزّمان.

- الأرض: تمثّل الأرض في الرّسم الاستقرار والثبات. وهذا ما يحدث في حوالي السّنة السّابعة من العمر. بعد ذلك، تأخذ الأرض في رسم الطّفل خطّاً أفقيّاً. وبعد سنّ التّاسعة تتّخذ الأرض شكل السّطح.

- الأزهار: تظهر في رسوم الفتيات أكثر من الفتيان (19 % مقابل 6 %). فالزّهرة ليّنة، عطرة الرائحة، وسريعة الزّوال. وتذكّر بالدّلال والغنج والرّغبة في الإعجاب وروح العيد.

- الشّجر: تبرز الشّجرة أكثر من الزّهرة في المواضيع المتعدّدة لرسوم الأطفال الأكبر سنّاً. أي طفل لم يرغب يوماً في تسلّق الشّجرة؟ عندما يتسلّق الطّفل الشّجرة يشعر بأنّه قد سيطر على العالم.

فالشّجرة تحمل الفاكهة وتعبّر عن الشّراهة، اضافةً إلى الرّغبة في النّجاح وهي تحمل الثّمار. فضلاً عن ذلك، فالشجرة تستطيع أن تكون مأوى للحيوانات، وأن تخدم الإنسانيّة في البناء وفي التّدفئة على السّواء. رمزها غنيّ ومعقّد وله أهميّة عند الطّفل.

- الماء والنّار: ترمز النار إلى روح الرّجولة، كما يرمز الماء إلى روح الأنوثة. فالنّار تذكّر بشرارة الحياة، والماء بالسّعادة والرّحمة. النّار والماء هما من رموز الحياة، وهما شائعان في رسومات الأطفال، وهما يعبّران عن قوّة المشاعر وعمقها. نلاحظ صُوَراً لهذه العناصر عند الأطفال الذين يرسمون مركباً تضربه الأمواج. فالنّار تجعلك ترى كل الألوان، بشعلتها الذهبيّة، وتصبح حمراء عند الغضب.[1]

النّار تظهر في رسوم الأطفال المختلفة. فالنّار الهادئة هي رمز الحرارة والدفء في العائلة. والمنزل المدمّر هو إشارة إلى افتراق الأبوين، والنّار في الغابة هي العنف الشّامل.

الرّسوم الحرّة هي الأكثر صعوبة للتّفسير، وبالأخص عندما يعمل الباحث بطريقة سطحيّة، ولا يعتمد معلومات دقيقة حول الظّروف التي كانت قائمة عندما قام الطّفل

1 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d'enfants, p.150

بهذا الرّسم. إن تفسير الرّسوم هو من عمل الأخصّائيّين في مجال التّفسير النّفسي، وهو يتطلّب الكثير من المهارة العلميّة.

2 - رموز الأشكال

"يجد كلّ طفلٍ طريقة خاصّة في رسمه. فمنهم من يحبّ رسم الأسطر اللامتناهية والرّسوم الواسعة المرفقة بالخطوط، وفي بعض الأحيان، تكون هذه الرّسوم غير جميلة ولكنّها دالّة. ومنهم، في المقابل، من يُفضّل رسم التّظليل، والقسم الثالث يفضّل الأسطر المتموّجة والحلقات والأشكال الحلزونيّة التي تشير إلى المرونة والجاذبيّة النّاعمة."[1]

ـ النقطة: ترمز إلى البداية والنّهاية معاً. كما تدلّ أيضاً على الطّاقة الأساسيّة لقوّة الليبيدو.

ـ الخط المستقيم: ويرمز إلى القرار والصّدق والصّلابة والقوة الذكوريّة، وهو أيضاً محرّك للعنف.

ـ الزاوية: دليل القوّة.

ـ المربّع: شكل جيّد، ولكنّه بدائي، ويعبّر أساساً عن الإنسان الواعي والقدرة على السيطرة.

ـ المستطيل: في بعض الأحيان يأتي المستطيل في الرّسومات بشكل معقّد ومتوازي الأضلاع.

فالمربّع يعني أنّ الشّخص يستطيع أن يجتاز الرؤية البدائيّة للعالم، ويتحرّر من الضغوط.

إنّ التشويه الحاصل في رسم المربّع والمستطيل يُشير إلى هبوط الإرادة، واقتراب الإنهيار. وفي الحالات القصوى، قد يُشير المربع والمستطيل إلى الحصر والعزلة والاضطراب النّفسي (والفِصام).

---

1 - Daniel Widlöcher, L'interprétation des dessin d'enfants, p. 27.

المثلّث: هو شكل جيّد، ويحدّد الصلة بين المربّع والدّائرة، وفيه تلتقي السّماء بالأرض. إنّه يشكّل الكثير من سقوف المنازل وقبب الأجراس. يكثر شكله في رسوم الأطفال ما بين 4 - 7 سنوات.

المعيّن: هو التصاق مثلثين، ويرمز إلى المشكلة الأوديبيّة.

الدّائرة: هي أولى الأشكال المنحنية، وتشير إلى صورة صدر الأم، أو صورة الأم نفسها، بل المرأة بشكل عام، وكل الملاجئ البدائيّة من العش إلى الحجر، إلى المغارة، إلى البيت. في وجهها السّلبي،تمثّل الدّائرة حب الذات والانطواء وتجاهل الخارج ورفض الطفل والاستسلام.

الخط الحلزوني: هو دائرة حيّة، تكبر وتلف على نفسها. نجدها في تقديم أوراق الشّجر، وفي الغيوم، والدّخان المتلاشي. وعندما يأخذ الخط الحلزوني شكل الزوبعة، فهذا يعني شعور الشّخص بالاضطراب، والعجز عن ضبط المشاعر.

الخط المنحني: يدخل في الوجود الطّبيعي لكل الكائنات الحيّة وخصوصاً الشيء النّاعم والخفيف مثل الألبسة والشّعر والرّيش. باختصار، إنّ استعمال الخطوط المنحنية يُشير إلى الصّحة والشّعور المرهف والقدرة على التكيّف والتّجديد.[1]

3 - الحركة

إنّ الأطفال الذين يظهرون في رسوماتهم القليل من الحركة هم الأصغر سنّاً، والمعاقون عقليّاً، والمتخلّفون والمُصابون بالاضطرابات النفسيّة والجسدية. والأشخاص الذين يعطون كثيراً من الحركة هم الأشخاص المكبوتون الذين يكتمون نزواتهم مثل الأطفال والمراهقين الذين يعانون بعض الصعوبات، ومنهم الأطفال المصدوُمِين.أخيراً تظهر الحركة عند الريّاضييّن والأذكياء والمبدعين أو القادرين على التّسامي.[2]

1 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d'enfants, p.151-164 .

2 - Jacqueline Royer, ibid, p.165-167.

ثالثاً: الألوان

يظهر الأطفال في هذا المجال فروقات فردية كبيرة. قد يكون اللّون للزينة، عندما يكون الشيء الذي نريد تلوينه هو في الحقيقة من لون آخر مثل الثياب، وقد يكون اللّون واقعيّاً وطبيعيّاً كاللّون الواقعي للسماء والبحر والأزهار والأشجار.(1)

أ ـ لغة الألوان

ـ الأحمر: هو الأكثر حرارة بين الألوان. هو جسر بين الحياة والموت، هو لون الليّبيدو أي طاقة الحب والنزوة في كل نفوذه وسيطرته أكان ذلك من جهة الحب أم من جهة الكره. هو اللّون المفضّل عند الأطفال الأصغر سنّاً أي بحدود 6 - 7 سنوات وبالأخص الصبيان.

ـ البرتقالي: هو لون حيّ، يعبّر عن ازدواجيّة المشاعر غير الثابتة. يكون على اتصال مع الشّمس، والنّار، والدفء.

ـ الأصفر: له تقريباً معاني اللّون الأحمر نفسها، ولكن بطريقة أقلّ عنفاً. إنّه يعبّر عن العفويّة والفرح والابتكار، هو مضيء، ويعبّر عن الحاجة للرؤية الواضحة، ويرمز إلى المعرفة. إنّه لون البداية والظهور والانفجار (صفار البيضة أو الصّوص). وهو عادةً اللّون المفضّل عند الأطفال الأصغر سنّاً. من الناحية المعاكسة، يأخذ اللّون الأصفر وجهة التّدمير والحرق أو اللّهب الخفيف. هو إذاً رمز القلق، والشّك، والعداء، والغيرة، والاضطراب.

ـ الأخضر: يسمّى لون التّوازن، وهو الأكثر استعمالاً عند الأطفال ما بين 6 - 13 سنة. إنّه أقلّ إحساساً و أكثر ديناميّة من اللّون الأزرق وهو يعبّر عن موقف واقعي.(2)

---

1 - G.H.Luquet, Le dessin enfantin, p.13-14.

2 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d'enfants, p.178-180

ـ الأزرق: هو لون السّماء والماء والعذراء. ويعبّر عن الهدوء والحنان والسّكينة والرّغبة في تجنّب التّوتر والتّشنّج. وهو داعم لأعماق الشّعور. تُفضّله الفتيات وكذلك الأطفال الأكبر سنّاً ما بين عمر 11 - 13 سنة. إنّه من الألوان الأكثر استعمالاً في عمر الخمس سنوات.

ـ اللّيلكي: يعبّر عن الحزن والوحدة والمرض والعجز، ولكنّه يظهر وكأنّه حداد ملوّن بعض الشيء بالوعود والانبعاث والرّجاء.

ـ البنّي: هو أساساً لون الكبت، وضبط النّفس، والخضوع للقانون. هو لون حقيقي وقاسٍ، يُظهر ارتباطاً بالرّجولة. هو لون توكيد الذات. يشير وجوده في الرّسم إلى مشكلة ما. غالباً ما يختار هذا اللّون الذكور من الأطفال، والأكبر سنّاً، والأكثر تفكيراً وحكمة.

فالبنّي يشير إلى قبول السلطة والخضوع والتطابق الاجتماعي. وقد يُشير أيضاً إلى العصيان المبطّن والحزن المطوي، والنّقص في العفويّة إذا أكثر الأطفال من استعماله.

ـ الأسود: موجود على حافة اللّون الأبيض، هو لون عنيف يرمز إلى العدم المطلق والسّكون الأبدي والقلق والحداد والموت. إنّه يرمز إلى النّهاية من دون عودة. وجود اللّون الأسود في الرّسم، خصوصاً في شكل مسطّح، يُشير إلى الحماية المربوطة بقلق قوي واضطراب مزاجي وعذاب من دون حلّ. الأسود هو اللّون الأكثر استعمالاً من الأشخاص المكتئبين والمعذّبين والفُصاميين (Les schizophrènes) والذين يميلون إلى الانتحار.

ـ الرّصاصي: شبيه بعض الشيء بالأسود. إنّه لون الكآبة، والضّيق، والعذاب الذي لا ينتهي. يُذكّر بالرّماد والضباب، وبفقدان الشّجاعة، والإرهاق. هو الميل للكتمان وغياب الذات. هو لون الظّل والسّر. يختار الأطفال الرّصاصي قليلاً جداً، بينما يختاره الأطفال المتألّمون نفسيّاً. وإذا جاء الرّصاصي بمساحة قليلة، فهو يدلّ على الاعتدال والرّصانة مع شيء من الحزن.

ـ الأبيض: هو نقيض الأسود مثل الخير والشّر، والنّعيم والجحيم، والعدم والبداية. إنّه السّكينة الخرساء والفراغ. من هنا فهو يوحي بالولادة وبالفجر والقدرة الإبداعيّة. وهناك علاقة بين اللّون الأبيض والثلج والماس والشّفافيّة والضوء السّاطع. ولكن الأبيض في الوقت نفسه هو لون بارد. ويشير من الجهة المعاكسة إلى أنّ صاحبه غير مبالٍ ورفضي في القول والفعل.[1]

ب ـ التمييز بين ثلاثة أنواع من الألوان

يمكننا التمييز بين ثلاثة أنواع من الألوان التي تلعب دوراً مهمّاً في نفسيّة أطفال الرّوضة:[2]

ـ الألوان الحارّة: وتضم الأحمر والأصفر والبرتقالي. وهي ألوان عاصفة تدفع إلى الحركة باتّجاه الخارج، وهي مستعملة من قِبل الأفراد ذوي الطّبيعة المشتعلة والصّريحة والمندفعة.

ـ الألوان الباردة: وتضم الأزرق والأخضر واللّيلكي، وهذه الألوان تعبّر عن مشاعر تتّصل بالاعتدال والتّفكير الهادئ.

ـ الألوان المحايدة: وتضم الأسود والبنّي والرّصاصي. نعثر على هذه الألوان عند الأشخاص الذين يقومون بمشاطرة الآخرين أحزانهم وأفراحهم.

إنّ مزج الألوان بعضها بالبعض الآخر في رسومات الأطفال له تفسيرات خاصّة وغنيّة:

ـ الأخضر والأحمر: معاً يُشيران إلى وجود الغضب والتناقض.

ـ الأحمر والأصفر: معاً يُشيران إلى التّراجع والتقهقر.

1 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d’enfants, p.180-183 .

2 - Jocqueline Royer , ibid , p.185-187.

ـ الأحمر والأسود: معاً يرمزان إلى السّادومازوشيّة.*

ـ البنّي والأصفر: معاً يُشيران إلى المرحلة الشرجيّة، ومسائل الإخراج والتّبوّل والأفكار الوسواسيّة. هذه الألوان تحدّد معنى القوة والسيطرة على العنف[1].

رابعاً: مراحل تطوّر الرّسوم، قراءتها وأهميّتها النّفسيّة عند أطفال الحرب

أ- تطوّر الرّسوم وكيفيّة تجميعها

1 - تطوّر الرّسوم حسب العمر والجنس

تختلف رسومات الأطفال حسب العمر والجنس أكان ذلك بالنّسبة إلى المواضيع المختارة أو بالنّسبة إلى الخطوط والألوان والشّخصيّات.

المواضيع: يختار الذكور المواضيع التي تتطلّب القوة كالرّياضة ووسائل النقل، بينما تختار الإناث المواضيع الاجتماعيّة مثل قصص السّحرة والموضة.

القوائم: تغلب عند الذكور الخطوط المستقيمة، وعدم التوسيع في الرّسمة، بينما تغلب عند الإناث الخطوط المدوّرة والتّوسيع في الرّسمة[2].

الشّخصيّات: يرسم الذكور الشّخص الذّكر عادةً ويعطون أهميّة للعضلات، ويظهرون الوجه والشّعر، أمّا الأنف فَهُم يعتنون به لإظهاره بشكل لائق. إنّ الشّخص في رسوماتهم يظهر بشكلٍ عارٍ. أمّا الإناث فيرسمن عادةً الأنثى ويبرزن جسدها ورأسها على شكل قطع مفكّكة ومستديرة مع تفاصيل قليلة. وتهتم الفتيات بإبراز الوجه وبتسريحة الشّعر وبالثياب.[3]

---

* السّادومازوشيّة: أي ازدواجيّة القسوة والاستسلام.

1 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d’enfants, p.169-171

2 - Jacqueline Royer, ibid, p.172-173 .

3 - Jacqueline Royer, ibid, p.136-139 .

2 - كيفيّة تجميع رسوم الأطفال وقراءتها

إنّ شروط تحقيق الرّسم الأكثر ملاءمة لتحليل نفسي موضوعي هي، في الحقيقة، الرّسوم المنجزة فرديّاً بإشراف الباحث أو الخبير. ويجب أن يكون الطّفل في ظروف ملائمة: الهدوء، والضّوء، والاسترخاء. وأدوات العمل الممتعة وخصوصاً الموقف الإيجابي للباحث، والتّقديم الشفهي للموضوع، وتقديم الورقة، ونوعيّة أدوات الرّسم، واستعمال الألوان أو عدمه بحسب تقنيّة الاختبار. ويمكن أن لا تكون الممحاة والمسطرة موضوعتين في خدمة الطفل.[1]

قبل كل شيء، يجب علينا تسجيل الاسم والعمر الصّحيح للطفل، والظروف التي تمّ خلالها تنفيذ الرّسم (بعد أي حادث في حياته)، أو بعد أحداث مهمّة (كعيد الأم، أو عيد الأب، أو رحلة، أو حادث، أو مرض، أو فراق، أو لقاء) وكل ما يتعلّق بسلوك الطّفل خلال العمل يدوّن بأمانة ودقّة.

إذا كان الطّفل قلقاً ومضطرباً يكون من السّهل للمشاهد أن يفسّر له أنّ طريقته في العمل تعجبه، ولكي يتذكّر يجب أن يسرد له الحقيقة. كل تفصيل في صُنع الرّسم له أهميّته: أيّ يدٍ يستعمل الطفل؟ كيف يمسك قلمه؟ من أي مكان على الورقة يبدأ بالرّسم؟ ما هو الاتّجاه الأساسي لهذا الرّسم؟.... حسب [2](philippe wallon)، يبدأ العمل بالرأس. وفي أغلب الأحيان يبدأ برسم المنزل، ويبدأ برسم الشّجرة من الجذع.

ويلاحظ أنّ الاتّجاه التوجيهي لحركة يد الطّفل يذهب عادةً من الأعلى إلى الأسفل، ومن اليمين إلى اليسار.

ب- ثلاثة أشكال من القراءات للرّسم

إنّ عمل الخبير برسوم الأطفال شبيه بعمل المترجم الذي ينقل مضمون الرّسالة من

1 - Jacqueline Royer,Que nous disent les dessins d'enfants, p.146-150 .

2 - Jacqueline Royer,ibid, p.76-79

لغة إلى أخرى ويفك رموزها. غير أنّ تفسير الرّسم يبدو أكثر صعوبة لأنّه يقوم على ضغوط وأشكال تعبّر عن خفايا النّفس.

بصورة عامّة، هناك ثلاثة أشكال لقراءة النّص وكذلك لقراءة الرّسم:

- القراءة السّريعة أو الحدسيّة La lecture rapide ou intuitive

يعني أن نلقي نظرة سريعة وشاملة على النّص أو الرّسم حتى ندرك معنى الرّسالة. وهذه القدرة تتطلّب الخبرة والتّدريب، بالإضافة إلى الحدس.

- القراءة النّقديّة أو المقارنة La lecture critique ou comparative

هذا النموذج القائم على النّقد والمقارنة لعناصر النّص أو الرّسم، يرمي إلى البحث عن المؤشرات الخاصّة والدّالة كمستوى النمو والنضج عند الطفل، وشخصيته، وتكيّفه مع رفاقه والآخرين، ومستوى التّوازن النّفسي، وهذا كلّه يظهر من خلال الرّسم.

- القراءة المعمّقة أو التّحليليّة

إنّ القراءة المعمّقة للنّص أو للرّسم والتي يمكن أن نطلق عليها عبارة تحليليّة، ترمي إلى الكشف عن المؤشّرات المهمّة التي تشير إلى شخصيّة الطفل ومعاناته من خلال الرّسم.[1]

ج- أهميّة الرّسم في دراسة الحالات النّفسيّة عند أطّفال الحرب

إنّ الرّسم، وكما تمّ تعريفه سابقاً، هو نشاط طبيعي عفوي في حياة الطّفل، ويبدو أنّ كل الأطفال الصّغار يميلون إلى الخربشة، وكلّما أمسكوا ورقة وقلماً بدأوا بالرّسم، ويصل الأطفال عادةً إلى مراحل معقّدة من الرّسم في مراحل النمو المختلفة، فلو أعطينا طفلين قلماً وورقةً، فسوف يرسمان بشكل متشابه، إذا كانا في نفس مستوى النمو، إلا أنّ مضمون ما يرسمانه هو خيار شخصي، ويمكن أن يأخذ أي شكل في مخيّلة الطّفل.

---

1 - Jacqueline Royer, Que nous disent les dessins d'enfants , p.72-73.

ويعتقد [1](Luquet) أنّ رسومات الطّفل حتى سن الثامنة أو التّاسعة تكون واقعيّة، ذلك أنّ الطفل يبدأ برسم ما يعرفه عن الشخص أو الشيء قبل أن يتمكّن من رسم ما يراه حقيقة. وهذا أمر مهم عند محاولة شرح رسومات الأطفال، ويصبح أكثر أهميّة عند تفحّص رسومات أطفال يعانون من صدمة أو مشكلات نفسيّة.

والجانب الأكثر أهميّة في رسومات الطفل، والتي لم تحظ بالاهتمام الكافي، هو الجانب الرّمزي والنّظرة إلى العالم. فمن خلال الرّسم ربما لا يعبّر الطفل عن نفسه الحقيقيّة فقط، وإنّما عن نفسه المدركة أو الخائفة أو عن التهديد الذي يراه في الآخرين. ففي الشكل الرّمزي، تدخل اللّغة كمؤشر على الأفكار، وهنا يتحرّر الطفل من المحيط المباشر، ويختار المعلومة المتوفّرة.

لذلك، عندما ننظر إلى رسومات أطفال مرّوا بصدمة ما، من الضروري قراءة ما بين السّطور، وعدم الإكتفاء بالنّظر إلى المضمون الواضح، وإنّما يجب البحث عن الشيء النّاقص فيه. كما أنّ الأطفال الذين تعرّضوا للصّدمة، ربما لا يملكون المفردات أو الاستعداد لطرح ما مرّوا به مع الكبار (إذ يمكن أن يتأثّر مضمون الرّسوم إلى درجة كبيرة بمحيط الطّفل وبخاصةً الأطفال الصّغار)، فالأطفال الصّغار من عمر 4 - 5 سنوات والأكبر سنّاً من عمر 13 - 14 سنة، يفضّلون استعمال الرّسم للتعبير عن مشاعرهم وبخاصة فيما يتعلّق بظروف الصّدمة؛ حتى لو أنّ الأطفال لم يمرّوا بتجربة الصّدمة مباشرة، إلا أنّ معظم الأطفال الفلسطينيين على سبيل المثال، ما زالوا يعيشون في ظروف ضاغطة للغاية، نظراً لظروف الفقر وقلق الآباء ووجود التّهديد الدّائم.

نلاحظ أنّ هناك العديد من الدّراسات المحليّة والعالميّة التي تناولت موضوع الحرب من دون أن تربطه بالرّسم. على سبيل المثال، نذكر دراسة أطفال الحرب في لبنان 1992 وسيكولوجيا الحروب والكوارث 1999، للدكتور غسّان يعقوب، ودراسة واقع الحرب وانعكاساتها على الطفل اللّبناني للدكتورة كريستين نصّار 1991.

1 - شارلوت ستانفورث، **أطفال بلا طفولة** (أطفال فلسطين في زمن الحرب)، ص44.

أمّا بالنّسبة للدّراسات التي تربط موضوع الحرب بالرّسم، فهي قليلة جدّاً ونادرة. هناك دراسة قام بها (رعيدي وخوان عام 1984)[1] في مدرسة تقع على خطوط التّماس في منطقة عين الرّمانة في لبنان، على أطفال تراوحت أعمارهم ما بين 5 - 8 سنوات، حيث تمّ تطبيق الرّسم الحر عليهم، فكانت موضوعاتهم مختلفة ومتعدّدة. وبعد انقضاء نصف ساعة من الوقت، طلب منهم القيام برسمة ثانية عن موضوع الحرب، فأصابهم صمت كبير. خبّأوا الأقلام الملوّنة واحتفظوا فقط بالقلم الأسود وأحياناً الأحمر، فرسموا القذائف والصّواريخ والقتلى والجرحى والمنازل المحروقة والمهدّمة والسيّارات العسكريّة والإسعاف.

أمّا الجزء الثاني من دراسة رعيدي وخوان، التي جرت عام 1984، في مدرسة في منطقة برمانا جمعت فيها تلامذة من كل مناطق لبنان، وطُلِبَ من الأطفال أن يرسموا موضوع الحرب، وفي ضوء تحليل الرّسوم تمّ تصنيفها في ثلاث مجموعات:

مجموعة المهجرين، حيث استعمل الأطفال فقط اللّون الأسود والأحمر، وتظهر في الرّسوم مظاهر العنف التي عاشوها: جنود، حرائق، قذائف، صواريخ....

ـ مجموعة أطفال بيروت والضّواحي، الذين استعملوا في أغلب الأحيان اللّون البنّي والأخضر والمسطرة.

ـ مجموعة أطفال كسروان، الذين رسموا الحدائق المزهرة والطيور.

الفرق بين هذه المجموعات من خلال الرّسوم يرجع تحديداً إلى واقع الأطفال المُعاش. فالمجموعة الأولى عانت الحرب، وأفراد المجموعة الثانية عانوها بطريقة غير مباشرة من خلال مشاهدتهم للقذائف والقنابل، وكان أفراد المجموعة الثالثة بعيدين عن الحرب.[2]

---

1 - Saad Kwan, Joseph Raidy, Rapport sur des activités de terrain dans un domain pre-scolaire, p.202.

2 - Saad Kwan, Joseph Raidy, ibid, p.202.

وهناك دراسة قامت بها (Sawoudi, 1968)[1]، وهي عبارة عن عرض رسوم فقط لأطفال المخيّمات من مخيّم البقعة في الأردن، تتراوح أعمارهم ما بين 5 - 14 سنة، وقد حملت الباحثة أقلام التلوين وتركتها بين أيدي الأطفال، لكن ما لبث أنّ بادلها هؤلاء بالرفض والشتائم والامتناع عن الرّسم، إلا أنّها بعد عدّة محاولات ظهرت الإلفة معها، وكانوا بحاجة للتعبير عن أنفسهم حيث أظهرت رسومهم عمّا يعانون منه، فكان معظمها عن الدّبابة والطائرة والخيمة والفدائيين والبيت المهجور الذي تحيط به الطائرات.

لقد قامت الباحثة الأمريكيّة (Stanphorthe, 2000-2001)[2] بإجراء تطبيق الرسم الحر على الأطفال الفلسطينيين من أعمار 8 - 14 سنة، ومن عمر متساوٍ من الجنسين، فكان مضمون الرسومات يتعلّق معظمه بانتفاضة الأقصى الأولى. ومن ثمّ أجرت مقارنة برسومات الأطفال الهنغاريين، وكانت أعمارهم تتراوح بين 8 - 13 سنة في مدرسة في بودابست. والمفاجأة هي في أنّ رسوم الأطفال الهنغاريين كانت أكثر دمويّة وبشاعة من رسومات الأطفال الفلسطينيين. وقد ظهر أنّ الحرب بالنسبة للأطفال الهنغاريين تعني الموت والوحشيّة والفوضى، بينما كانت فكرة الحرب أوسع لدى الأطفال الفلسطينيين.

كما أجرت ليليان شلالا عام 2001 دراسة ميدانية على أطفال لبنانيين (أطفال الجنوب) الذين عاشوا أجواء الحرب وذاقوا رعب المجازر والتّهجير وبالأخص في قانا، وعكست تأثيرات العدوان الإسرائيلي في الأطفال. كشفت هذه الدّراسة أن الطفل الجنوبي يُعاني من القلق والاضطراب لأنّه ترعرع في جوّ الخوف، وقد انعكس ذلك في رسوماته.

أمّا رسوم الأطفال الذين عاشوا في منطقة آمنة مثل البترون، فقد عكست حالة الهدوء والاستقرار، إذ برزت فيها مشاهد الطّبيعة.[3]

إنّ خبراء الصّحة النّفسيّة، ومن خلال ما ذكرناه آنفاً، يتوقعون أنّ أعمال العنف

---

1 - منى سعودي، **شهادة الأطفال في زمن الحرب** (رسوم أطفال فلسطينيين)، ص6 - 12.

2 - شارلوت ستانفورث، **أطفال بلا طفولة** (أطفال فلسطين في زمن الحرب)، ص 57 - 58.

3 - ليليان شلالا، **قلق الحرب في رسوم الأطفال اللّبنانيين**، ص166

والإعتداء التي يتعرّض لها الأطفال قد تترك آثاراً سيّئة في سلوكهم، وقد تؤدّي إلى جرح نفسي يُطلق عليه علماء النّفس صدمة الرّعب أو صدمة الحرب.

لذا، من المحتمل أن تتفاعل في المستقبل هذه الانعكاسات النّفسيّة السّلبيّة للإعتداءات الإسرائيليّة عند أطفالنا، وبالأخص عندما يدخلون طَور المراهقة. وهذه الاضطرابات، التي ظهرت لنا من خلال رسومات الأطفال، تتناول العداونية والميول الإكتئابيّة واضطراب المزاج والاتجاهات العُصابيّة.

وإذا كان الرّسم أداة مهمّة يستعملها الأطفال للتّعبير عن مشاعرهم ومخاوفهم، فإنّ التّعبير الكتابي قد يكون مفيداً جدّاً لأنّه يكشف عن معاناتهم وعن مفهومهم للحرب والسّلم.

لذا، وجدنا من الضروري أن نطرح باختصار موضوع التّعبير الكتابي، لأنّ التلامذة الذين ندرسهم هنا يستطيعون أن يعبّروا عن أنفسهم عن طريق الكتابة.

خامساً: التّعبير الكتابي كتقنية تشخيصيّة

أ ـ مفهوم التّعبير الكتابي كتقنية تشخيصيّة

إنّ كلمة " عبّر " لغوياً[1] تعني "عبّر عمّا في نفسه أو عن موضوع ما، أي: أعرب وبيّن الكلام". في هذا التّعريف اللّغوي، يتحدّد مفهوم التّعبير الكتابي بأنّه عملية إنتاج وإبداع أدبي، تنُمّ عن عمليّة تفاعل فنّي ينتج عنها ما يكتبه التّلميذ من موضوعات مختلفة.

وباختصار، يعني التّعبير الكتابي قدرة التّلميذ على ترجمة ما في نفسه من أفكار ومشاعر وعواطف وخبرات إزاء موضوع ما.

ويقوم التّعبير على ركنين أساسيين[2]، الأوّل هو المضمون، والثاني هو الشّكل. الجانب

---

1 - ابراهيم أنيس وغيره، **المعجم الوسيط**، ج2، ص580.

2 - محمد مهدي، **أثر استخدام برنامج تلفزيوني في تنمية مهارات التّعبير الكتابي لدى طلبة المرحلة الثانويّة بدولة البحرين**، ص21.

الأوّل له محتوى فكري، والآخر لغوي. فعندما يُخطّط التّلميذ لموضوعه فكريّاً، فهذا يعني الاهتمام بالأفكار من حيث صحّتها، وترتيبها، واختيارها بشكل منطقي سليم. ويعني الجانب اللّغوي اختيار الكلمة المعبّرة عن الفكرة، واللّفظ الدّقيق لأداء المعنى المراد، مع التركيز على سلامة اللّغة وعمّا يُعيقها عن أداء الفكرة في شكلها المطلوب.

إنّ عمليّة التّعبير، بشكلها العام، تقوى وتضعف بقدر اتصالها بشكل مباشر بحياة الفرد وثقافة المجتمع. فهي تلازم تطوّره، وتؤثّر فيه، لأنّ الكلمة هي نواة التّعبير، وهي وسيلة الاتّصال بين الفرد والآخرين، ممّن تفصله عنهم المسافات المكانيّة والزمنيّة. فباللّغة تُبنى الجسور التّواصليّة بين المرسل والمتلقي.

وعندما نتناول مفهوم التّعبير إجرائيّاً، فإنّه يعني القيام بعمل كتابي يتّصف بأنّه مهم، ويعبّر عن قدرات الفرد ومدى ثقته بعمله. ونحن لا نريد هنا الدخول في مهارات اللغة ومنها التعبير الكتابي الذي يخرج عن اختصاصنا. ولكننا ننظر إليه من الوجهة السيكولوجيّة، كتقنية تشخيصيّة مساعدة الى جانب الرسم الحر. وفي هذا الإتجاه، قد يساعدنا التعبير الكتابي على كشف ثلاث عمليات: الموارد المعرفية الخاصة بالتلميذ والتي تميّزه عن سواه، والموارد المعرفية العامة أي المفاهيم والمعلومات المكتسبة بفعل التّعلّم والتعليم، ثمّ الإنطباعات الشعورية التي ترتبط بمستوى الخبرات المعاشة في بيئة الطفل المباشرة. فلكلّ تلميذ أسلوبه الخاص في التعبير من حيث الصياغة والمضمون والمشاعر.

في ضوء ما تقدّم، حاولنا أن ندرس مفهوم الحرب والسلام عند الأطفال بحيث طرحنا عليهم الموضوعين الآتيين:

1 ـ ماذا تعني لك الحرب؟ عبّر عن شعورك وعن كلّ ما تأثرت به أثناء حرب تموز. وهل ما زلت متأثراً بتلك الحرب حتى الآن؟ (تعريف الحرب، شعورك خلال الحرب، شعورك اليوم)، (أنظر الملحق).

2 ـ ماذا تعني لك كلمة السلام؟ لقد تمّ إعداد استمارة لتحليل النصوص التي كتبها

الأطفال وتتناول أيضاً دراسة مستوى الجودة في التعبير الكتابي (مستوى اللغة، البناء والأسلوب).

ب ـ أهميّة التعبير الكتابي

التعبير الكتابي مهم لأنّه يرتبط باللّغة. "واللّغة هي عنوان شخصيّة الأمّة، ونتاجها الفكري. إنّها سر تطوّر الحضارات، وإليها يرجع الفضل في رُقيّ العلاقات الإنسانيّة على مرّ العصور، والحفاظ على التّراث الثّقافي، والحضاري".[1]

من هنا، نجد أنّ التّعبير بنوعَيه الشفوي والكتابي هو في مقدّمة الوسائل التي تتحقّق بها وظائف اللّغة؛ ويحدث التّعلّم وتنمو المهارات الثّقافيّة والاجتماعيّة، بما يسمو بالحياة الإنسانيّة نحو الرّقيّ والتّقدّم.

لكنّنا، نجد أنّ الكتابة – بعد الكلام – هي الوسيلة المتقنة للتّعبير، والأكثر مقاومةً لعامل الزّمن. لأنّ الكلمة المطبوعة تُمكّن الإنسان من التّحكّم بالزمان، بحيث نستطيع أنْ نرجع إلى الوراء، ونقرأ الماضي أو نقف أمام قراءة الحاضر. وهنا يصدق قول الفيلسوف (برغسون Bergson)، "إنّ فن الكتابة هو أن ينسى الكاتب أنّ الكلمات عدّته"[2] . معنى ذلك أنّ كل كلمة يجب أن تُعبّر عن شيء ما، حسب مدلولها اللّغوي أو الاصطلاحي، من هنا ينبغي استبعاد الكلمات الغامضة، والعبارات العامّة التي لا تؤدّي إلى معنى واضح، ودلالات محدّدة. كما ينبغي أن تتجلّى الأفكار في نسق متكامل تُمكّن القارئ من التّفاعل معها.

يلعب التّعبير الكتابي، الذي هو أحد محاور هذه الدّراسة دوراً مهماً في التّعلّم والتّعليم، وهو حاجة من حاجات الفرد إلى دراسة اللّغة واكتساب مهارة الكتابة. فالإنسان يكتب لنفسه أحياناً، وكذلك لغيره، ويستطيع التّلامذة في المرحلة الثّانويّة أن يعالجوا

---

1 - عبد العزيز شرف، **اللّغة الإعلاميّة**، ص238.

2 - عبد العزيز شرف، **م.ن.**، ص238.

الموضوعات النقديّة، والأدبيّة، والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والنّفسيّة. في هذه المرحلة ينبغي التّوسّع في ربط التّعبير بألوان النّشاط البشري، وهذا التّدريب يدفع بهم إلى مواقف متنوّعة يجدون فيها أنفسهم. وهذا ما نسمّيه بالتّعبير الوظيفي.

من هذا المنطلق، يجب الاهتمام بالكتابة السّليمة من جميع جوانبها؛ فالخطأ في الكتابة يؤدّي إلى قلب المعنى وعدم وضوح الفكرة، فالكتابة السّليمة مهارة علميّة لا بدّ من تعلّمها واكتسابها.

في المدرسة، يؤدّي التّعبير الكتابي دوراً مُهمّـاً في بلورة فكر التّلميذ، إذ إنّ تعلّم اللّغة يُلازمه منذ دخوله المدرسة الإبتدائيّة وحتى نهاية مراحل التّعليم العام.

إنّ العجز عن التّعبير يعرقل مسيرة التّلميذ التّعليميّة، وقد يُعرّضه للرّسوب وفقدان الثّقة بالنّفس. وهذا لن يسمح له بتنظيم فكره كتابياً لأنّ اللّغة هي قالب الفكر.

خاتمة

إنّ تعرّض الأطفال للصّدمات ينعكس سلباً على تصرّفاتهم السّلوكيّة وتحصيلهم الدّراسي، لأنّهم لا يستطيعون التّعبير عن حقيقة معاناتهم بالكلمات، وفي بعض الحالات يتدنّى المستوى اللّغوي لديهم بصورة كبيرة، الأمر الذي يجعلنا نستعمل الرّسم الحر والتّعبير الكتابي لمن يُحسن الكتابة. فالطفل يسقط مشاعره وأفكاره في الرّسم وفي الكتابة.

لقد بدا لنا واضحاً أنّ الرّسم أداة مهمة في دراسة الحالات النّفسيّة عند أطفال الحرب كما أن للتّعبير الكتابي دوراً مهماً أيضاً لأنه يعكس أفكار الطفل وما لديه من مشاعر. وهذا ما نريد أن نناقشه لاحقاً في الباب الميداني من الدّراسة.

لذا، وبعد أن تناولنا التّعبير الكتابي والرّسم الحر بجوانبهما التّعبيريّة (النّفسيّة والتّربويّة)، فإنّنا نعتبر أنّ هاتين الوسيلتين تلعبان دوراً مهمّاً في الكشف عن معاناة الأطفال الذين تأثّروا بحرب تموز 2006. وسوف نرى في القسم الميداني كيف عبّر هؤلاء الأطفال عن خبراتهم وكيف ظهرت الفروقات بينهم بحسب المناطق من خلال مضامين الرّسومات والنّصوص المكتوبة.

خاتمة الباب الأوّل

إنّ تقييم اضطراب ضغوط ما بعد الصّدمة عند الأطفال يُشكّل مسألة علميّة مهمّة وهي تحتاج إلى المزيد من الجهود والأبحاث لأنّ معظم الدراسات التي تناولت هذا الاضطراب كانت مركّزة بصورة خاصة على الجنود الأميركيين الذين قاتلوا في فيتنام.

ونشير هنا إلى أنّ النتائج السلبيّة التي يمكن أن تتركها الحرب في شخصيّة الطّفل قد لا تظهر مباشرةً على سلوكه، لكنها سوف تنعكس على حياته المقبلة، وبالأخص عندما يُصبح مراهقاً. لذا، تبدو الحاجة ماسّة إلى الدراسات المقارنة والأبحاث الميدانيّة والمتابعة الزمنيّة لأحوال الأطفال. فالطفل الذي وُلِدَ وتَرَعرع في جوّ من العنف والقتل والدمار، من المحتمل أن تتشبّع ذاكرته بالتجارب والصور السّلبيّة، وإذا رجحت كفة التجارب السلبيّة على التجارب الإيجابيّة، فإنّ السلوك السلبي عند الطفل سيكون له النصيب الأوفر في حياته المقبلة.

ونحن هنا لا يمكننا إهمال موضوع تعرّض الأطفال للصّدمات وأعمال العنف وإلا غامرنا في أن لا نفهم مسارات النمو لديهم وما يطرأ على هذا النمو من اضطرابات خطيرة قد تستمر لسنوات طويلة. فما يتعرّض له الأطفال يجب أن يأخذ اهتماماً جدّيّاً لدى الباحثين وهي أمور مهمّة لابد من دراستها والعمل على معالجتها.

ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ دراستنا هذه لن تقتصر على الكشف عن الآثار النّفسيّة فحسب، بل سوف تتناول الآثار التّربويّة أي مستوى التّحصيل الدّراسي واللّغوي عند الأطفال، وهذا ما نَوَد طرحه في القسم الميداني.

الباب الثاني:

المقاربة الميدانية

تمهيد الباب الثاني

لم تكن حرب تموز 2006 حرباً فريدة بالنسبة للبنان. فتاريخ لبنان الحديث حافل بالصّراعات الدّمويّة المتكررة نتيجة تركيبته السياسيّة الهشّة، يزيدها هشاشة تدخّل القوى الخارجيّة والإقليميّة في شؤونه الدّاخليّة.

اندلعت في لبنان في العام 1975 حرب استمرّت حتى العام 1990، واجتاحت اسرائيل لبنان في العام 1978 وبقيت في " الشريط الحدودي بالجنوب "حتى العام 2000. كما اجتاحت اسرائيل لبنان بما في ذلك عاصمته بيروت في العام 1982 .

وكي لا يقتصر بحثنا على النّظريات فحسب، ورغبةً منّا في التحقّق من صحّة الفرضيّات أو عدمها، وتحقيقاً للأهداف المنشودة مسبقاً (الباب الأوّل) وانطلاقاً من المعرفة العلميّة التي حاولنا جاهدين أن نظهرها في المقاربة النّظريّة، سنحاول أن نترجمها عمليّاً في المقاربة الميدانيّة من خلال عرض نتائج الاختبارات التي تمثّلت في الرّسم الحر والتّعبير الكتابي وذلك في الفصل الأوّل منه، كما سعينا لإيجاد الحلول المناسبة والمرتبطة بواقع الطفل المعاش، وبعد ذلك، قمنا بتفسير ومناقشة مضامينها في الفصل الثاني. هذا بالإضافة الى تحليل استمارات المقابلة الفردية للأطفال الذين أصيبوا بصدمة الحرب المباشرة، وقد أشرنا الى الإنعكاسات النّفسيّة والتّربوية (التّأخر في التّحصيل الدّراسي) بالاضافة الى الاضطرابات السلوكيّة التي ظهرت لديهم والتي كان لها أعراض جانبية

عند معظم الأطفال لا سيّما أبناء الفئة الأولى (ضاحية بيروت الجنوبيّة)، مقارنة مع الفئتين الثانية (بيروت الغربية) والثالثة (بيروت الشرقية).

أمّا الخاتمة، فقد تضمّنت خلاصة استنتاجية نضيء فيها على النتائج التي توصلت إليها دراستنا الحالية.

كيفيّة الإعداد
للعمل الميداني وتنفيذه

تمهيد

بعد أن تمّ في الباب الأوّل دراسة أثر صدمة الحرب في الأطفال من النّاحية النّظريّة، من خلال استعراض آثارها النّفسية والتّربوية، فإنّه سوف يتم الإنتقال في هذا الباب إلى عرض كيفيّة تنفيذ الجانب الميداني من الدّراسة، للحصول على بيانات أو معلومات تضيء على أثر صدمة حرب تموز في الأطفال في منطقة بيروت وضواحيها، والتي تمّ استخلاصها من خلال عدّة تقنيات وُزّعت على التّلاميذ وتُرجمتْ بياناتها إلى جداول إحصائيّة تمّ تحليلها، وفقاً لمتغيّرات الدّراسة.

بناءً على ذلك، تمّ إحصاء المدارس في المنطقة المستهدفة، وهي منطقة بيروت وضواحيها، وقد تمّ أيضاً وضع استمارة موجّهة إلى المعلّمين للإستفادة من ملاحظاتهم لأوضاع التلاميذ النّفسيّة والتّربويّة قبل حرب تموز وما بعدها.

من هنا تمّ تقسيم هذا الباب إلى فصلين : يتناول الفصل الأوّل عرض النتائج الإحصائيّة المتعلّقة بالدّراسة الميدانيّة وتحليلها، أمّا الفصل الثاني فهو مخصّص لتفسير نتائج الرّسم الحر والتّعبير الكتابي من حيث الأثر النّفسي والتّربوي مع عرض لدراسة بعض حالات التّلاميذ الذين تعرّضوا لصدمة مباشرة خلال حرب تموز 2006.

أوّلاً: تحديد متغيّرات الدّراسة

بما أنّ دراستنا عن آثار حرب تموز 2006 في الأطفال من خلال رسوماتهم وتعبيراتهم الكتابيّة ترمي إلى إقامة المقارنة بين ثلاث مناطق، فقد وجدنا من المفيد جداً أن نأخذ بالإعتبار: الضاحية الجنوبيّة لبيروت (الفئة الأولى)، بيروت الغربيّة (الفئة الثانية) وبيروت الشّرقيّة (الفئة الثالثة).

وقد توخّينا من وراء ذلك أن ندرس درجة التّعرّض للضغط النّفسي الذي سبّبته الحرب مع مراعاة الإقتراب أو الإبتعاد عن منطقة الخطر (القصف الجوّي).

إنّ هذا التّقسيم سوف يمكّننا من تحديد الفروقات بين رسومات الأطفال وتعبيراتهم الكتابيّة في المناطق الثّلاث المذكورة.

وهنا لا بدّ لنا أيضاً من تحديد بعض المتغيّرات:

ـ المتغيّر المستقل: حرب تموز 2006. إنّ درجة حضور هذا المتغيّر يكون شديداً في الضّاحية ومتوسّطاً في بيروت الغربيّة وخفيفاً في بيروت الشّرقيّة.

ـ المتغيّر التّابع: ردّات فعل الأطفال (ذكور وإناث) التي تظهر من خلال رسوماتهم الحرّة وتعبيراتهم الكتابيّة.

ـ المتغيّرات الضّابطة: الصّف الخامس الأساسي، المدارس الرّسميّة والخاصة في المناطق الثلاث المذكورة.

ـ المتغيّر المعدّل: ويتمثّل بالذكور والإناث بالاضافة الى المنطقة الجغرافيّة.

ـ مجتمع الدّراسة: يتحدّد مجتمع الدراسة بأطفال الصّف الخامس الأساسي حيث يصل متوسّط أعمارهم الى 9 سنوات، في مدينة بيروت بشقيّها الغربي والشّرقي وضاحيتها الجنوبيّة.

أمّا بالنّسبة إلى الموقع، فقد تمّ اختيار منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة نظراً لتعرّضها المباشر للقصف من قبل العدوان الإسرائيلي خلال 33 يوماً، مقارنة مع المنطقة الغربيّة

والشّرقيّة لبيروت.

ثانياً: المنهج المعتمد

اعتمدنا في بحثنا هذا على دراسة الأثر الذي خلّفته الحرب في الأطفال من خلال تحليلنا للنصوص (التعبير الكتابي) وموضوعات الرّسم الحر، معتمدين المنهج الوصفي الاستقصائي* ودراسة بعض الحالات* بالإضافة الى استطلاع آراء المعلّمين حول سلوكيات الأطفال ونشاطهم الدّراسي بعد الحرب.

وقد تمّت معالجة الموضوع وفق هذين المنهجين لأنّهما يتوافقان مع طبيعة الدّراسة وإشكاليتها.

ثالثاً: عيّنة الدّراسة

ضمّت عيّنة الدّراسة 269 تلميذاً باعتماد تقنيّة الطريقة العنقوديّة وهي التقنيّة الأكثر توافقاً مع متطلبات البحث، لأنّنا حدّدنا مسبقاً المناطق التي نرمي الى دراسة الأطفال فيها بحيث كنّا نختار عدداً مماثلاً تقريباً من شُعَب الصف الخامس الأساسي في كلّ منطقة، كما اعتمدنا على جدول أرقام الصّدفة لإختيار المدارس. وقد تمّ اختيارالأطفال من عدّة مدارس في بيروت وضواحيها، أي الذين تعرّضوا مباشرةً للحرب والذين لم يتعرّضوا. والفكرة هنا هي دراسة الأحوال النّفسيّة للأطفال، وإجراء مقارنات داخل مجموعات العيّنة طبقاً للمتغيّرات الإجتماعيّة والديموغرافيّة.

وقد خضع اختيار هذه المدارس للإعتبارات الآتية:

أ- عيّنة المدارس ونوعها:

---

* راجع ص 22 من الرسالة.

بلغ عدد المدارس 172 بحسب دليل المدارس للتعليم العام الصّادر عن المركز التّربوي للبحوث والإنماء للعام 2003 - 2004، والذي يتضمّن أسماء المدارس وعناوينها وعدد الشّعب من القسمين الفرنسي والانكليزي، وتتوزّع المدارس على الشكل الآتي:

61 مدرسة رسميّة

89 مدرسة خاصة غير مجانيّة

22 مدرسة خاصة مجانيّة

ويمكننا أن نشير الى أهميّة تقسيم العيّنة الى ثلاث فئات بحسب المنطقة.

المنطقة الأولى(zone 1) وتشمل المدارس الموجودة في المناطق التي يقدّر أنّها تعرّضت للقصف الشّديد وبالتالي الى مستوى كبير من الأضرار نتيجة للعدوان الإسرائيلي في تموز 2006 وهي منطقة ضاحية بيروت الجنوبية والتي نطلق عليها عبارة العين العاصفة.

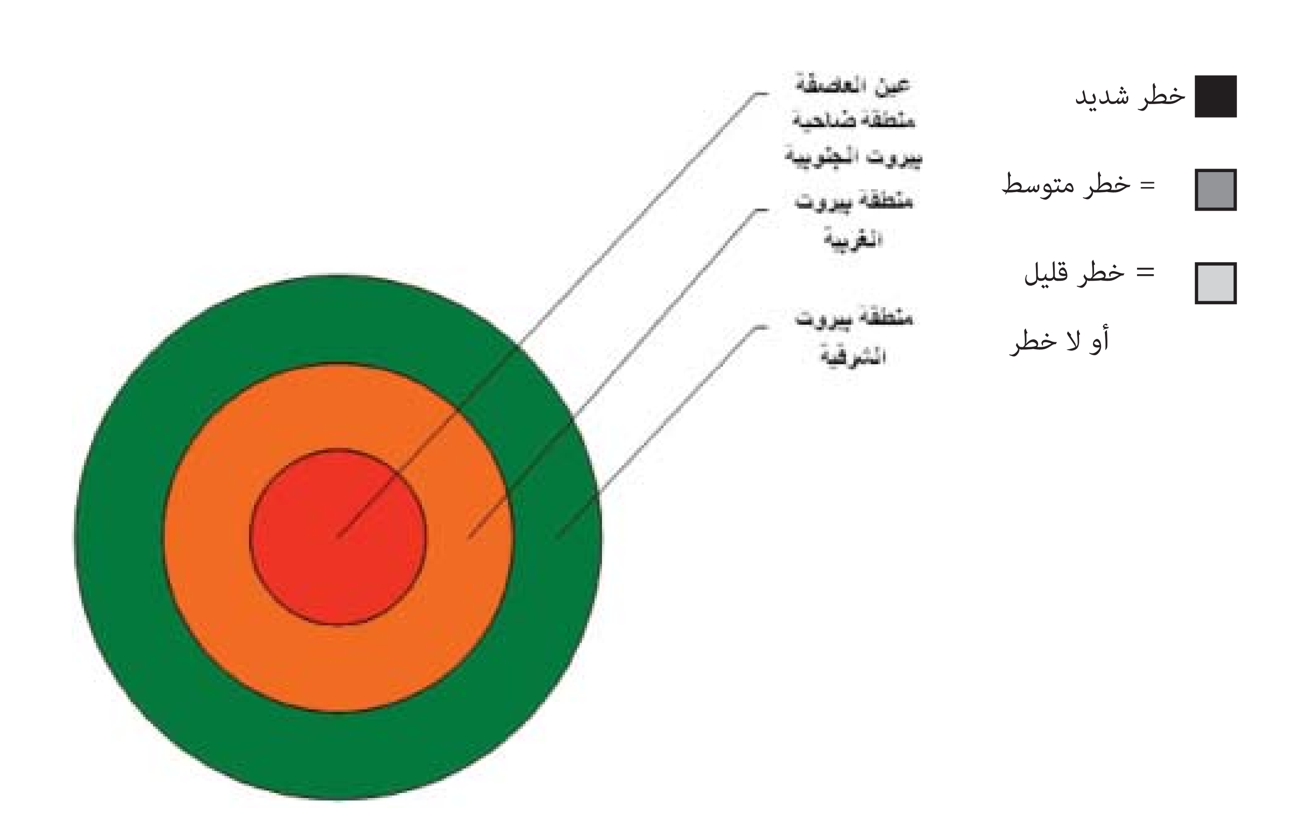
المنطقة الثانية (zone 2) وتشمل المدارس الموجودة في المناطق التي تعرّضت الى مستوى متوسط من القصف وهي منطقة بيروت الغربية ولكنها كانت قريبة من منطقة النّار.

وهناك المنطقة الثالثة (zone 3) من المدارس الموجودة في المناطق التي لم تتعرّض الى القصف بشكل مباشر وهي منطقة بيروت الشّرقية.

يفيد الرّسم أدناه أن المناطق الثلاث (منطقة العين العاصفة، المنطقة الأقل خطراً، والمنطقة البعيدة عن الخطر) كانت معرّضة لحرب تموز 2006 بصورة أو بأخرى الى مستويات التعرض ولكن بنسبٍ متفاوتة، وهذا يدل على أن التعرض للحرب ليس له حدود جغرافية فاصلة ويبيّن أيضاً أهمية التجربة الشخصية في التعبير عن مدى التعرض لمخاطر الحرب وذلك من خلال اجابات الأطفال في التّعبير الكتابي عن الحرب والسلام والذّين عبّروا عن آرائهم وحالاتهم أثناء الحرب وبعدها.

كما اعتمدنا مصطلح الفئات كمؤشر لمناطق المجتمع الدّراسي الأقرب الى منطقة الخطر، والتي سنعتمدها في متن الرّسالة، فكانت الفئة الأولى خاصة بمنطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة وهي منطقة عين العاصفة (épicentre) أو منطقة الخطر الشديد والتي

حدّدناها باللون الأحمر في الرسم أدناه، أما الفئة الثانية فقصدنا بها منطقة بيروت الغربية التي تعرضت الى مستوى متوسط من الخطر، وتمثّلث الفئة الثالثة بمنطقة بيروت الشرقيّة التي كانت بعيدة نسبيّاً عن منطقة الخطر باللون الأخضر.



رسم رقم 1: يبيّن مستوى تعرض مناطق الفئات الثلاث لمنطقة الخطر

لقد جرى التّحقق من توافق بنية عيّنة المدارس مع بنية المجتمع الدّراسي حيث تمّت مقارنة متوسّط عدد التلامذة ومتوسّط عدد الشُعب في المدرسة الواحدة، لكننا لم نتمكّن من تحقيق تقارب في نسبة عدد التلامذة في الشُعبة الواحدة نظراً لتفاوت عددهم في مختلف المناطق، حيث أتت عينة التلاميذ على النحو الآتي :

ب ـ عيّنة التلاميذ

تضم عيّنة التلاميذ 269 تلميذاً تمّ اختيارهم حسب الجنس والمنطقة (عيّنة الدّراسة تتألّف من عشر مدارس) موزّعة كالآتي:

الجنس	ذكور			إناث		
	صدمة مباشرة	صدمة غير مباشرة	المجموع	صدمة مباشرة	صدمة غير مباشرة	المجموع
ضاحية بيروت الجنوبية	30	27	57	11	43	54
بيروت الغربية	0	43	43	0	37	37
بيروت الشرقية	0	37	37	0	41	41
المجموع	30	107	137	11	121	132

جدول رقم1: الأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة /غير مباشرة حسب موقع المدارس

توزّعت العيّنة بحسب موقع المدارس كالآتي :

ـ ضاحية بيروت الجنوبيّة (منطقة الخطر) تضم 4 مدارس واحدة منها: الشيّاح (خاصة غير مجانيّة)، اللّيلكي (رسميّة)، برج البراجنة (خاصة غير مجانيّة)، حارة حريك (خاصة مجانيّة). وقد بلغ عدد التلاميذ فيها 111 تلميذاً (57 من الذكور و54 من الإناث).

ـ بيروت الغربيّة وتضم 3مدارس، واحدة منها في: طريق الجديدة (رسميّة)، المزرعة (خاصة غير مجانيّة)، رأس النّبع (خاصة غير مجانيّة). ووصل عدد التلاميذ فيها الى 80 تلميذاً (43 من الذكور و37 من الإناث).

ـ بيروت الشرقيّة والمناطق المجاورة لها وتضم 3 مدارس، منها: واحدة في سن الفيل (خاصة غير مجانيّة)، فرن الشّباك (خاصة غير مجانيّة)، بدارو (خاصة غير مجانيّة). وبلغ عدد التّلاميذ فيها 78 تلميذاً (37 من الذكور و41 من الإناث).

كما أنّ العيّنة تضم 137 تلميذاً من الذكور مقابل 132 من الإناث . وهنا حاولنا أن نحدّد الأطفال الذين تعرّضوا من كِلا الجنسين لصدمة الحرب.

إنّ الأطفال الذين تعرّضوا لصدمة مباشرة أثناء حرب تموز 2006 من جراء القصف

المباشر على المنازل أو المدارس والذي تسبّب باستشهاد أحد أفراد أسرهم...، قد بلغت نسبتهم 53 % من الذكور مقابل20 % من الإناث، وقد أجرينا معهم مقابلات شخصيّة. **(نشير إلى أنّ المقابلات تمّت فقط في منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة، ممّا يعني أن 41 تلميذاً تعرضوا لصدمة الحرب من أصل 111 تلميذاً وبنسبة 37 % من تلاميذ منطقة الضّاحية الجنوبيّة)** .

رابعاً : تنفيذ العمل الميداني

بعد الإنتهاء من الإعداد للعمل الميداني، تمّ البدء بتنفيذه، وذلك عبر الإتّصال بالمدارس لملء الإستمارات وتطبيق الأدوات، إلا أنّ هناك بعض العراقيل والصّعوبات التي واجهتنا، ونعرض هنا كيفيّة تنفيذ العمل الميداني:

<u>طريقة الإتّصال بالمدارس</u>: بعد تحديد العيّنة، وقبل بدء الاتّصال بالمدارس، تمّ الحصول على اذن رسمي من وزارة التّربية لدخول المدارس.

تمّ الاتّصال بالمدارس الرّسميّة أو التي أبدت تجاوباً معنا.

أمّا مدراء المدارس الخاصّة، فمعظمهم لم يظهروا رغبةً أو تعاوناً لإجراء الدّراسة وقد طلب البعض مهلة زمنيّة للرّد وكنا نعتمد الصّبر والمراجعة الدّائمة لبلوغ الهدف.

بعد عمليّة التّواصل، قمنا بالعمل الميداني الذي استغرق شهرين بصورة متواصلة بدءاً من الأوّل من شهر نيسان 2007 وحتى نهاية شهر أيّار 2007 **(أي بعد انقضاء العدوان الإسرائيلي بتسعة أشهر).**

أثناء الزّيارة كانت تتم مقابلة المدير، ولم تسمح بعض المدارس الخاصّة بأن نتوجّه مباشرةً للمعلّمين لتسليمهم الإستمارات بل أخذت الإدارة على عاتقها هذه المهمّة، وحصل توافق بأن تكون جاهزة في مهلة أسبوع، ثمّ أجرينا جولة ثانية على المدارس لاستلام الإستمارات الموزّعة، إلا أنّها لم تكن قد أنجزت بأكملها، حيث اضطررنا للعودة أكثر من مرّة، وامتدّت فترة جمع الإستمارات حوالي شهرين لأنّه أثناء تطبيق الإستمارات

كان يجري في المدارس الاستعداد لإمتحانات نهاية العام الدّراسي.

استغرق انجاز المرحلة التّحضيريّة للعمل الميداني ولتنفيذ الاستمارات وتحكيمها وتصحيحها ما يُقارب الخمسة أشهر (قبل تطبيقها في أيار 2007)، وتمّ تحليل الاستمارات (807 استمارة) وفرزها بحسب المنطقة (منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة، بيروت الغربيّة والشرقيّة) والجنس (إناث وذكور)، ومن ثمّ تحويلها الى جداول ونِسب مئوية واعتماد اختبار x^2 لقياس درجة الفروقات من حيث الأثر النّفسي والتّربوي ومقارنتها بين الإناث والذكور، ما يُقارب السّتّة أشهر خلال العام 2008 بصورة متواصلة، وصولاً الى عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها حتى 2009.

خامساً: أدوات الدّراسة

للإجابة عن التّساؤلات، ولاختبار فرضيات البحث وما يتطلّب ذلك من جمع بيانات حول أثار حرب تموز 2006 في الأطفال. كان لا بدّ من تحديد أدوات الدراسة، لذلك رأينا من المفيد الاستعانة بأكثر من أداة بحثيّة ضماناً لجمع المعلومات الوافية، وتعزيزاً لصدقيتها.

إنّ الهدف الرّئيسي من هذه الدّراسة هو تقييم الوضع النّفسي للأطفال في لبنان بعد حرب تموز 2006، فكان من الضروري تطوير أداة للقياس تسمح لنا بتقييم أنواع التّعرض لصدمات الحرب. غير أن حصر حالات التّعرض بحرب تموز لم يكن كافياً لِفَهم أوضاع الأطفال بل توجّب علينا أيضاً تقصي إمكانية وجود حالات من التعرّض سابقة من خلال بعض الدّراسات السّابقة التي توفرت لدينا.

لذا نعرض في هذا الفصل عمليّة اعداد الاستمارات لحالات التعرّض للصدمات. وكان من المفيد لفهم النتائج في بيئات محدّدة وتفسيرها، استعمال أدوات تربويّة ضمن البيئة التعليمية تتلاءم مع الثّقافة اللّبنانية وتمكّننا من إجراء المقارنة بين المناطق المختلفة، فكان التّعبير الكتابي والرّسم، هاتان التقنيتان اللّتان تكشفان لنا عمّا يُعانيه الأطفال من

مشكلات مختلفة بعد حرب تموز، سعياً لتحديد مقياس يوفّر لنا معلومات وافية عن الضّغط النّفسي والقلق والصّدمة، فكانت استمارة التّحصيل الدّراسي لسلوك الأطفال والتي تُقيّم بعض المشكلات التّربويّة مثل: الآداء الدّراسي قبل حرب تموز.

فمن ناحية أولى، اعتمدنا الرّسم الحر ثمّ التّعبير الكتابي حول الحرب والسّلم. من ناحية ثانية، قمنا بإجراء مقابلات فردية مع بعض التّلاميذ الذين تعرّضوا لصدمة الحرب والذين تمّ اختيارهم بمساعدة إدارة المدرسة (المنسّقة) في ضوء الشّروط المطلوبة للبحث، وهذا ما سيتم التّوسّع به لاحقاً.

لقد اعتمدنا أدوات متنوّعة للحصول على المعلومات الضّروريّة وهي بالترتيب كالآتي:

أ ـ الرّسم الحر

ب ـ اختبار التّعبير

ج- الملاحظة

د- المقابلة

هـ ـ استمارة التّحصيل الدّراسي

وفيما يلي وصف موجز لكّل منها وللخطوات التي اتبعت في بنائها، ودراسة الصّدق والثبات.

أ- الرّسم الحر : تهدف هذه التقنية إلى الكشف عن مشاعر التلاميذ وعالمهم الدّاخلي وردّة فعلهم النّفسيّة من خلال «ارسم ما يخطر على بالك الآن كما تريد وكما تحب أن تعبّر عنه» [1]، وذلك بعفوية وبدون أيّة قيود (الفكرة التي يريدونها، استعمال الألوان التي تناسب رسمتهم، استعمال الصّفحة بالاتّجاه الذي يريدونه...).

بناءً على ذلك، تمّ وضع بعض المعايير لتحديد العناصر والآلات الحربيّة والمواقع التي

1 - أنظر ملحق رقم 3 .

قصفت خلال الحرب (راجع جدول رقم 2 - 3).

ب- إختبار التّعبير: وهو عبارة عن تعبير كتابي يتعلّق بالحرب [1] والسّلام[2] بحسب مفهوم التلاميذ والذي يهدف للكشف عن ردّة فعل التلاميذ ومدى تأثّرهم بالحرب لتشخيص حالاتهم.

في هذه الخطوة، قمنا بتصميم جدول لجودة التّعبير الكتابي الخاص يتعلّق بموضوع الحرب والسّلام. وقد عرضنا فيه كيفيّة تحديد الأمور واعتمدنا التّدرّج المتعلّق بتصميم الموضوع أو التّعبير الكتابي لغةً ومضموناً من حيث الأثر النّفسي، وقد رُوعِيَ في ذلك تطبيق الشّروط الخاصّة بالمقدّمة الذي وضعنا فيها عدّة احتمالات وأيضاً جسم الموضوع والخاتمة، وتمّ وضع هذه الإحتمالات في ضوء إجابات التّلاميذ.

كما رُوعِيَ في ذلك الأسلوب والمضمون من حيث اللّغة والأخطاء الإملائيّة، وترابط الأفكار فيما بينها... (راجع جدول رقم 7).

ج- الملاحظة : ملاحظة سلوك الأطفال أثناء القيام بتنفيذ العمل وطريقتهم وردّة فعلهم وكيفيّة طرح أسئلتهم، وتدوين ذلك في ملف خاص لكل طفل قد تعرّض لصدمة الحرب، إضافةً إلى الجو العام للصّف أثناء تطبيق الإستمارات.

د- المقابلة: وهي عبارة عن حوار قائم بيننا وبين الطفل بصورة فرديّة. وهناك ثلاث مراحل اعتمدناها في المقابلة مع أطفال حرب تموز، وهي:

أوّلاً : مقابلة الأطفال المصابين بصدمة الحرب فرداً فرداً والذين تأثّروا بشكل مباشر (شاهدوا وفاة أحد ذويهم أوشخص آخر...) وذلك لمعرفة أوضاعهم النّفسيّة بعد الحرب وتفسير ما عبّروا عنه من خلال تقنيتيّ التّعبير الكتابي والرّسم.

لقد تمّ اختيار التلاميذ الذين يُعانون من صدمة الحرب بمساعدة الإدارة.

---

1 - أنظر ملحق رقم 1.

2 - أنظر ملحق رقم 2.

كانت المقابلة عبارة عن مجموعة من الأسئلة الخاصة بالذكور[1] والإناث[2] وقد استغرقت المقابلة الفرديّة30 دقيقة .

ثانياً : مقابلتنا لبعض علماء النفس والإجتماع بهدف مساعدتنا في تفسير بعض الحالات في ضوء نتائج العمل الميداني.

ثالثاً : مقابلة بعض المعلّمات والمعلّمين والمنسّقين الذين يتعاملون مع هؤلاء الأطفال (تلاميذ الصّف الخامس الأساسي) من أجل الحصول على فكرة عامة تتعلّق بتغيّر سلوك الأطفال وأوضاعهم قبل الحرب وبعدها.

هـ- استمارة التّحصيل الدّراسي: أمّا بالنّسبة للتّحصيل الدّراسي وسلوك التلاميذ، فقد وضعنا استمارة تخصّ منسّقي ومعلّمي مادّة اللّغة العربيّة في الصّف الخامس الأساسي، إذ كانت تحتوي على احتمالات متعدّدة لها علاقة مباشرة بصدمة الحرب، فكانت تتألّف من سلّم تدريجي يبيّن لنا التّغيير الحاصل في سلوك التلاميذ على الصّعيد التّربوي للعامين 2005/ 2007، أي قبل حدوث الحرب وبعدها، ؛ نظراً إلى أهميّة كل مهارة التي يمكن أن تتفاوت وفقاً لطبيعتها من جهة، ولطبيعة ظروف التلاميذ من جهة ثانية.[3]

وللتأكّد من سلامة العبارات وصدقيّة الإختبار، قمنا بعرضها على مجموعة من الاختصاصيين في التّربية واللّغة العربيّة والرّسم وعلم النّفس من أجل تحكيمها. وكان الهدف من ذلك الإفادة من مُلاحظات وآراء المُحكّمين حول الإستمارة من حيث الجوانب التي تشتمل عليها، والأبعاد، ودقّة العبارات ومدى ملاءمتها لموضوع الدّراسة.

وقد أبدى المحكّمون استحساناً حول محاور الإستمارة والتّصنيفات ووافقوا على المضمون. وكان هناك بعض الملاحظات حول تعديل صياغة بعض الأسئلة.

---

1 - أنظر ملحق رقم 4.

2 - أنظر ملحق رقم 5.

3 - أنظر ملحق رقم 6.

سادساً: تطبيق الإستمارة

اعتمدنا أوّلاً اختبار الرّسم الحر قبل التّعبير الكتابي بفترة زمنية حدّدتها المدرسة وذلك كي لا يتأثّر التلاميذ بموضوع الحرب أو السّلام، بعد ذلك تمّ تطبيق اختبار التّعبير الكتابي عن الحرب كموضوعٍ مرتبط بالواقع المُعاش للتلاميذ وكمتغيّر مستقل في الدّراسة. بعد ذلك تمّ تطبيق التّعبير الكتابي الذي يهدف إلى تحديد مفهوم السّلام والحرب من منظور الأطفال إضافة إلى رسم فكرة السّلام.

لقد روعِيَ أثناء اختيار موضوع التّعبير الكتابي (الحرب والسّلام) أن يكون مألوفاً، ومرتبطاً بالواقع المُعاش للتّلاميذ.

- وُضِعت الأسئلة وفق الأهداف المنشودة للدّراسة.

- تمّ تحديد متوسّط الزمن اللازم للإجابة بخمسين دقيقة، هذا يعني أنّ الاختبار مناسب للتّطبيق خلال فترة الحصّة الدّراسيّة.

- رُوعيَ أثناء مُراقبة التلاميذ عدم المساعدة في الإجابة وذلك بهدف الحفاظ على الموضوعيّة.

- بلغ العدد الإجمالي للإستمارات بعد استبعاد الإجابات غير الصّالحة للتّحليل 807 استمارات (269 تلميذاً × 3 اختبارات)، إذ تمّ استبعاد الاستمارات التي كانت ناقصة.

سابعاً: الصّعوبات

لعلّ ما يبيّن أهميّة الدّراسة أنّها من الدّراسات الميدانيّة التي تسلّط الضّوء على الآثار النّفسيّة والتّربويّة في أطفال حرب تموز 2006، والتي لم يسبق لأحد حتى تاريخه أن درس هذا الموضوع بالشّكل الذي نطرحه هنا. ومن الدّراسات التي تناولت الأوضاع النّفسيّة عند الأطفال والمراهقين اللّبنانيين دراسة ميدانيّة حديثة نشرت في لبنان عام 2008 (عدنان الأمين، وغيره...)[1] وقد جرت بعد 9 أشهر من انتهاء حرب تموز

2006. وهذه هي المدّة نفسها التي اعتمدناها في دراستنا.

لقد اعترضت عملنا بعض الصّعوبات وخاصّة قلة المراجع التي تناولت هذا الموضوع والتي تُعنى بأطفال الحرب على الصعيد المحلي، وبسبب ندرة الدّراسات السّابقة وقلّتها، فقد عانينا كثيراً في جمع المعلومات والمراجع، ممّا دفعنا إلى اللّجوء إلى بعض المصادر العربيّة التي تحدّثت عن معاناة أطفال الكويت وفلسطين والعراق.... بالاضافة إلى اطلاعنا على المراجع الأجنبيّة التي أخذت وقتاً وفيراً لترجمتها من الفرنسيّة والانكليزيّة إلى العربيّة.

أمّا الصّعوبة الثانية فتمثّلت بالتفاوت في النتائج حول صدمة الحرب وأثرها في الأطفال، فمعظم المراجع التي وقعنا عليها تعالج موضوع الحرب في صفحات كثيرة بشكل عام وفي معرض الحديث عن الأثر النّفسي في الأطفال حيث تكتفي بإشارات خجولة تعدّد فيها أعراض الصّدمة كالخوف والقلق والاكتئاب وقلة النّوم.... من دون التّوسّع في الانعكاسات السلوكيّة والتّربويّة.

إنّ اطلاعنا على الكتب التي تُعنى بالرسم وتقنياته قد استلزم منّا مجهوداً كبيراً لإستنباط ما يُناسب دراستنا. وهذا ما يظهر من خلال قائمة المصادر والمراجع.

ومن الصعوبات التي واجهتنا أيضاً، هي قلّة المراجع وندرة الكتب التربوية التي تُعنى بتراجع التحصيل الدراسي عند الأطفال بعد توقّف الحرب وكذلك التّعبير الكتابي.

والصعوبة الأخيرة تتصل بالعمل الميداني، إذ لم توافق بعض مدارس العيّنة ان نتوجّه إلى المعلّمين مباشرة لشرح الاستبانة والإشراف على تعبئتها. وهذا ما ولّد لدينا شعوراً بالضيق لأننا كنّا نفضّل أن نتعامل مع المعلّمين مباشرةً. وهذه المشكلة صادفتنا فقط في بعض المدارس الخاصة.

كما أنّ إجراء الدّراسة قد اصطدم بالصّعوبات التي واجَهتنا أثناء البحث الميداني، وهي صعوبات تتعلّق بإدارة المدارس التي رفضت أن تستقبلنا وذلك لعدّة أسباب منها : أنّ

---

1 - عدنان الأمين وغيره، **الأحوال النّفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد حرب تموز 2006**، ص66 .

المدرسة لا تُريد أن تُذكّر التلاميذ بالحرب حيث بدأوا العام الدّراسي بإعطاء الدّروس مباشرة من دون اعتبار لما جرى في صيف 2006. فالتلاميذ لم يرتاحوا من النزوح والقلق والخوف والتّهجير .... وللتّخفيف من المعاناة، قامت بعض المدارس وهي قليلة بإجراء نشاطات ترفيهيّة تُساعد التّلاميذ على نسيان آثار الحرب، وهذه المدارس بالذات هي التي رفضت استقبالنا لأنّها كانت تهرب الى الأمام وكأنّ الحرب كانت أسطورة ويجب نسيانها.

ومن أبرز صعوبات العمل الميداني هو تفريغ الاستمارات وتصحيح التّعابير الكتابية وتحليل رسومات الأطفال، وهذا أمر مرهق ومتعب جداً ويحتاج الى الكثير من الجهد والوقت، خاصةً وأن عدد أطفال العيّنة قد بلغ 269 طفلاً، ولكلّ منهم ثلاث اختبارات (تعبير كتابي عن حرب، تعبير كتابي عن السّلام والرّسم الحر)، ما يعني أننا قمنا بتحليل (269 × 3) 807 استمارات.

# الفصل الأوّل		عرض نتائج الدّراسة وتحليلها

تمهيد

أسفرت الدّراسة عن بعض النتائج التي نعتبرها مهمّة ودالّة، وسنحاول تفسيرها في هذا الباب. ونشير إلى أنّ عرض هذه النتائج يأتي من خلال الرّبط بين تقنيتي الرّسم والتّعبير الكتابي اللتين كشفتا عن وجود آثار سلبيّة على الصّعيد التّربوي والنّفسي.

وقبل أن نقوم بتحليل النتائج التي توصّلنا إليها في دراستنا هذه، لا بدّ لنا من أن نقوم بعرض الجداول الإحصائيّة التي تُظهر لنا نتائج الاستمارات التي أفرغناها في جداول إحصائيّة، وقد اعتمدنا على استعمال النّسب المئويّة التي نقرأ بواسطتها التأثيرات النّفسيّة والتّربويّة في الأطفال وعلاقة ذلك بالتّحصيل الدّراسي، ثمّ هناك الرّسوم البيانيّة لتوضيح النتائج الإحصائيّة.وقد اعتمدنا في تحليل النتائج اختبار (x^2) ضمن البرنامج الإحصائي spss وبدرجة من الثقة تساوي 0.95.

وتسهيلاً لعرض هذه النتائج وبيان مدلولها النّفسي والتّربوي وانعكاساتها على التحصيل الدراسي عند الأطفال، فقد جرى تنظيمها وفق فرضيات الدّراسة ومتغيراتها، آخذين بالإعتبار عوامل الجنس والعمر، والمنطقة التي يظهر من خلالها الانتماء الطائفي للأطفال.

أوّلاً: عرض مضمون الرّسوم والتّعبير الكتابي

إن الطفل بشكل عام، مهما كان انتماؤه الطائفي، فهو يخضع لأثر وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة وكذلك لأحاديث الأهل والرّفاق والكبار في المدرسة والحي. لقد

عاش الطّفل اللّبناني محنة الحرب وسمع دوي القذائف والصّواريخ وتحليق الطّائرات الحربيّة،.....

ومن الأطفال من عايش الحرب وخبر أهوالها وفقد أحد الأشخاص الأعزّاء عليه، ومنهم من تهجّر من منزله، ومنهم من سمع القصف الجوّي وشاهد أخبار الحرب على التلفزيون......

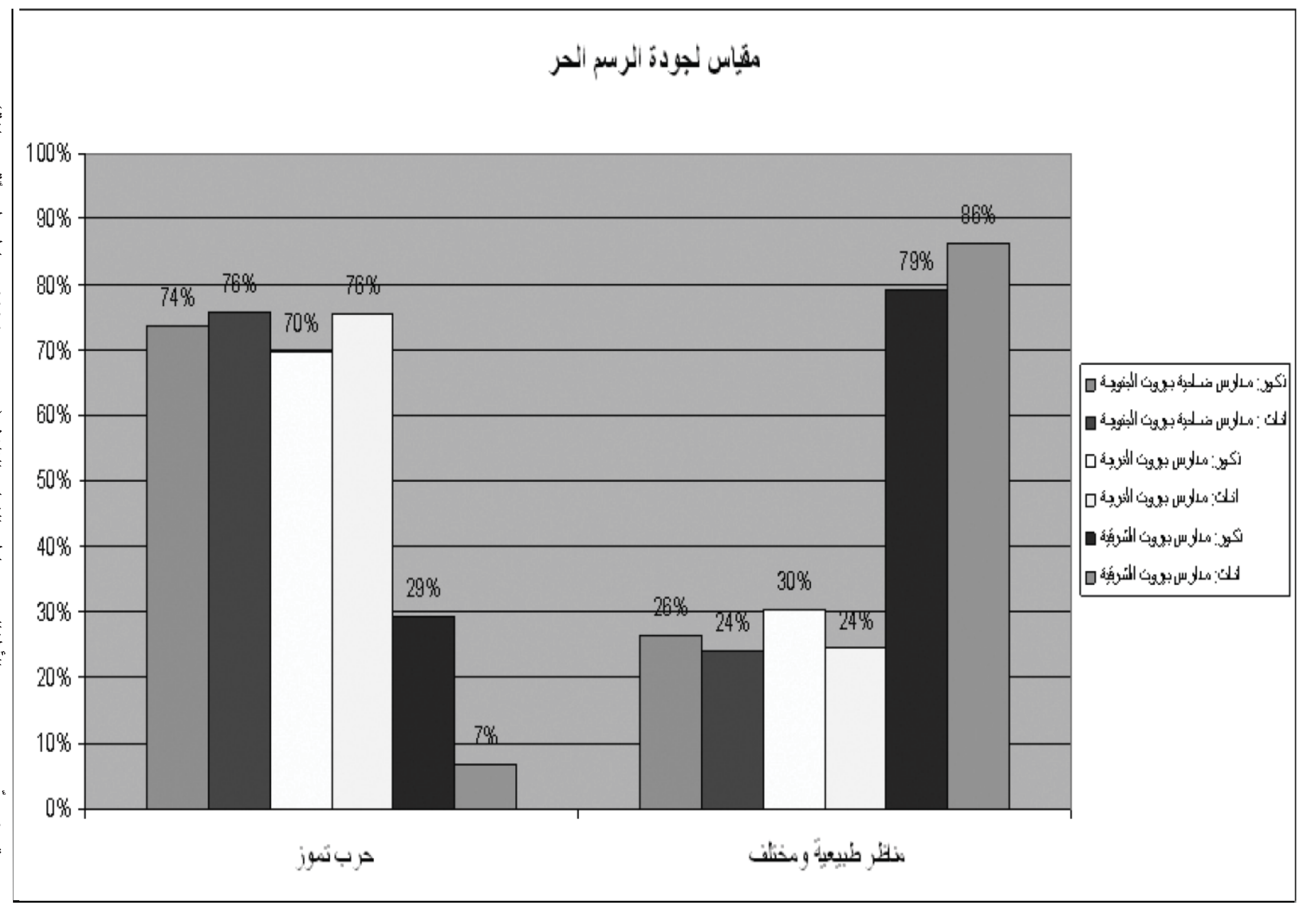
أ- عرض نتائج الرّسم الحر

بعد أن أجرى الأطفال اختبار الرّسم الحر (راجع ملحق رقم 3) بعد تسعة أشهر من انتهاء حرب تموز، قمنا بفرز رسومات الأطفال حسب موضوعاتها وقسمناها الى قسمين، الأول يُعنى برسومات حرب تموز 2006 والثاني يُعنى بالمناظر الطبيعية وغيرها من الموضوعات، وذلك لتحديد الأثر النّفسي للحرب من خلال الرّسومات. لذا سنحاول الآن، أن ندرس محتوى الرّسوم التي أعطاها الأطفال لنتمكن في ضوئها من تحديد مدى تأثّر الأطفال بالأحداث، كما يظهر في الجدول رقم 2.

عناصر رسومات حرب تموز ٢٠٠٦

		مدارس بيروت الغربية					مدارس بيروت الشرقية					مدارس ضاحية بيروت الجنوبية					المجموع					
	عدد اطفال العينة			80					78					111			NT=80					
				58					13					83								
	عدد رسومات الحرب	ذكور	%	اناث	%	مجموع	ذكور	%	اناث	%	مجموع	ذكور	%	اناث	%	مجموع	ذكور	%	اناث	%	مجموع	%
		30		28		58	10		3		13	42		41		83	82		72		154	
آلات حربية	طائرات حربية تقصف	22	73%	15	54%	64%	3	30%	0	0%	23%	29	69%	30	73%	71%	54	66%	45	63%	99	64%
	صواريخ	21	70%	21	75%	72%	4	40%	1	33%	38%	25	60%	28	68%	64%	50	61%	50	69%	100	65%
	دبابة	6	20%	3	11%	16%	2	20%	0	0%	15%	6	14%	3	7%	11%	14	17%	6	8%	20	13%
	سلاح ورصاص	7	23%	7	25%	24%	0	0%	0	0%	0%	5	12%	2	5%	8%	12	15%	9	13%	21	14%
	بارجة بحرية	2	7%	0	0%	3%	0	0%	0	0%	0%	1	2%	6	15%	8%	3	4%	6	8%	9	6%
	قتلى وجرحى ودماء	9	30%	17	61%	45%	1	10%	2	67%	23%	13	31%	24	59%	45%	23	28%	43	60%	66	43%
	اشخاص حزينون	11	37%	26	93%	64%	0	0%	3	100%	23%	13	31%	19	46%	39%	24	29%	48	67%	72	47%
	جنود(رجال المقاومة) + جيش لبناني	6	20%	2	7%	14%	0	0%	0	0%	0%	5	12%	3	7%	10%	11	13%	5	7%	16	10%
	اسعاف	7	23%	11	39%	31%	0	0%	3	100%	23%	4	10%	5	12%	11%	11	13%	19	26%	30	19%
قصف مواقع	دمار منزل	13	43%	19	68%	55%	4	40%	0	0%	31%	12	29%	21	51%	40%	29	35%	40	56%	69	45%
	جسر	5	17%	2	7%	12%	0	0%	0	0%	0%	5	12%	1	2%	7%	10	12%	3	4%	13	8%
	جامع	0	0%	0	0%	0%	0	0%	0	0%	0%	5	12%	0	0%	6%	5	6%	0	0%	5	3%
	طريق	3	10%	6	21%	16%	0	0%	1	33%	8%	1	2%	4	10%	6%	4	5%	11	15%	15	10%
	ابنية	17	57%	18	64%	60%	2	20%	0	0%	15%	9	21%	19	46%	34%	28	34%	37	51%	65	42%
	سيارات	4	13%	6	21%	17%	0	0%	1	33%	8%	6	14%	7	17%	16%	10	12%	14	19%	24	16%
	مجمع سيد الشهداء	0	0%	0	0%	0%	0	0%	0	0%	0%	4	10%	0	0%	5%	4	5%	0	0%	4	3%
	خزان وقود	2	7%	0	0%	3%	0	0%	0	0%	0%	1	2%	2	5%	4%	3	4%	2	3%	5	3%
	حجارة متناثرة	15	50%	23	82%	66%	2	20%	0	0%	15%	4	10%	9	22%	16%	21	26%	32	44%	53	34%
	تلفاز	1	3%	2	7%	5%	0	0%	2	67%	15%	0	0%	3	7%	4%	1	1%	7	10%	8	5%
	نار وحريق	8	27%	18	64%	45%	4	40%	2	67%	46%	9	21%	16	39%	30%	21	26%	36	50%	57	37%
	شمس	2	7%	6	21%	14%	0	0%	1	33%	8%	6	14%	10	24%	19%	8	10%	17	24%	25	16%
	غيوم	0	0%	3	11%	5%	0	0%	0	0%	0%	6	14%	14	34%	24%	6	7%	17	24%	23	15%
	اشجار مقطوعة	2	7%	6	21%	14%	0	0%	2	67%	15%	4	10%	8	20%	14%	6	7%	16	22%	22	14%

جدول رقم2: مقياس لجودة الرسم في منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة، بيروت الشرقيّة والغربيّة.



رسم رقم 2: يبيّن موضوع رسوم الأطفال بين مناطق الفئات الثلاث (حرب تموز 2006 ومناظر طبيعيّة مختلفة).

تفيد الإحصاءات وبحسب الرسم المذكور أنّ 75 % من أصل 111 طفلاً عند الفئة الأولى (الضّاحية الجنوبية) قد رسموا عن حرب تموز 2006. وهذه نسبة مرتفعة جداً وتدلّ على أن صورة الحرب بقيت في ذاكرة الأطفال حتى بعد مرور تسعة أشهر من انتهاء الحرب. وهذا يدلّ على استمرار انعكاسات الحرب السلبية على الأطفال، بما في ذلك التأخر المدرسي أو التدني في التحصيل الدراسي،... وهذا ما سنقوم بتحليله وعرضه ومناقشته وتفسيره في الفصول التالية.)؛ وفي المقابل نجد أن 25 % من الأطفال فقط رسموا مناظر طبيعية. أما عند أطفال الفئة الثانية (بيروت الغربيّة) فقد تبين أن النسبة متقاربة مع أطفال الفئة الأولى حيث بلغت 73 % من أصل80 طفلاً قد رسموا عن الحرب وفي المقابل نجد أن 27 % منهم قد رسموا مناظر طبيعية ، بينما انخفضت نسبة رسومات الحرب عند أطفال الفئة الثالثة (بيروت الشرقيّة) حتى وصلت الى 17 % (من أصل 78 طفلاً) ممن رسموا عن الحرب وهي نسبة متدنية مقارنة مع منطقة ضاحية بيروت الجنوبية ومنطقة بيروت الغربية، علماً أنَّ هذه النسبة ظهرت فقط في منطقة بدارو التي تقع بالقرب من الشيّاح والضّاحية الجنوبية لبيروت، في المقابل نجد أن باقي الأطفال أي 83 % قد رسموا مناظر طبيعية.

بعد أن تمّ فرز موضوعات الرسوم بين الفئات الثلاث كما ورد في الرسم رقم 2، قمنا بتحليل مضمون رسومات الأطفال من خلال عناصر الحرب فقط، كما يوضح الجدول رقم 3 حيث قمنا بتقسيمها من حيث الآلات الحربية والمواقع التي قصفت والتي شاهدها الأطفال بأم العين أو من خلال شاشات التلفاز... وقد عبّروا عنها بلغتهم الخاصة من حيث الرموز وطبيعة الألوان.

عناصر رسومات حرب تموز ٢٠٠٦

		مدارس بيروت الغربية					مدارس بيروت الشرقية					مدارس ضاحية بيروت الجنوبية					المجموع					
	عدد اطفال العينة			80					78					111			NT=80					
	عدد رسومات الحرب			58					13					83								
		ذكور	%	اناث	%	مجموع	ذكور	%	اناث	%	مجموع	ذكور	%	اناث	%	مجموع	ذكور	%	اناث	%	مجموع	%
		30		28		58	10		3		13	42		41		83	82		72		154	
آلات حربية	طائرات حربية تقصف	22	73%	15	54%	64%	3	30%	0	0%	23%	29	69%	30	73%	71%	54	66%	45	63%	99	64%
	صواريخ	21	70%	21	75%	72%	4	40%	1	33%	38%	25	60%	28	68%	64%	50	61%	50	69%	100	65%
	دبابة	6	20%	3	11%	16%	2	20%	0	0%	15%	6	14%	3	7%	11%	14	17%	6	8%	20	13%
	سلاح ورصاص	7	23%	7	25%	24%	0	0%	0	0%	0%	5	12%	2	5%	8%	12	15%	9	13%	21	14%
	بارجة بحرية	2	7%	0	0%	3%	0	0%	0	0%	0%	1	2%	6	15%	8%	3	4%	6	8%	9	6%
	قتلى وجرحى ودماء	9	30%	17	61%	45%	1	10%	2	67%	23%	13	31%	24	59%	45%	23	28%	43	60%	66	43%
	اشخاص حزينون	11	37%	26	93%	64%	0	0%	3	100%	23%	13	31%	19	46%	39%	24	29%	48	67%	72	47%
	جنود(رجال المقاومة) + جيش لبناني	6	20%	2	7%	14%	0	0%	0	0%	0%	5	12%	3	7%	10%	11	13%	5	7%	16	10%
	اسعاف	7	23%	11	39%	31%	0	0%	3	100%	23%	4	10%	5	12%	11%	11	13%	19	26%	30	19%
قصف مواقع	دمار منزل	13	43%	19	68%	55%	4	40%	0	0%	31%	12	29%	21	51%	40%	29	35%	40	56%	69	45%
	جسر	5	17%	2	7%	12%	0	0%	0	0%	0%	5	12%	1	2%	7%	10	12%	3	4%	13	8%
	جامع	0	0%	0	0%	0%	0	0%	0	0%	0%	5	12%	0	0%	6%	5	6%	0	0%	5	3%
	طريق	3	10%	6	21%	16%	0	0%	1	33%	8%	1	2%	4	10%	6%	4	5%	11	15%	15	10%
	ابنية	17	57%	18	64%	60%	2	20%	0	0%	15%	9	21%	19	46%	34%	28	34%	37	51%	65	42%
	سيارات	4	13%	6	21%	17%	0	0%	1	33%	8%	6	14%	7	17%	16%	10	12%	14	19%	24	16%
	مجمع سيد الشهداء	0	0%	0	0%	0%	0	0%	0	0%	0%	4	10%	0	0%	5%	4	5%	0	0%	4	3%
	خزان وقود	2	7%	0	0%	3%	0	0%	0	0%	0%	1	2%	2	5%	4%	3	4%	2	3%	5	3%
	حجارة متناثرة	15	50%	23	82%	66%	2	20%	0	0%	15%	4	10%	9	22%	16%	21	26%	32	44%	53	34%
	تلفاز	1	3%	2	7%	5%	0	0%	2	67%	15%	0	0%	3	7%	4%	1	1%	7	10%	8	5%
	نار وحريق	8	27%	18	64%	45%	4	40%	2	67%	46%	9	21%	16	39%	30%	21	26%	36	50%	57	37%
	شمس	2	7%	6	21%	14%	0	0%	1	33%	8%	6	14%	10	24%	19%	8	10%	17	24%	25	16%
	غيوم	0	0%	3	11%	5%	0	0%	0	0%	0%	6	14%	14	34%	24%	6	7%	17	24%	23	15%
	اشجار مقطوعة	2	7%	6	21%	14%	0	0%	2	67%	15%	4	10%	8	20%	14%	6	7%	16	22%	22	14%

جدول رقم 3: عناصر رسومات الأطفال لحرب تموز 2006

لقد أظهرت النتائج بأنّ الفروقات واضحة بين الفئات الثلاث بحسب الجنس ومن حيث مضمون الرّسومات أو موضوع الرّسمة. فالتأثّر بالاعتداءات الإسرائيليّة يظهر بطريقة متفاوتة عند الصبيان والبنات كما يشير الى ذلك مضمون الرّسومات التي أعطاها الأطفال. (وهذا ما سوف نقوم بتفسيره في الفصل الثاني من هذا الباب).

ولكن هل توجد فروقات دالة بين الذكور والإناث في رسوماتهم من حيث مظاهر القلق؟؟

ب- عرض نتائج مفهوم الحرب من خلال التّعبير الكتابي

من خلال تفريغنا للإستمارات، وخاصةً فيما يتعلّق بالتعبير الكتابي عن الحرب. قمنا بتقسيم التعبير الكتابي الى ثلاثة أقسام. المقدّمة وصلب الموضوع والخاتمة، كما هو واضح في الجدول رقم4 (أنظر الملحق). ولأننا لا نستطيع تحديد متغيرات الأثر النّفسي مباشرة من خلال التّعبير الكتابي، لجأنا الى تجزئة كل قسم من الأقسام الثلاثة الى فئات تمّ جمعها من خلال إجابات الأطفال الأكثر تشابهاً وتكراراً، والتي دوّنوها بأسلوبهم الخاص. ولا ننسى الأثر التّربوي كمتغيّر تابع لصدمة الحرب والذي سوف ندرسه لاحقاً.

قسمّت المقدّمة الى سبع فئات (دمار هدم وخراب، قتل وموت، مجازر وخسائر بشرية، تشرّد، معارك وإجرام، كارثة كبيرة) تَعرّفنا من خلالها إلى مفهوم الحرب وهو تمهيد للدخول في الموضوع، أما صلب الموضوع، فقد تمّ تقسيمه الى قسمين، الأول يتحدّث فيه الطفل عن شعوره ومعاناته خلال فترة الحرب، ويضم هذا القسم خمسة عناصر(فقدان الأعزاء، الشعور بالخوف، حزن ويأس، موت وقتل، الدعاء لوقف الحرب) وهناك نتائج الحرب التي تعرّض لها أثناء حرب تموز والتي قسمّت الى فئتين (تهجير ونزوح، دمار المنزل)، أما القسم الثاني فيتحدّث فيه الطفل عن شعوره بعد الحرب (أي حتى تاريخ إجراء العمل الميداني بعد تسعة أشهر من توقف الحرب)، مثل الشعور بالفرح وقد تناول ثلاث فئات (اطمئنان، الفرح بالانتصار، الشعور بالحريّة والاستقلال) أو الشعور

بالخوف ويضم أربعة عناصر (الخوف من حرب جديدة، قلق وحزن، التفكير بالحرب والمصابين، استمرار الخوف). أما الخاتمة فهي عبارة عن أمنية الطفل تجاه الحرب التي عاشها وقد ضمّت ستة عناصر (عدم تكرار الحرب، إعادة إعمار لبنان، السّلام، وقف الحروب في العالم، إعادة الحرب من أجل الاستشهاد، استمرار الخوف).

فما هي النتائج التي حصلنا عليها من خلال التّعبير الكتابي للحرب؟

يعطي الجدول رقم 4 فكرة شاملة عن نتائج الدّراسة من حيث التّعبير الكتابي عن الحرب. ونلاحظ أن هناك متغيرات ترتبط بالاضطرابات النّفسية أو بصدمة الحرب. سوف نبدأ أولاً بعرض المتغيرات المرتبطة بالأثر النّفسي للحرب من خلال التّعبير الكتابي محاولين تفسير النتائج التي توصلنا إليها.

لقد تبيّن لنا من خلال النسب المئوية لمفهوم الحرب، عند الفئة الأولى أنه لا توجد فروقات بين الإناث والذكور من حيث المصطلحات والمفردات التي استعملوها (دمار وهدم وخراب 65 % للإناث و67 % للذكور، قتل وموت20 % للإناث و 72 % للذكور، مجازر وخسائر بشرية54 % للإناث و51 % للذكور، تشرّد 39 % للإناث و 46 % للذكور، معارك وإجرام26 % للإناث و32 % للذكور، كارثة كبيرة 43 % للإناث و39 % للذكور).

أما بالنسبة للفئة الثانية، فأتت النسب متقاربة بين الإناث والذكور(دمار وهدم وخراب 70 % للإناث و77 % للذكور، قتل وموت81 % للإناث و91 % للذكور، مجازر وخسائر بشرية 22 % للإناث و40 % للذكور، تشرّد 49 % للإناث و44 % للذكور، معارك وإجرام 43 % للإناث و19 % للذكور، كارثة كبيرة 38 % للإناث و23 % للذكور).

أما الفئة الثالثة، فأتت النسب أيضاً متقاربة بين الإناث والذكور (دمار وهدم وخراب 80 % للإناث و97 % للذكور، قتل وموت 88 % للإناث و57 % للذكور، مجازر وخسائر بشرية51 % للإناث و46 % للذكور، تشرّد 34 % للإناث و22 % للذكور، معارك وإجرام 46 % للإناث و46 % للذكور، كارثة كبيرة 46 % للإناث و38 % للذكور).

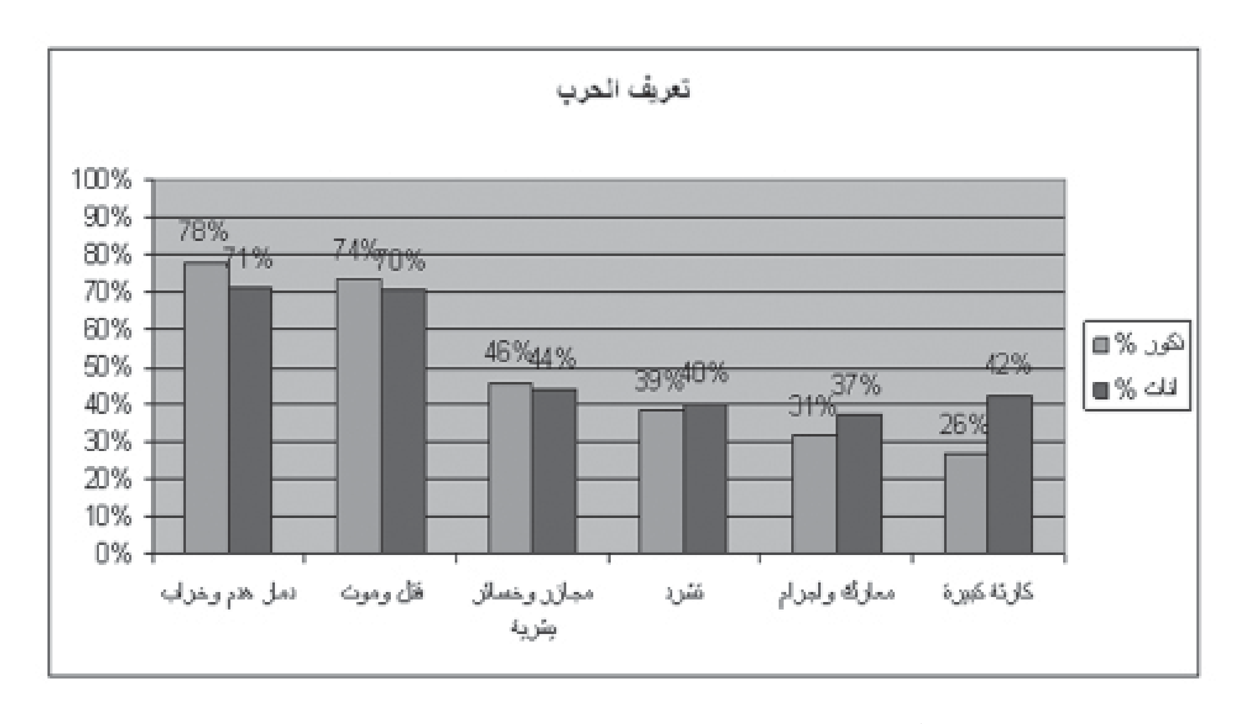
وإذا قارنا بين مفهوم الحرب في المناطق الثلاث (أنظر جدول رقم -4أ / رسم رقم 3) فقد يتبيّن لنا أنه لا توجد فروقات دالة إحصائياً بين إجابات الأطفال لمفهوم الحرب وذلك بحسب معادلة x^2 التي تساوي13.30 درجة للإناث مقابل 16.99 درجة للذكور. أما بالنسبة لمتغير الجنس فإننا لم نجد أيضاً فروقات دالة إحصائية، وهذه النتيجة تبين لنا أن ذاكرة الأطفال مشحونة بصورة عامة بمفردات الحرب.

Fréquences empiriques		فروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير الحرب عند الإناث					
اناث	مدارس ضاحية بيروت الجنوبية	مدارس بيروت الشرقية	مدارس بيروت الغربية	D	E	Total	تعريف الحرب
a	35	33	26			94	دمار هدم وخراب
b	27	36	30			93	قتل وموت
c	29	21	8			58	مجازر وخسائر وبشرية
d	21	14	18			53	تشرد
e	14	19	16			49	معارك وإجرام
f	23	19	14			56	كارثة كبيرة
g							
Totaux	149	142	112	0	0	403	
				x^2 =	13.30		
				dl =	10		
				p=	0.207152		
					n.s.		

Fréquences empiriques		الفروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير الحرب عند الذكور					
ذكور	مدارس ضاحية بيروت الجنوبية	مدارس بيروت الشرقية	مدارس بيروت الغربية	D	E	Total	تعريف الحرب
a	38	36	33			107	دمار هدم وخراب
b	41	21	39			101	قتل وموت
c	29	17	17			63	مجازر وخسائر بشرية
d	26	8	19			53	تشرد
e	18	17	8			43	معارك وإجرام
f	22	14	10			46	كارثة كبيرة
g							
Totaux	174	113	126	0	0	413	
				x^2 =	16.99		
				dl =	10		
				p =	0.074696		
					n.s.		

Fréquences empiriques		الفروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير الحرب من حيث الجنس					
الجنس	إناث	ذكور		O	E	Total	تعريف الحرب
a	94	107				201	دمار هدم وخراب
b	93	101				194	قتل وموت
c	58	63				121	مجازر وخسائر بشرية
d	53	53				106	تشرد
e	49	43				92	معارك وإجرام
f	56	36				92	كارثة كبيرة
g							
Totaux	403	403	0	0	0	806	
				x^2 =	6.12		
				dl=	5		
				p =	0.2950537		
					n.s.		

جدول رقم 4 -أ: الفروقات الدّالة بين المناطق من خلال تعريف الحرب بحسب المنطقة والجنس.



رسم رقم 3: يبيّن تعريف مفهوم الحرب عند الأطفال من خلال التعبير الكتابي للحرب

أما بالنسبة لمتغير أثر صدمة الحرب، فتبيّن من خلال الجدول رقم 4 أن النسب المئوية لأثر صدمة الحرب عند الفئة الأولى لم تظهر تفاوتاً بين الإناث والذكور (فقدان الأعزاء 35 % للإناث و26 % للذكور، الشعور بالخوف 87 % للإناث و72 % للذكور، حزن ويأس 69 % للإناث و53 % للذكور، موت وقتل 59 % للإناث و56 % للذكور، الدعاء لوقف الحرب 44 % للإناث و37 % للذكور).

أما بالنسبة لأطفال الفئة الثانية، فأتت النسب متقاربة بين الإناث والذكور (فقدان الأعزاء 35 % للإناث و26 % للذكور، الشعور بالخوف 76 % للإناث و63 % للذكور، حزن ويأس 84 % للإناث و 88 % للذكور، موت وقتل 84 % للإناث و77 % للذكور، الدعاء لوقف الحرب 49 % للإناث و19 % للذكور).

أما بالنسبة للفئة الثالثة فأتت النسب أيضاً متقاربة بين الإناث والذكور ولكن بنسبة أقل من الفئتين الأولى والثانية (فقدان الأعزاء 5 % للإناث و14 % للذكور، الشعور بالخوف 85 % للإناث و89 % للذكور، حزن ويأس 83 % للإناث و68 % للذكور، موت وقتل 88 % للإناث و70 % للذكور، الدعاء لوقف الحرب90 % للإناث و 62 % للذكور).

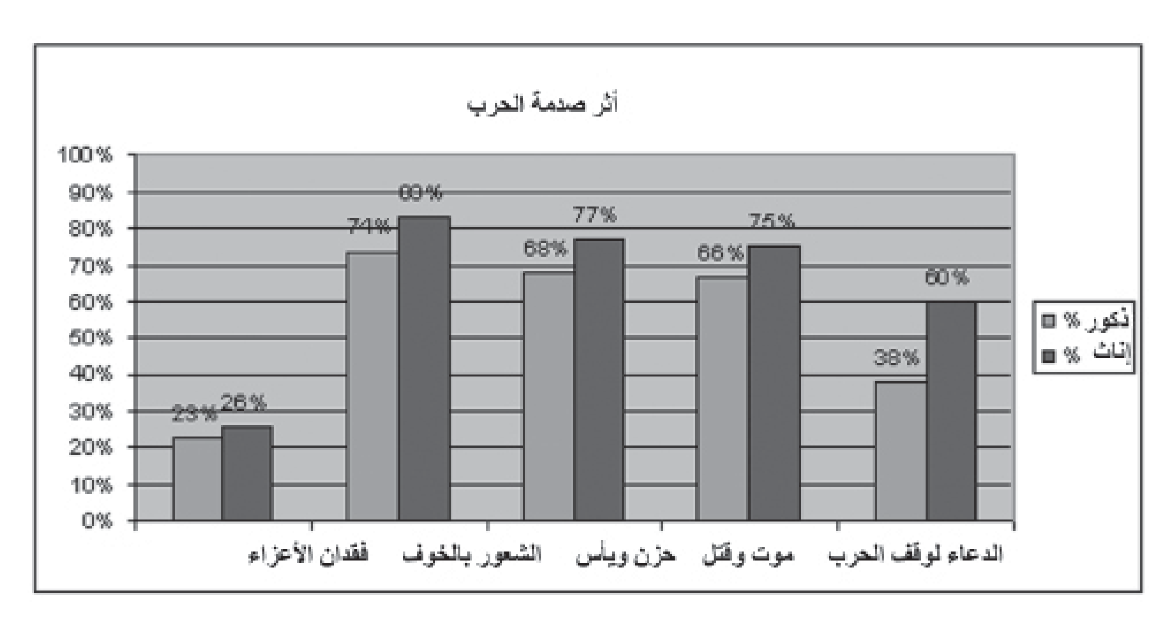
وإذا قارنا بين متغيّر المناطق الثلاث (أنظر جدول -4ب / رسم رقم 4) فقد تبيّن أنه توجد فروقات دالة إحصائياً وذلك بحسب معادلة x^2 التي أظهرت أن p أصغر من 0.05. أما بالنسبة لمتغير الجنس، فلا توجد فروقات دالة احصائية من حيث التعرض لأثر الصدمة (ptsd).

Fréquences empiriques		الفروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير الحرب عند الإناث					
إناث	مدارس ضاحية بيروت الجنوبية	مدارس بيروت الشرقية	مدارس بيروت الغربية	D	E	Total	أثر صدمة الحرب
a	19	2	13			34	فقدان الأعزاء
b	47	35	28			110	الشعور بالخوف
c	37	34	31			102	حزن ويأس
d	32	36	31			99	موت وقتل
e	24	37	18			79	الدعاء لوقف الحرب
f							
Totaux	159	144	121	0	0	424	
				x^2 =	20.55		
				dl =	8		
				p =	0.008437587		
					$p < 0,05$		

Fréquences empiriques		الفروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير الحرب عند الذكور						
ذكور	مدارس ضاحية بيروت الجنوبية	مدارس بيروت الشرقية	مدارس بيروت الغربية	D	E	J	Total	أثر صدمة الحرب
a	15	5	11				31	فقدان الأعزاء
b	41	33	27				101	الشعور بالخوف
c	30	25	38				93	حزن ويأس
d	32	26	33				91	موت وقتل
e	21	23	8				52	الدعاء لوقف الحرب
f								
Totaux	139	112	117	0	0	0	368	
				x^2 =	16.46			
				d =	8			
				p =	0.08621			
					$p<0,05$			

Fréquences empiriques	الفروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير الحرب من حيث الجنس						
الجنس	إناث	ذكور	D	E	F	Total	أثر صدمه الحرب
a	34	31				65	فقدان الأعزاء
b	110	101				211	الشعور بالخوف
c	102	93				195	حزن ويأس
d	99	91				190	موت وقتل
e	79	52				131	
f							
Totaux	424	368	0	0	0	792	
			$\chi 2$ =	2.89			
			dl =	4			
			p =	0.575661			
				n.s.			

جدول رقم 4 -ب: الفروقات الدالة بين المناطق من خلال أثر صدمة الحرب بحسب المنطقة والجنس.

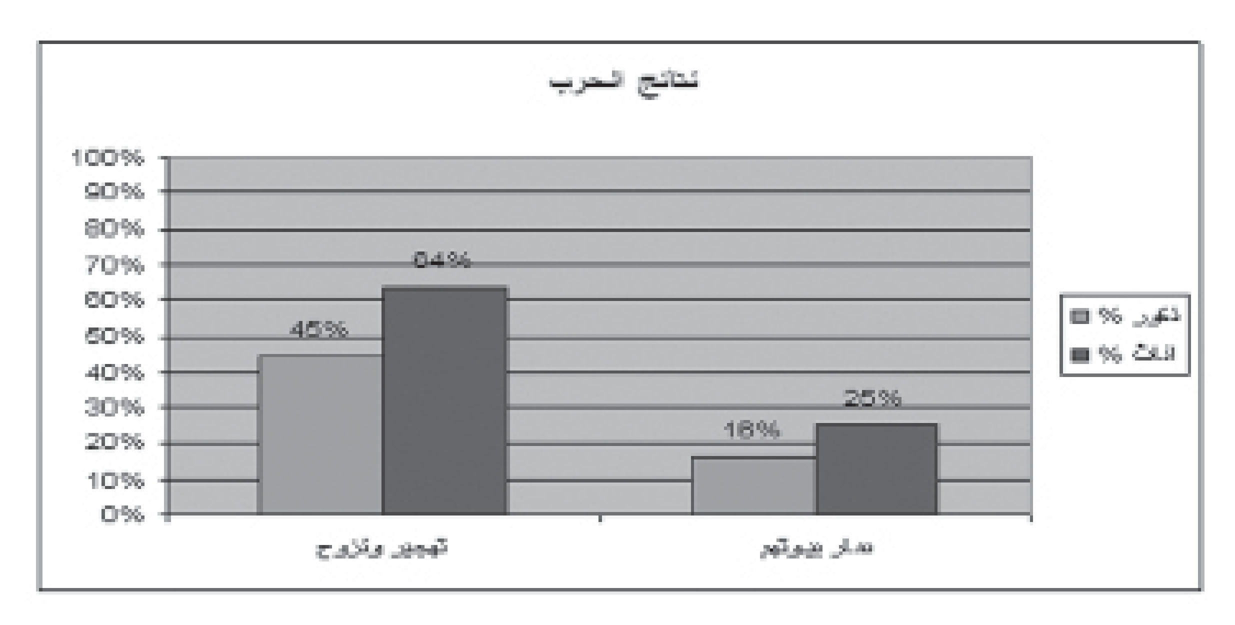


رسم رقم 4: يبيّن أثر صدمة الحرب عند الأطفال من خلال التعبير الكتابي للحرب

وإذا كانت حرب تموز قد أدت الى نتائج مؤلمة منها التهجير والنزوح لأكثر من مليون شخص بشكل قسري أو طوعي الى مناطق أكثر أمناً نسبياً، فقد أشار الجدول رقم 4 الى أن 59 % من الإناث مقابل 46 % من الذكور من الفئة الأولى اضطروا لمغادرة منزلهم، مقابل 57 % من الإناث و40 % للذكور عند الفئة الثانية و76 % من الإناث و49 % من الذكور عند الفئة الثالثة.

ومن نتائج الحرب أيضاً دمار المنازل حيث أظهر لنا التّعبير الكتابي أن 48 % من الإناث مقابل 30 % من الذكور قد دمرت منازلهم أو تضرّرت بشكل كبير في منطقة الضاحية. بينما انخفضت هذه النسبة عند أطفال بيروت الشرقية حيث وصلت النسب الى 17 % للإناث مقابل 8 % للذكور (وذلك لأن عينة الدراسة شملت منطقة بدارو التي وجدنا فيها هذه النسبة من الأطفال الذين يُقيمون بالقرب من منطقة ضاحية بيروت الجنوبية علماً أن منطقة فرن الشباك وسن الفيل لم نجد فيهما أي نتيجة للدمار). أما في منطقة بيروت الغربية فانخفضت النسبة الى 5 %.

وإذا قمنا بمقارنة بين نتائج الحرب في المناطق الثلاث (رسم رقم5) فقد تبيّن لنا أنه توجد فروقات دالة إحصائياً وذلك بحسب معادلة x^2 التي أظهرت أن p أصغر من 0.05. أما بالنسبة لمتغير الجنس، فلا توجد فروقات دالة إحصائية من حيث نتائج الحرب.



رسم رقم5: يبيّن نتائج الحرب عند الأطفال من خلال التعبير الكتابي للحرب

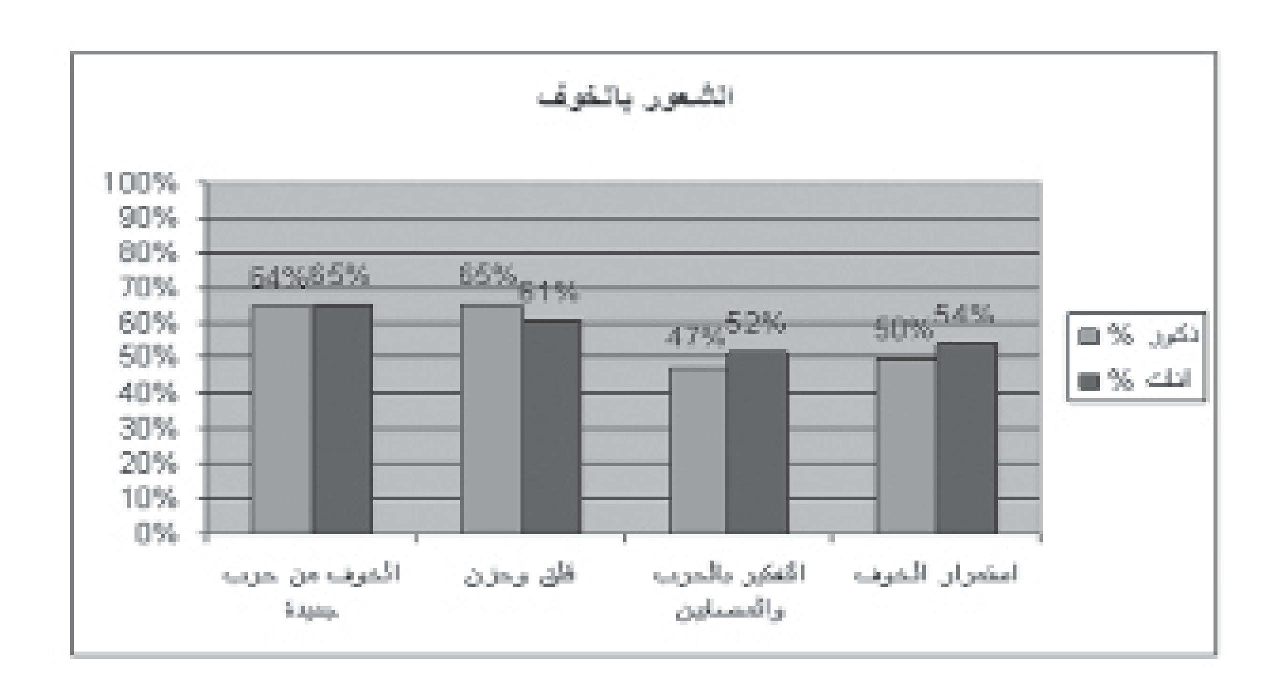
أما بالنسبة لشعور الأطفال بعد فترة الحرب بتسعة أشهر، فقد وجدنا أن نسبة الخوف ما تزال مرتفعة في مختلف المناطق، فعند أطفال الفئة الأولى تبين أن نسبة (الخوف من حرب جديدة كانت 44 % للإناث مقابل 49 % للذكور، قلق وحزن41 % للإناث مقابل 56 % للذكور، التفكير بالحرب والمصابين 44 % للإناث مقابل 40 % للذكور، استمرار الخوف 31 % للإناث مقابل 40 % للذكور).

أما عند أطفال الفئة الثانية فتبين أن نسبة (الخوف من حرب جديدة تصل الى 89 % للإناث مقابل 77 % للذكور، قلق وحزن 84 % للإناث مقابل 74 % للذكور، التفكير بالحرب والمصابين 24 % للإناث مقابل 40 % للذكور، استمرار الخوف 78 % للإناث مقابل 60 % للذكور).

وبالنسبة لأطفال الفئة الثالثة فقد تبين أن نسبة (الخوف من حرب جديدة كانت %71 للإناث مقابل %73 للذكور، قلق وحزن %66 للإناث مقابل 68 % للذكور، التفكير بالحرب والمصابين %51 للإناث مقابل 49 % للذكور، استمرار الخوف %61 للإناث مقابل 51 % للذكور).

نلاحظ مما تقدّم أن نسبة الخوف ما زالت مرتفعة في المناطق الثلاث معاً (رسم رقم6)،

وهذا يدل على أنه لا توجد فروقات دالة احصائياً بين متغير المناطق وذلك بحسب معادلة x^2التي أظهرت أن درجة الخوف العام أو المحتمل عند الإناث والذكور متقاربة وهذا مؤشر لإستمرار القلق والخوف لدى الأطفال. أما بالنسبة لمتغير الجنس فلا توجد فروقات دالة احصائياً (أنظر الملحق).



رسم رقم 6: يبيّن نسبة الشعور بالخوف عند الأطفال من خلال التعبير الكتابي للحرب

إن نسبة الشّعور بالخوف من حربٍ جديدة بعد انتهاء حرب تموز بتسعة أشهر يقابلها الشّعور بالفرح عند شريحة كبيرة من الأطفال تتمثّل بالفرح بالانتصار على العدو، أو الاطمئنان من عدم تكرار الحرب مجدداً. وهذا مرتبط بالمعتقدات السياسية والانتماءات الطائفيّة لكلّ منطقة.

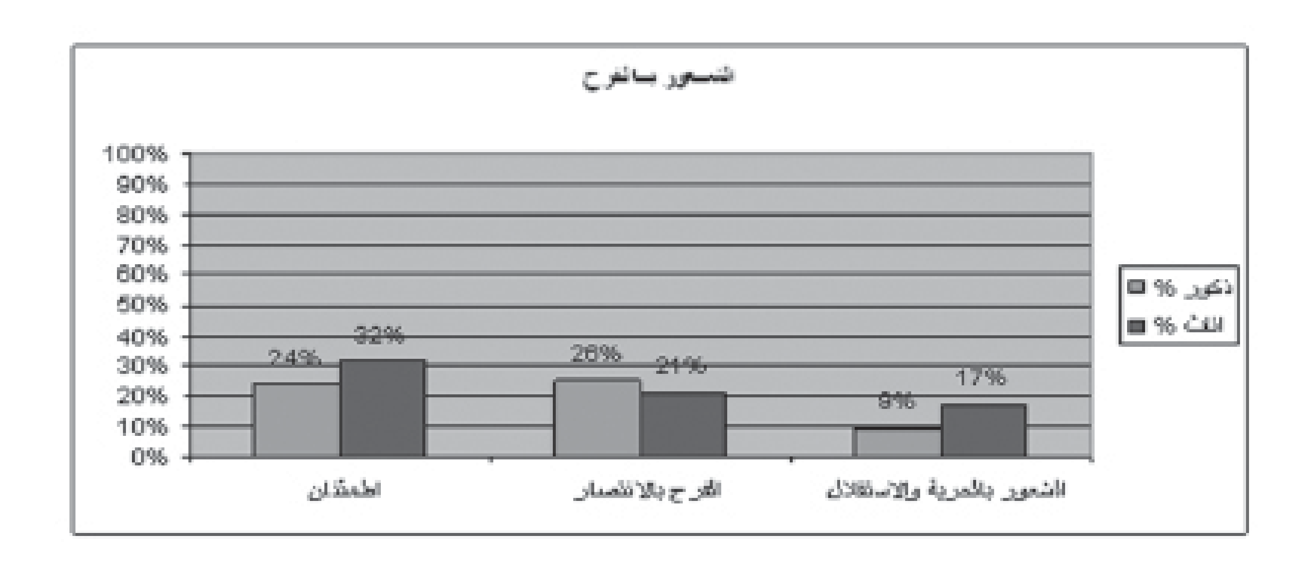
لقد توصلنا من خلال هذه الدّراسة (أنظر الملحق) أن نسبة الفرح كانت مرتفعة عند أطفال الفئة الأولى التي تبيّن أن نسبة الاطمئنان كانت 41 % للإناث مقابل26 % للذكور، الفرح بالانتصار وصل الى 50 % لدى الإناث مقابل 46 % للذكور والشعور بالحرية والاستقلال 30 % للإناث مقابل 11 % للذكور.

أمـا عنـد أطفـال الفئـة الثانيـة، فتبـين أن نسـبة الاطمئنـان كانـت متدنّيـة ووصلـت الى

5 % للإناث مقابل 19 % للذكور، وكذلك الفرح بالانتصار 3 % للإناث مقابل 16 % للذكور، الشعور بالحرية والاستقلال 3 % للإناث مقابل 7 % للذكور.

وبالنسبة لأطفال الفئة الثالثة، فقد تبين أن نسبة الاطمئنان كانت 44 % للإناث مقابل 27 % للذكور، ونسبة الفرح بالانتصار وصلت الى الصفر عند الإناث مقابل 5 % للذكور والشعور بالحرية والاستقلال 15 % للإناث مقابل 11 % للذكور.

نلاحظ ممّا تقدّم أن نسبة الفرح بدت متدنية لدى معظم الأطفال ما عدا أطفال الضاحية. وقد صرّح أحد الأطفال أنّه يتمنى أن يكبر ويصبح شاباً لينضمّ الى المقاومة ويحارب العدو ويموت شهيداً، لأنّه سوف يعيش قي الجنة ويكون له كلّ شيء ويعيش في جوّ من السّعادة والرّاحة.



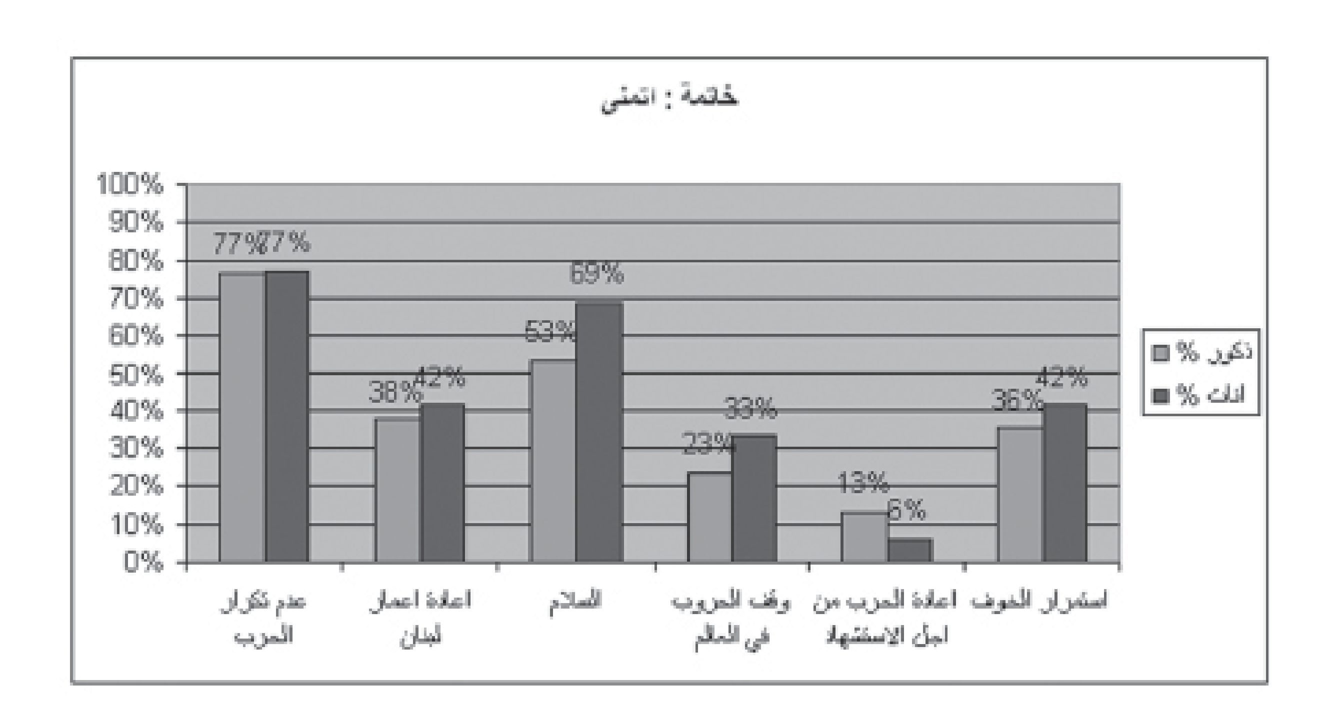
رسم رقم7: يبيّن نسبة الشعور بالفرح عند الأطفال من خلال التعبير الكتابي للحرب

أما بالنسبة للخاتمة، فهي عبارة عن أمنية الطفل تجاه الحرب التي عاشها أطفال الفئة الأولى، حيث تبيّن أن نسبة الرّغبة في عدم تكرار الحرب قد وصلت الى 69 % للإناث مقابل 58 % للذكور، إعادة إعمار لبنان 26 % للإناث مقابل 14 % للذكور، السلام 61 % للإناث مقابل 32 % للذكور، وقف الحروب في العالم 28 % للإناث مقابل 19 % للذكور، إعادة الحرب من أجل الاستشهاد 15 % للإناث مقابل 26 % للذكور، استمرار الخوف 28 % للإناث مقابل 32 % للذكور.

أما لدى أطفال الفئة الثانية، فتبيّن أن نسبة الرّغبة في عدم تكرار الحرب قد وصلت الى 86 % للإناث مقابل 93 % للذكور، اعادة اعمار لبنان 59 % للإناث مقابل 47 % للذكور، السلام 51 % للإناث مقابل 58 % للذكور، وقف الحروب في العالم 32 % للإناث مقابل 28 % للذكور، اعادة الحرب من أجل الاستشهاد صفر % للإناث مقابل 7 % للذكور، استمرار الخوف 57 % للإناث مقابل 42 % للذكور.

وبالنسبة لأطفال الفئة الثالثة، تبيّن أن نسبة الرّغبة في عدم تكرار الحرب قد وصلت الى 80 % للإناث مقابل 86 % للذكور، إعادة إعمار لبنان 46 % للإناث مقابل 65 % للذكور، السلام 95 % للإناث مقابل81 % للذكور، وقف الحروب في العالم 41 % للإناث مقابل 24% للذكور، إعادة الحرب من أجل الاستشهاد صفر% للإناث وصفر% للذكور، استمرار الخوف 46 % للإناث مقابل 35 % للذكور.

وإذا قارنا بين المناطق الثلاث، يتبيّن أن هناك فروقات دالة إحصائياً وذلك بحسب معادلة x^2 التي أظهرت أنها أصغر من 0.05. أما بالنسبة لمتغير الجنس فلا يوجد فروقات دالة احصائية وذلك بالنّسبة لأمنية الأطفال تجاه الحرب والتي تدل على وجود أثر لصدمة الحرب.



رسم رقم 8: يبيّن أمنية الأطفال من خلال التعبير الكتابي للحرب

ج- عرض نتائج مفهوم السّلام من خلال التّعبير الكتابي

لقد تمّ قياس التّعبير الكتابي للسّلام (راجع الجدول رقم 5) كمتغير تابع للأثر النّفسي والتّربوي، من خلال تقسيمه الى فئات كما فعلنا سابقاً في التعبير عن الحرب. قسّمنا التّعبير الكتابي للسّلام الى قسمين وكل قسم يتألف من مجموعة من الفئات التي وضعناها نتيجة لإجابات الأطفال عن الموضوع. يشير القسم الأوّل الى مفهوم السّلام عند الأطفال بحسب متغير المنطقة والذي يتألف من خمس فئات (بيئة نظيفة، حب الناس لبعضهم، اطمئنان وهدوء واستقرار، حرية، كل شيء جميل)، أما القسم الثاني فيمثّل لنا فكرة السلام الذي يتألف من ثماني فئات (علم لبنان، علم آخر مثل علم المقاومة أو علم سوريا وإيران، حمامة السّلام، شعارات عن لبنان، اتحاد الدول، اتحاد الأديان، مناظر طبيعية وغيرها مثل الحوادث والمساعدة).

مقياس لجودة التعبير الكتابي عن السلام من حيث الأثر النفسي

		مدارس بيروت الغربية				مجموع	مدارس بيروت الشرقية				مجموع	مدارس ضاحية بيروت الجنوبية				مجموع	مجموع = 269		
		ذكور = 43		اناث = 37		80	ذكور = 37		اناث = 41		78	ذكور = 57		اناث = 54		111	ذكور=137	اناث=132	مجموع
		ذكور	%	اناث	%	%	ذكور	%	اناث	%	%	ذكور	%	اناث	%	%	%	%	%
مفهوم السلام	وقف الحرب	25	58%	27	73%	65%	12	32%	24	59%	46%	26	46%	35	65%	55%	46%	65%	55%
	بناء الدمار	21	49%	23	62%	55%	10	27%	14	34%	31%	5	9%	12	22%	15%	26%	37%	32%
	بيئة نظيفة	23	53%	20	54%	54%	7	19%	9	22%	21%	25	44%	22	41%	42%	40%	39%	39%
	حب الناس لبعضهم	28	65%	25	68%	66%	20	54%	31	76%	65%	29	51%	32	59%	55%	56%	67%	61%
	اطمئنان هدوء استقرار	34	79%	34	92%	85%	33	89%	36	88%	88%	48	84%	40	74%	79%	84%	83%	84%
	الانتصار على العدو	9	21%	4	11%	16%	0	0%	0	0%	0%	8	14%	10	19%	16%	12%	11%	12%
	حرية وديمقراطية	23	53%	18	49%	51%	23	62%	24	59%	60%	16	28%	15	28%	28%	45%	43%	44%
	زوال اسرائيل	12	28%	8	22%	25%	0	0%	0	0%	0%	7	12%	9	17%	14%	14%	13%	13%
	منع القتل	18	42%	20	54%	48%	22	59%	14	34%	46%	15	26%	16	30%	28%	40%	38%	39%
	معاقبة الاعداء	6	14%	4	11%	13%	1	3%	5	12%	8%	6	11%	8	15%	13%	9%	13%	11%
	كل شيء جميل	28	65%	26	70%	68%	28	76%	22	54%	64%	26	46%	31	57%	51%	60%	60%	60%
	تضامن الشعوب	17	40%	13	35%	38%	5	14%	12	29%	22%	15	26%	24	44%	35%	27%	37%	32%
رسمة فكرة السلام	علم لبنان	14	33%	9	24%	29%	11	30%	19	46%	38%	18	32%	14	26%	29%	31%	32%	32%
	علم آخر	0	0%	0	0%	0%	0	0%	0	0%	0%	3	5%	0	0%	3%	2%	0%	1%
	حمامة السلام	18	42%	14	38%	40%	19	51%	32	78%	65%	22	39%	31	57%	48%	43%	58%	51%
	شعارات عن لبنان	1	2%	1	3%	3%	0	0%	0	0%	0%	5	9%	1	2%	5%	4%	2%	3%
	اتحاد الدول	1	2%	0	0%	1%	0	0%	2	5%	3%	1	2%	0	0%	1%	1%	2%	1%
	اتحاد اديان	1	2%	1	3%	3%	4	11%	4	10%	10%	0	0%	0	0%	0%	4%	4%	4%
	مناظر طبيعية	6	14%	18	49%	30%	2	5%	3	7%	6%	6	11%	10	19%	14%	10%	23%	17%
	مختلف	1	2%	6	16%	9%	0	0%	0	0%	0%	4	7%	4	7%	7%	4%	8%	6%

جدول رقم 5: مقياس لجودة التعبير الكتابي عن السّلام من حيث الأثر النّفسي بحسب المنطقة والجنس.

لقد ظهر لنا من خلال التحليل الإحصائي أنّ مفهوم السّلام عند أطفال الفئة الأولى من الذكور والإناث من حيث التعابير والمفردات التي استعملوها كانت كالآتي: بيئة نظيفة 41 % للإناث مقابل 44 % للذكور، حب الناس لبعضهم البعض59 % للإناث مقابل51 % للذكور،اطمئنان وهدوء واستقرار 74 % للإناث مقابل 84 % للذكور، حرية وديمقراطية 28 % للإناث مقابل 28 % للذكور، كل شيء جميل 57 % للإناث مقابل 46 % للذكور.

أما عند أطفال الفئة الثانية، فتبين أن النسب كانت كالآتي: بيئة نظيفة 54 % للإناث مقابل 53 % للذكور، حب الناس لبعضهم البعض 68 % للإناث مقابل 65 % للذكور، اطمئنان وهدوء واستقرار 92 % للإناث مقابل 79 % للذكور، حرية وديمقراطية 49 % للإناث مقابل 53 % للذكور، كل شيء جميل 70 % للإناث مقابل 65 % للذكور.

وبالنسبة لأطفال الفئة الثالثة، فقد تبيّن ما يأتي: بيئة نظيفة 22 % للإناث مقابل 19 % للذكور، حب الناس لبعضهم البعض 76 % للإناث مقابل 54 % للذكور، اطمئنان وهدوء واستقرار 88 % للإناث مقابل 89 % للذكور، حرية وديمقراطية 59 % للإناث مقابل 62 % للذكور، كل شيء جميل 54 % للإناث مقابل 76 % للذكور.

وإذا قارنا بين متغيّر المناطق الثلاث فقد تبيّن أنه لا توجد فروقات دالة إحصائياً وذلك بحسب معادلة x^2 التي أظهرت أيضاً تقارباً في النسب بين الإناث والذكور، إذ لا توجد فروقات دالة احصائياً بالنسبة لفكرة السّلام تعزى الى الجنس.

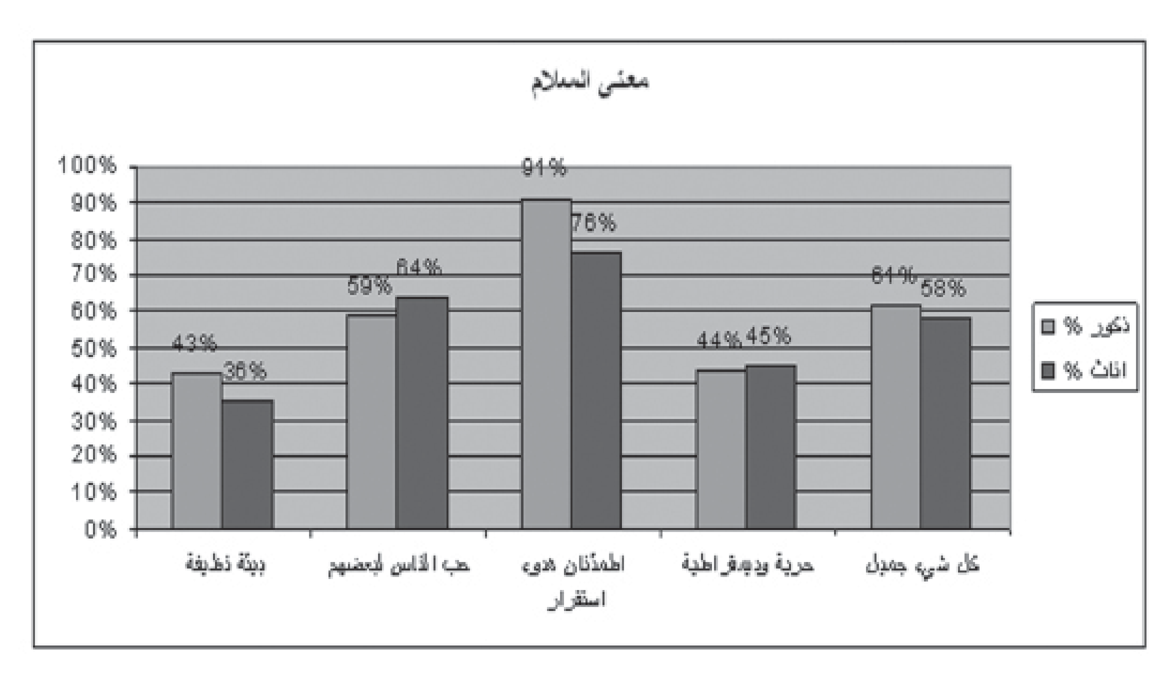
أما بالنسبة للإجابات التي لم ندخلها في معادلة x^2 والتي وردت ضمن إحتمالات مفهوم السّلام وهي (زوال إسرائيل، منع القتل، معاقبة الأعداء وتضامن الشعوب)، فتبيّن أن النسبة المئوية لكل منهم أقل من 10 %، وهذه النسبة لا تدخل ضمن معادلة x^2.

Fréquences empiriques		الفروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير السلام عند الإناث					
اناث	مدارس ضاحية بيروت الجنوبية	مدارس بيروت الشرقية	مدارس بيروت الغربية	D	E	Total	معنى السلام
a	22	9	16			47	بيئة نظيفة
b	32	31	21			84	حب الناس لبعضهم
c	40	36	24			100	الاطمئنان هدوء استقرار
d	15	24	20			59	حرية وديمقراطية
e	31	22	24			77	كل شيء جميل
f						0	
Totaux	140	122	105	0	0	367	
				χ2 =	10.83		
				dl =	8		
				p =	0.211283		
					n.s.		

Fréquences empiriques		الفروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير السلام عند الذكور					
ذكور	مدارس ضاحية بيروت الجنوبية	مدارس بيروت الشرقية	مدارس بيروت الغربية	D	E	Total	معنى السلام
a	25	7	27			59	بيئة نظيفة
b	29	20	32			81	حب الناس لبعضهم
c	48	33	44			125	الاطمئنان هدوء استقرار
d	16	23	21			60	حرية وديمقراطية
e	26	28	30			84	كل شيء جميل
f						0	
Totaux	144	111	154	0	0	409	
				χ2 =	13.64		
				dl =	8		
				p =	0.091651		
					n.s.		

Fréquences empirique	الفروقات الدالة بين المناطق من خلال تعبير السلام بحسب الجنس						
الجنس	اناث	ذكور		D	E	Total	معنى السلام
a	47	59				106	بيئة نظيفة
b	84	81				165	حب الناس لبعضهم
c	100	125				225	الاطمئنان هدوء استقرار
d	59	60				119	حرية وديمقراطية
e	77	84				161	كل شيء جميل
f						0	
Totaux	367	409	0	0	0	776	
				χ^2 =	2.24		
				dl =	4		
				p =	0.692276		
					n.s.		

جدول رقم 5 -أ: الفروقات الدالة بين المناطق من خلال معنى السلام بحسب المنطقة والجنس.



رسم رقم 9: يبيّن مفهوم السلام عند الأطفال من خلال التعبير الكتابي

عبّر الأطفال عن مفهوم السّلام بأفكار مختلفة وكانت الرسمة المشتركة بين الفئات الثلاث هي حمامة السّلام (48 % للفئة الأولى، 40 % للفئة الثانية، و65 % للفئة الثالثة) وعلم لبنان (29 % للفئة الأولى، 29 % للفئة الثانية، و38 % للفئة الثالثة)، بينما ظهرت أفكار أخرى مثل اتحاد الأديان والطوائف والدول بين أطفال الفئة الثانية والفئة الثالثة. في المقابل ظهرت أعلام حزبية مثل (حركة أمل، حزب الله، إيران وسورية) المرفقة بشعارات سياسية عند أطفال الفئة الأولى فقط.

ثانياً: مستوى التّحصيل واللّغة

إن الصّحة النّفسية للتلميذ ضرورية لتحقيق أهداف التعلّم، وإنّ أي خلل أو إضطراب يصيب هذه الصّحة سوف يؤدي الى تعثّر عملية التعلّم أو إلى الرّسوب الدّراسي.

أما فيما يتعلّق بالإنعكاسات التربوية للحرب على أطفال الصّف الخامس الأساسي، فإننا قمنا بوضع استمارة تظهر التّحصيل الدّراسي وسلوك الأطفال خلال العام الدّراسي 2006/ 2007، مقارنة مع العام السّابق أي قبل الحرب وبعدها (تأخر في التّحصيل،

زيادة في الحركة، الشرود في الصف)، وهناك أيضاً نتائج الحرب (وفاة أحد أفراد الأسرة أو دمار المنزل). لقد حصلنا على هذه المعلومات من الإدارة المدرسيّة.

وبعد أن فرّغنا استمارات التّعبير الكتابي، قمنا بوضع مقياس لجودة التّعبير الكتابي حول الحرب والسّلام لكل طفل، وقيّمنا الأثر التّربوي من حيث اللّغة والأسلوب ومنهجية البناء، والتي سوف نتحدث عنها لاحقاً، (التحصيل الدراسي من العام الماضي حتى الآن، التركيز والانتباه في الصف، تأخر في التحصيل، زيادة الحركة، الشرود) حيث تمّ احتساب النسبة المئوية لكلّ فئة من الأطفال.

أ- عرض نتائج التّحصيل الدّراسي

نلاحظ أن هناك متغيرات ترتبط بالاضطرابات النّفسيّة والتّربويّة. سوف نبدأ أولاً بعرض المتغيرات المرتبطة بالتّحصيل الدّراسي محاولين تفسير النتائج التي توصلنا إليها. لقد اتضح لنا من خلال التحليل الإحصائي أن هناك 17 % من الإناث مقابل 19 % من الذكور كان مستواهم جيداً في منطقة الفئة الأولى (ضاحية بيروت الجنوبيّة) قبل حرب تموز 2006 وقد تراجعت هذه النسبة قليلاً وأصبحت 13 % للإناث مقابل 12 % للذكور بعد الحرب بعامٍ واحد. وهذا يدل على أنّ أبناء هذه المنطقة قد تأثّروا باضطرابات الحرب. وهناك 37 % من الإناث مقابل 26 % من الذكور كانوا في عداد الوسط وقد بقيت هذه النسبة بعد حرب تموز. أما بالنسبة لفئة الضعفاء فكانت قبل الحرب 46 % من الإناث مقابل 54 % من الذكور. وقد ارتفعت نسبة هؤلاء الضعفاء بعد الحرب وأصبحت 57 % للإناث و58 % للذكور، وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على إرتفاع نسبة التّأخر المدرسي بعد حرب تموز 2006 عند الإناث والذكور معاً.

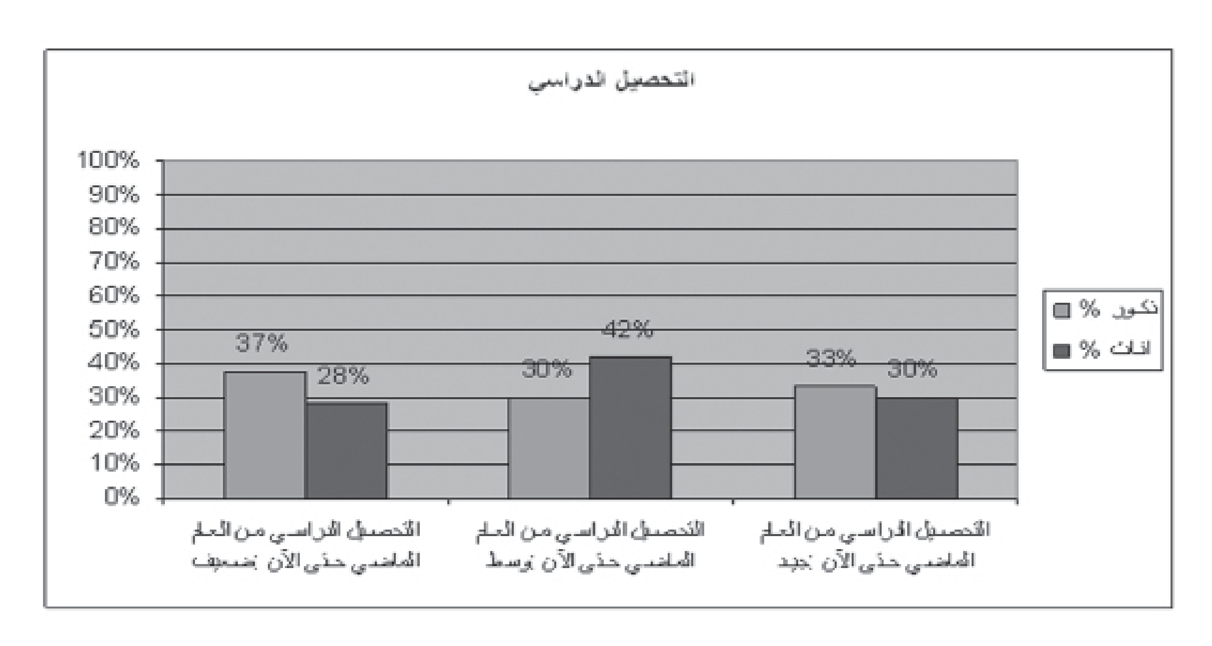
أما بالنسبة لمنطقة الفئة الثانية (بيروت الغربيّة)، فتبين أن هناك 11 % من الإناث مقابل 33 % من الذكور كان مستواهم جيداً قبل حرب تموز 2006. أما الآن فقد ارتفعت هذه

النسبة وأصبحت 38 % للإناث مقابل 33 % للذكور بعد الحرب بعامٍ واحد، وهذا يدلّ على أنّ أبناء هذه المنطقة قد تأثروا بنسبة أقل من الفئة الأولى. وهناك 65 % من الإناث مقابل 30 % من الذكور كانوا في عداد الوسط وقد تدنت هذه النسبة بعد حرب تموز ووصلت لدى الإناث الى 35 % مقابل 37 % للذكور. أما بالنسبة لفئة الضعفاء فكانت قبل الحرب 24 % من الإناث مقابل 37 % من الذكور وقد بقيت هذه النسبة متقاربة بعد الحرب: 24 % للإناث و33 % للذكور، وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على ثبات نسبة التحصيل الدراسي بعد حرب تموز عند الذكور بينما ارتفعت نسبة التأخر عند الإناث.

أما بالنسبة لمنطقة الفئة الثالثة (بيروت الشرقيّة)، فتبين أن هناك 66 % من الإناث مقابل 54 % من الذكور كان مستواهم جيداً قبل حرب تموز 2006 وقد بقيت هذه النسبة متجانسة حيث وجدنا 66 % للإناث مقابل 57 % للذكور بعد الحرب بعامٍ واحد، وهذا يدل على أنّ أبناء هذه المنطقة لم يتأثروا بالحرب من حيث التّحصيل الدّراسي. وهناك 27 % من الإناث مقابل 35 % من الذكور كانوا في عداد الوسط وقد بقيت هذه النسبة متقاربة فكانت 22 % للإناث و32 % للذكور.

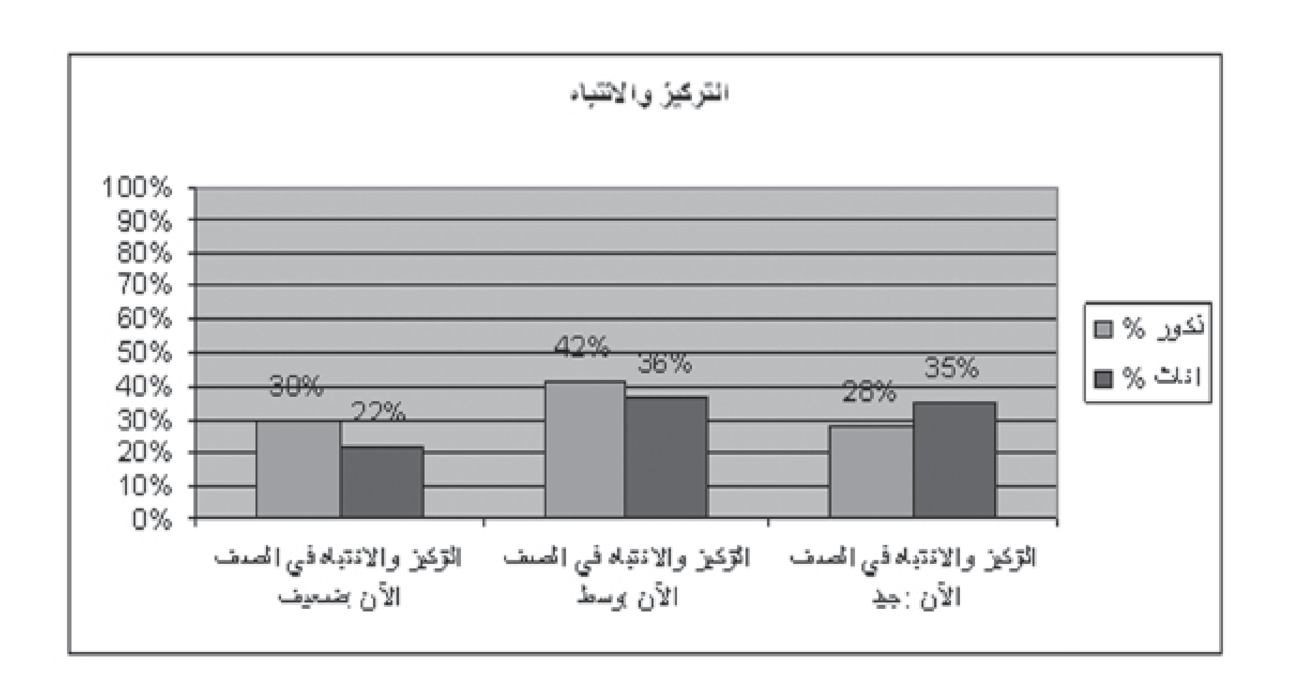
أما بالنسبة لفئة الضعفاء، فكانت قبل الحرب 7 % من الإناث مقابل 11 % من الذكور وقد بقيت هذه النسبة متقاربة بعد الحرب أي هناك 12 % للإناث و14 % للذكور، وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على ثبات نسبة التّحصيل الدّراسي بعد حرب تموز عند الإناث والذكور في المنطقة المذكورة.

نستنتج من كل ما تقدّم أنه توجد فروقات دالة إحصائياً بين المناطق من حيث التّأخر الدّراسي. بينما لا توجد فروقات دالة احصائياً بين متغير الجنس في منطقة الفئة الأولى وأيضاً في منطقة الفئة الثالثة، بينما اختلفت النسب بين الذكور والإناث عند أطفال الفئة الثانية حيث تبيّن أن نسبة التّأخر الدّراسي بعد الحرب زادت عند الإناث بينما لم تتغيّر عند الذكور.



رسم رقم 10: يبيّن مستوى التحصيل الدراسي عند الأطفال لعامي(2006/ 2007)

أما فيما يتعلق بحركة التّحصيل الدّراسي والتي تتمثل بالتّركيز والانتباه أو زيادة الحركة والشّرود بعد حرب تموز لدى الأطفال (رسم رقم11)، فتبيّن لنا من خلال معادلة x^2 أنه توجد فروقات دالة احصائياً بين المناطق الثلاث. أما بالنسبة لمتغير الجنس، فلا توجد فروقات دالة إحصائيا.



رسم رقم 11: يبيّن مستوى التركيز والانتباه في الصف عند الأطفال بعد الحرب بعام دراسي

تبيّن أن نتائج الحرب من حيث وفاة أحد الأقارب كانت ضئيلة عند الفئة الأولى 4 %، بينما لم تظهر أي نتيجة من هذا النوع عند الفئتين الثانية والثالثة. أما بالنسبة لدمار المنازل فكانت النسبة الأكبر في منطقة الفئة الأولى حيث بلغت 30 % بينما انخفضت عند الفئة الثانية الى 3 %، وصفر%عند الفئة الثالثة. وهذا يدل على أنه توجد فروقات دالة بين الفئات الثلاث فيما يتعلق بنتائج الحرب.

ب- عرض نتائج اللّغة والمضمون للتّعبير الكتابي

يشير التحليل الإحصائي الى المستوى اللّغوي عند الأطفال في كل منطقة، حيث قمنا بتصحيح الموضوعات الإنشائية في التعبير الكتابي للحرب والسّلام من خلال وضع مقياس مناسب يوضح مستوى اللغة ومنهجية البناء والأسلوب والصياغة، حيث اعتبرنا أن كل استمارة تحتوي على نسبة أخطاء لغوية أقل من ثلاثة نضعها ضمن خانة جيّد، والاستمارة التي تحتوي على أربعة الى ثماني أخطاء لغوية نضعها في خانة الوسط، أما الاستمارة التي تفوق ثمانية أخطاء، فقد وضعناها في خانة الضعفاء.

ومن خلال ما تقدّم تبين لنا أن المستوى اللّغوي عند أطفال الفئة الثالثة يفوق الفئتين الأولى والثانية حيث جاءت النتائج كالآتي: (64 % جيد، 27 % وسط ، و9 % ضعيف)، أما بالنسبة للفئة الثانية فكانت النسب الآتية (10 % جيد، 44 % وسط ، و46 % ضعيف) بينما كانت النسب عند أطفال الفئة الأولى (10 % جيد، 32 % وسط ، و58 % ضعيف).

نستنتج من خلال هذه النسبة المئوية أنه توجد فروقات دالة احصائياً بين متغير المناطق وأيضاً متغير الجنس من حيث المستوى اللّغوي.

ثالثاً: عرض نتائج المقابلات وتحليلها:

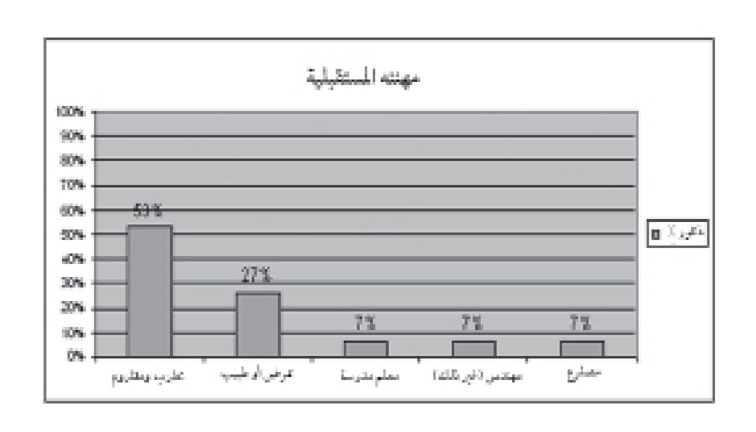
نقـوم الآن باسـتعراض أهـم النتائـج التـي توصلنـا إليهـا مـن خـلال مقابلتنـا للأطفـال (راجـع الملحـق رقـم 5) الذيــن تعرضـوا لصدمــة الحــرب المبــاشرة (ptsd) مــن خــلال مشــاهدتهم لأحــداث الحــرب بــأم العــين، ومعاينــة الجرحــى والقتــلى والدمــاء...، أوالأطفــال الذيــن دمـرت بيوتهـم أو تـضررت بشـكل كبـير واضطـروا للنـزوح الى مناطـق آمنـة، أو الذيـن تـوفي

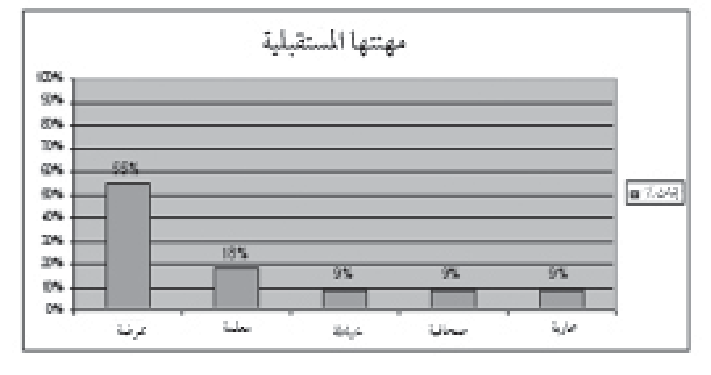
لهـم أحـد أفـراد الأسرة (الأب، الأخ أو الأخـت، الأم) حيـث تـمّ اختيارهـم بنـاءً للمعلومـات التـي حصلنـا عليهـا مـن الإدارة ومـن خـلال اسـتمارة التّحصيـل الـدّراسي وسـلوك التّلميـذ في قسـم نتائـج الحـرب، (أنظـر جـدول رقـم 7) وهـؤلاء هـم أطفـال الفئـة الأولى. والجـدول الآتي يوضـح المهنـة التـي يرغـب الأطفـال في اختيارهـا مـن كلا الجنسـين عندمـا يكـبرون.

ماذا تحب أن تكون في المستقبل؟

ذكور			اناث		
	ذكور = 30	%		اناث = 11	%
محارب ومقاوم	16	53%	ممرضة	6	55%
ممرض أو طبيب	8	27%	معلمة	2	18%
معلم مدرسة	2	7%	خياطة	1	9%
مهندس (غير ذلك)	2	7%	صحافية	1	9%
مصارع	2	7%	محاربة	1	9%

جدول رقم 6: المهنة المستقبلية للأطفال الذين تعرضوا لصدمة مباشرة





رسم رقم 12: يبين المهنة المستقبلية لأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة

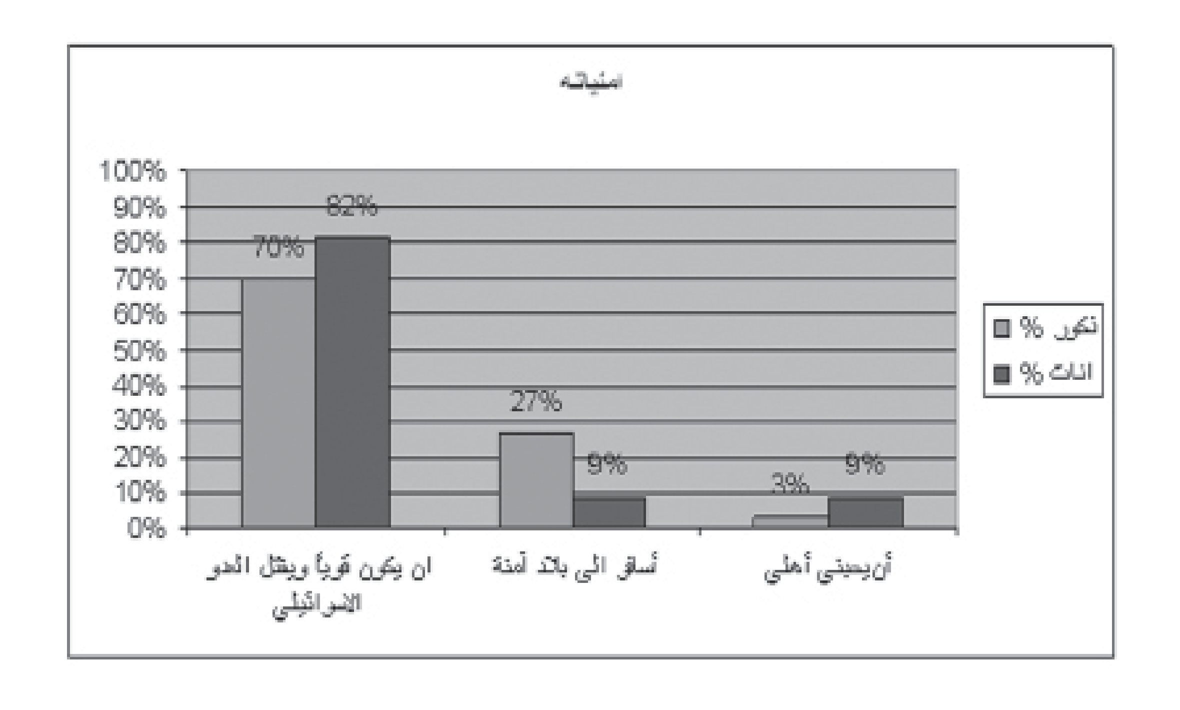
تبيّن لنا من خلال الجدول رقم 8، أن هناك 53 % من أطفال الضاحية الذين تعرضوا لصدمة الحرب (ptsd) اختاروا مهنة المقاوم أو المحارب ضمن صفوف المقاومة. أما بالنسبة للإناث ففضلن العمل في مهنة التمريض بنسبة 55 % من أجل اسعاف ومساعدة المرضى وجرحى الحرب. كما أتت هذه المهنة في الدرجة الثانية عند الذكور بنسبة 27 %.

وهذا يدل على أنه توجد فروقات دالة احصائياً بين الذكور والإناث من حيث اختيار المهنة المستقبلية.

أمنياته/ أمنياتها

	ذكور		اناث		
امنياته	ذكور = 30	%	اناث = 11	%	المجموع
ان يكون قوياً ويقتل العدو الاسرائيلي	21	70%	9	82%	73%
أسافر الى بلاد آمنة	8	27%	1	9%	22%
أن يحبني أهلي	1	3%	1	9%	5%

جدول رقم 7: أمنية الأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة



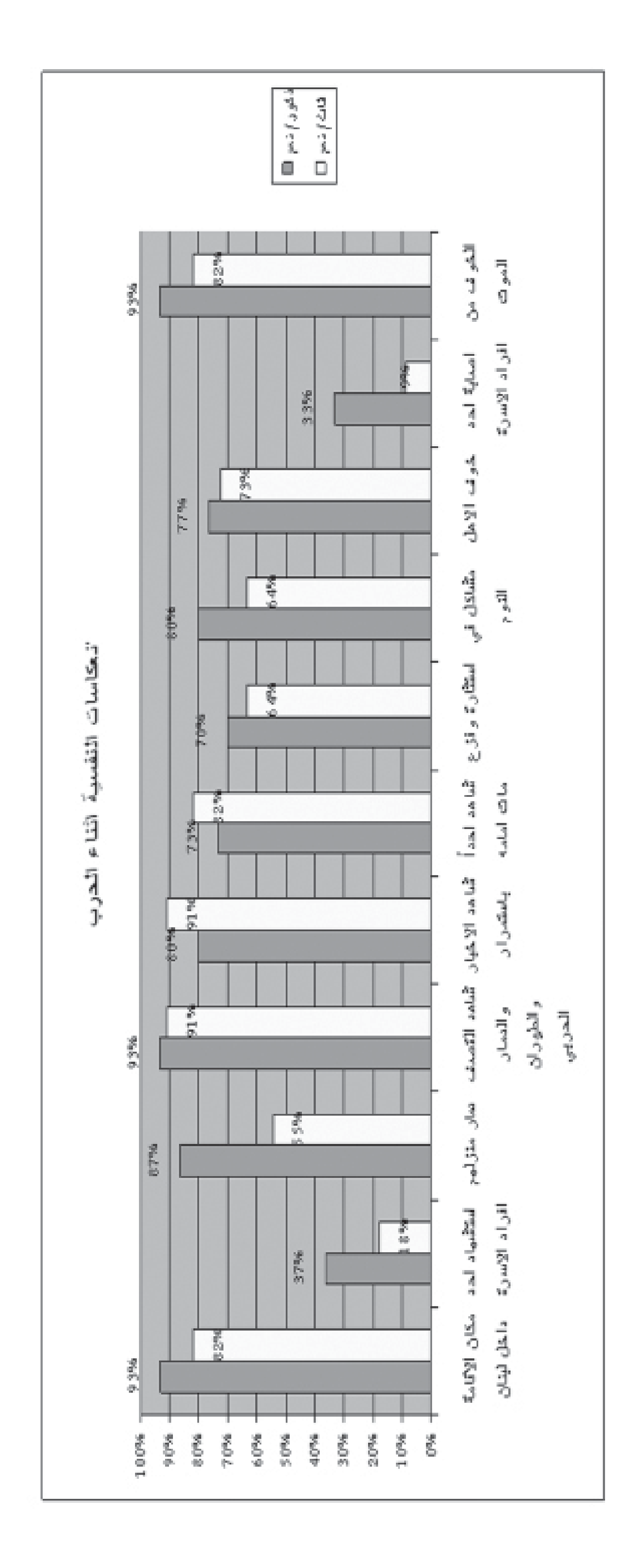
رسم رقم 13: يبيّن أمنية الأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة

يبين الجدول رقم 7 أنّ هناك 82 % من الإناث مقابل 70 % من الذكور يتمنون أن يكونوا أقوياء ويقتلوا العدو الإسرائيلي، وأنّ 9 % من الإناث مقابل 27 % من الذكور يتمنون السفر الى بلاد آمنة، وأنّ 3 % من الإناث مقابل 9 % للذكور يتمنون أن يحبهم أهلهم أكثر. من الواضح أنه توجد فروقات دالة بين الذكور والإناث بالنسبة للأمنية المفضّلة لديهم.

الإنعكاسات النفسية اثناء الحرب

ضاحية بيروت الجنوبية						مجموع = 41
الاطفال المصدومين	ذكور = 30	%	اناث = 11	%		نعم %
مكان الاقامة داخل لبنان	28	93%	9	82%		90%
استشهاد احد افراد الأسرة	11	37%	2	18%		32%
دمار منزلهم	26	87%	6	55%		78%
شاهد القصف والدمار والطيران الحربي	28	93%	10	91%		93%
شاهد الاخبار باستمرار	24	80%	10	91%		83%
شاهد احداً مات امامه	22	73%	9	82%		76%
استثارة وفزع	21	70%	7	64%		68%
مشاكل في النوم	24	80%	7	64%		76%
خوف الاهل	23	77%	8	73%		76%
اصابة احد افراد الأسرة	10	33%	1	9%		27%
الخوف من الموت	28	93%	9	82%		90%

جدول رقم 8: الانعكاسات النفسية للأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة أثناء الحرب



رسم رقم 14: الانعكاسات النفسية للأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة أثناء الحرب

أ- الآثار النّفسيّة

يظهر الجدول السّابق رقم 8 بوضوح نسبة الأعراض النّفسية التي أصابت الأطفال أثناء حرب تموز 2006 وما بعدها والذين شاهدوا القتلى والجرحى وتعرّضوا لدرجة كبيرة من الخوف والقلق، واضطراب في النوم، والخوف من الموت. تبيّن أنه لا توجد فروقات دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في هذا المجال.

الإنعكاسات النفسية بعد الحرب

ضاحية بيروت الجنوبية	ذكور = 30						اناث = 11						مجموع = 41		
انعكاسات نفسية بعد الحرب	كلا	كلا %	قليلاً	قليلاً %	كثيراً	كثيراً %	كلا	كلا %	قليلاً	قليلاً %	كثيراً	كثيراً %	كلا	قليلاً	كثيراً
تذكر احداث فترة الحرب	0	0%	9	30%	21	70%	0	0%	2	18%	9	82%	0%	27%	73%
الوحدة وعدم الرغبة في الكلام	5	17%	11	37%	14	47%	2	18%	6	55%	3	27%	17%	41%	41%
يمشي، الأدوار أثناء النوم	7	23%	17	57%	6	20%	4	36%	4	36%	3	27%	27%	51%	22%
قلق	2	7%	18	60%	10	33%	4	36%	5	45%	2	18%	15%	56%	29%
كوابيس	5	17%	11	37%	14	47%	4	36%	6	55%	1	9%	22%	41%	37%
خلافات بين زملائه	12	40%	15	50%	3	10%	4	36%	7	64%	0	0%	39%	54%	7%
ضيق في التنفس	7	23%	15	50%	8	27%	1	9%	5	45%	5	45%	20%	49%	32%
ضغط على الاسنان	7	23%	11	37%	12	40%	1	9%	6	55%	4	36%	20%	41%	39%
رغبة في البكاء	5	17%	14	47%	11	37%	2	18%	3	27%	6	55%	17%	41%	41%
صداع	4	13%	17	57%	9	30%	1	9%	3	27%	7	64%	12%	49%	39%
حساسية	10	33%	8	27%	12	40%	3	27%	4	36%	4	36%	32%	29%	39%
توتر وشدة العصبية	7	23%	11	37%	12	40%	2	18%	7	64%	2	18%	22%	44%	34%

جدول رقم 9: الانعكاسات النّفسية للأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة بعد الحرب

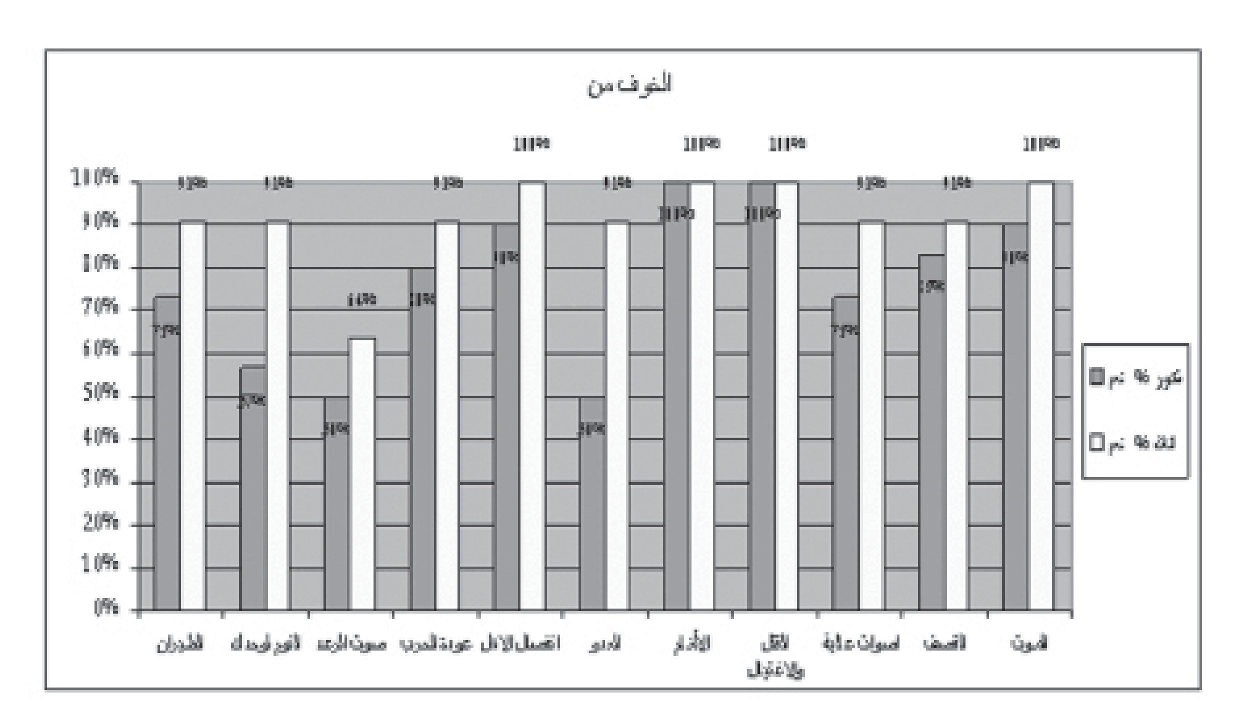
يظهر الجدول السّابق رقم9 توزع الأعراض النّفسية التي أصابت الأطفال في حرب تموز، لقد تبين أن 73 % من الأطفال يتذكرون الحرب و41 % فهم يشعرون بالوحدة وعدم الرّغبة في الكلام ولديهم رغبة في البكاء، 39 % يعانون من صداع وحساسية وضغط على الأسنان، 37 % يعانون من كوابيس ليليّة، 34 % من توتر وعصبيّة، 32 % من ضيق في التنفّس، 29% من القلق، 22% يفضلون إضاءة الأنوار أثناء النوم، 7% هم على خلاف مع زملائهم.

لا شكّ أن حرب تموز قد تركت آثاراً نفسية سلبية كما رأينا في الأطفال. وهذه الآثار بقيت قائمة بالرغم من مرور تسعة أشهر على نهاية الحرب. الى جانب الأعراض المذكورة، هناك الخوف الذي اتخذ عدة مظاهر ومؤشرات كما نرى في الجدول أدناه.

الخوف من:

	ذكور = 30		اناث = 11		المجموع = 41
الخوف من:	نعم	%	نعم	%	نعم
الطيران	22	73%	10	91%	78%
النوم لوحده	17	57%	10	91%	66%
صوت الرعد	15	50%	7	64%	54%
عودة الحرب	24	80%	10	91%	83%
انفصال الاهل	27	90%	11	100%	93%
العدو	15	50%	10	91%	61%
الألغام	30	100%	11	100%	100%
القتل والاغتيال	30	100%	11	100%	100%
اصوات عالية	22	73%	10	91%	78%
القصف	25	83%	10	91%	85%
الموت	27	90%	11	100%	93%

جدول رقم 10: استمرار خوف الأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة بعد الحرب



رسم رقم 15: نسبة الخوف عند الأطفال الذين يعانون من صدمة مباشرة بعد الحرب بحسب الجنس

تبيّن من خلال الجدول رقم 10 والرسم رقم 15 أن الخوف ما زال قائماً، بعد تسعة أشهر من انتهاء الحرب، لدى الأطفال الذين عانوا من صدمة الحرب. فالأطفال يخافون من صوت الطيران 78 % والنوم لوحدهم 66 % وصوت الرعد 54 % وعودة الحرب 83 % وانفصال الأهل 93 % والعدو61 % والألغام 100 % والقتل والاغتيال 100 % والأصوات المرتفعة 78 % والقصف 85 %، الخوف من الموت 93 %. وهذا يشير الى استمرار أثر صدمة الحرب (ptsd).

<u>ب - الآثار التّربويّة</u>

إن نسبة الأطفال الذين أصيبوا بصدمة الحرب ويعانون من آثارها يصل الى 36 % لأطفال الضاحية الجنوبية. وهناك منهم من يتغيّب عن المدرسة باستمرار (3 % للذكور مقابل 9 % للإناث)، وهم يشردون في الصف كثيراً (23 % للذكور مقابل 9 % للإناث)، ويجدون صعوبة في فهم المواد التّعليمية (13 % للذكور مقابل صفر% للإناث)، ويشعرون بالفشل كثيراً (13 % للذكور مقابل 9 % للإناث).

نستنتج مما تقدّم أنه توجد فروقات دالة بين الذكور والإناث من حيث الآثار التّربوية في الأطفال الذين يعانون من صدمة الحرب.

ج- دراسة حالة

ولإعطاء صورة واقعية عن أطفال حرب تموز، وخاصةً الأطفال الذين أصيبوا بصدمة الحرب المباشرة (دمار منزلهم أو وفاة أحد ذويهم أو مشاهدتهم لأشخاص أصيبوا)... فقد اخترنا أن نقوم بعرض لدراسة تصف حالة طفلٍ من هؤلاء الأطفال فَقَدَ أحداً من إخوته، وتعرض للاضطرابات والأحداث الصادمة بسبب العدوان وكيف انعكست هذه الخبرة الصّادمة عليه؟؟.

تمّ اختيار هذا الطفل من مدرسة في منطقة الشيّاح، وقد توفى أخوه أثناء قصف المنطقة بالطيران الاسرائيلي.

عباس الذي دُمّر منزله في منطقة الشياح بسبب القصف الجوّي الاسرائيلي قبل انتهاء الحرب بثلاثة أيام، خسر أخاه ورفيقه وقد ترك ذلك آثاراً مؤلمة للغاية في نفسه.

عباس هو الآن في العاشرة من عمره وهو نحيل الجسم وشاحب الوجه.

يعمل أخوه الكبير كمقاتل في المقاومة الإسلاميّة، أمّا أخوه الشّهيد فكان عمره خمسة عشر عاماً. نجت العائلة بأعجوبة من القصف، بينما كان الأب والأم يشتريان بعض الأغراض برفقة عباس، كان أخوه الشّهيد واقفاً على شرفة المنزل ينتظر أهله، وفجأةً قصف الطيران الإسرائيلي هذه المنطقة مما أدى الى سقوطه عن الشرفة بعد أن دُمّر المنزل وقد وجدوه تحت الرّكام.

تعرّض عباس لصدمة قويّة مزدوجة: القصف الشديد ودمار المنزل ووفاة أخيه. كان عباس يذهب الى المدرسة كلّ يومٍ برفقة أخيه، بينما يذهب عباس اليوم وحده الى المدرسة.

رسم عباس موضوع الحرب وخاصةً ما حدث في منطقته (مجزرة الشياح) فكانت

الرسمة مليئة بالهدم والدمار للأبنية والقتلى والشهداء من الأطفال ومن بينهم صورة صديقه حسين وهو مرمي على الأرض وينزف دماً، لكنّه لم يرسم صورة أخيه بين القتلى والشهداء، كما أنّه لم يتحدّث عنه أثناء المقابلة الشفوية والخطيّة، وعندما سألته عن أخيه أجابني قائلاً : «لا أريد أن أتذكّره فهو بطل وشهيد سيدخل الجنة بإذن الله وأنا اشتقت إليه»، وتوقّف عن الكلام فترة خمس دقائق وغمرت عينيه الدموع، ثمّ خرج من الصف.

لقد علِمنا من رفاقه ومن الإدارة المدرسية أنّ عباس حاول إنقاذ أخيه من تحت الرّكام بمساعدة رجال الإطفاء لكنه لم يستطع وقد أصيب بجروحٍ في قدميه، وذلك بسبب الحجارة التي كان يقلبّها من أجل إنقاذ أخيه.

وعندما سألته من خلال الإستمارة المخصصة للدّراسة، ماذا يحبّ أن يكون في المستقبل؟ فقال: أن أصبح مقاوماً لأقتل العدو. ومن أبرز أمنياته: أن يكون قوياً ويدافع عن أرضه، ويتمنى أيضاً أن تعود الحرب من أجل الاستشهاد. وهنا تظهر رغبته في الثأر لأخيه، وأن يكون محبوباً أكثر من أهله وأخيه الأكبر الذي يرغب في أن يصبح مقاوماً ويستشهد ويلتقي بأخيه المتوفي وصديقه في الدنيا الآخرة.

قبل الصّدمة كان تحصيل عباس في المدرسة بحدود الوسط. أمّا الآن فقد أهمل دراسته وأصبح يميل نحو الكسل، إذ انخفض تركيزه بنسبة كبيرة ودافعيّة بدأت تتلاشى، وهو يشرد باستمرار. كما ظهر لنا من خلال رسوماته ان صورة الحرب تطغى على رأسه وتفكيره، إذ يتذكر القتلى والجرحى والشهداء وخاصةً أخاه ورفيقه.

لم يملأ عباس استمارة التّعبير الكتابي عن الحرب والسّلام، بل اكتفى فقط بالرّسم الحر.

نستنتج من كل ما تقدّم أنّ الطفل عباس يعاني من صدمة الحرب بدرجة شديدة، وقد انعكست سلباً على الصّعيدين النّفسي والتّربوي. وهذه المعاناة تظهر من خلال:

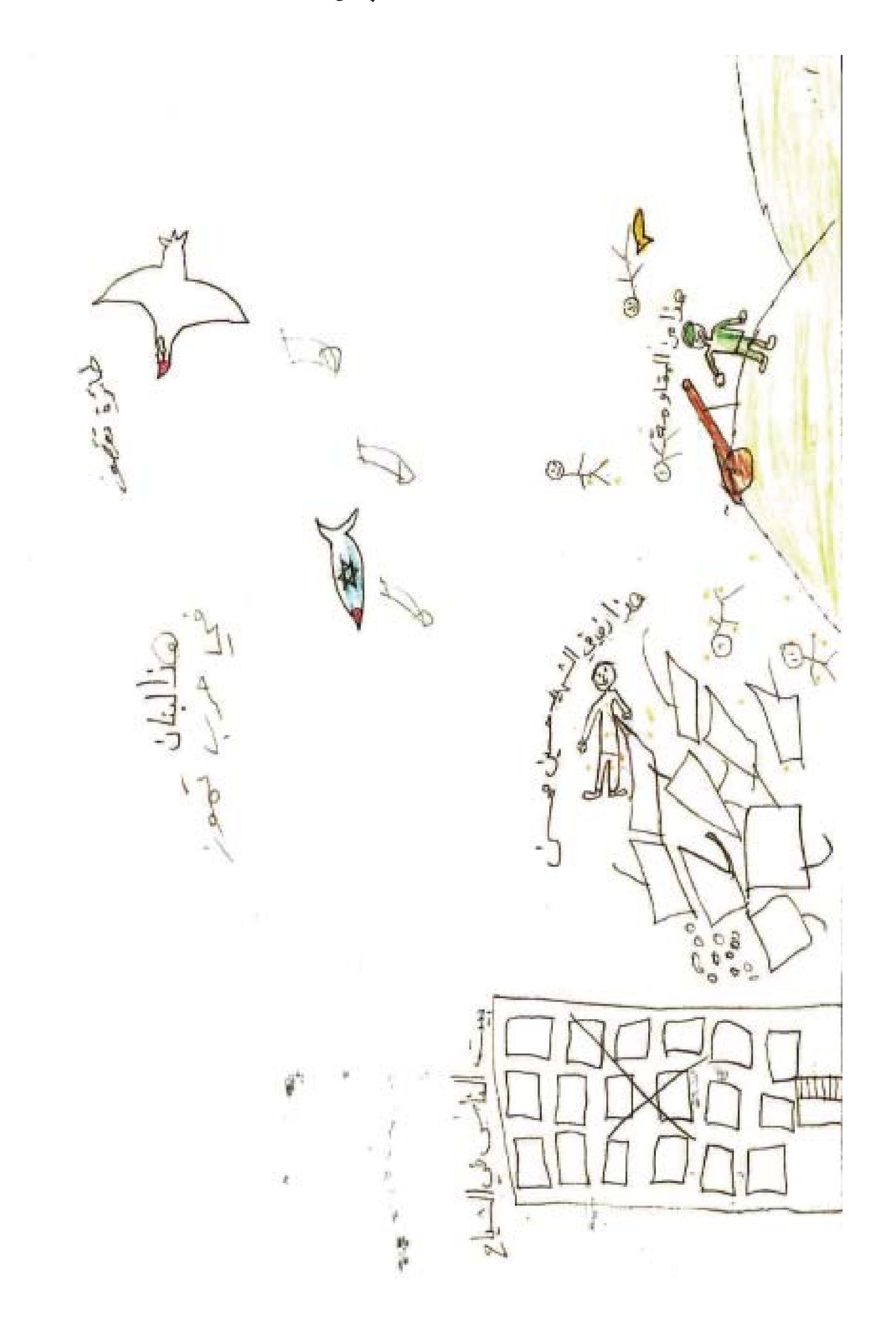
- بروز اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة (درجة شديدة)

- الكوابيس الليليّة واضطراب النوم.
- عدم القدرة على التّركيز.
- التأخّر الدّراسي والرّسوب.
- الخوف والقلق.
- تجنّب كل ما يذكّره بالصدمة (مجزرة الشياح).
- الحزن الشّديد.

وبالرّغم من مرور تسعة أشهر على الحرب (عند بداية البحث)، فإنّ عباس لا يزال حتى تاريخه يعاني من اضطراب ما بعد الصّدمة بدرجة شديدة. وهذا يعني أنّ آثار الصّدمة ما زالت قائمة حتى الآن لديه وهي تؤثّر بشكلٍ مباشر في حياته الدّراسيّة والانفعاليّة.... وهذا يشير الى أنّ الحرب تترك آثاراً مؤلمة في الأطفال قد تستمر عدّة أشهر أو حتى سنوات وقد يؤثّر هذا في مستقبلهم.

إنّ بعض الأطفال الخائفين والقلقين يحاولون أن يبعدوا عن رأسهم ذكرى الصّدمة، فيلجأون الى نكران الواقع حتى يستطيعوا السّيطرة عليه.

رسمة الطفل عباس



خاتمة

بعد أن قمنا بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدّراسة، تبيّن لنا أن صدمة الحرب ما تزال قائمة لدى أطفال منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة بنسبة تفوق نوعاً ما منطقة بيروت الغربية والشرقية، وهذه النتيجة ظهرت بعد تسعة أشهر من انتهاء الحرب، وبناء على ذلك نستطيع أن نستخلص بعض الأمور:

- إنّ حالات التّعرّض للحرب لا تتساوى بين المناطق الثلاث، فسرعة الاستثارة واسترجاع ذكريات الحرب ومشاكل النوم والقلق وأعراض الصّدمة وغيرها المرتبطة بحرب تموز 2006 نجدها أكثر لدى أطفال الضاحية. يضاف الى ذلك التّعثّر الدّراسي الذي ظهر بنسبة مرتفعة لدى هؤلاء الأطفال بالمقارنة مع أطفال بيروت بشقّيها الغربي والشّرقي.

- إنّ فَهم تأثير صدمة الحرب يمرّ عبر تقييم مجموعة من الأعراض الانفعاليّة والسّلوكيّة والنفسيّة. وإن كان اضطراب ما بعد الصّدمة هو الناتج النفسي الذي تناوله العدد الأكبر من الدّراسات، إلا أنّه قد لا يكون النتيجة الوحيدة أو الأبرز للحرب لدى الأطفال.

- إنّ العوامل الاجتماعية الدّيموغرافيّة يمكن أن تؤثر في درجة التّأثّر وفي ردود الفعل التالية للصّدمة بفعل ارتباطها بالموقع الجغرافي، حيث أنّ شدّة القصف في حرب تموز 2006 تفاوتت بين منطقة وأخرى.

فإلى أي مدى تركت حرب تموز آثارها في الأطفال؟ والى أي مدى ساهمت تقنيات التّعبير الكتابي والرّسم في إبرازها وتفسيرها؟؟ هذا ما سوف نناقشه في الفصل الثاني من هذا الباب.

الفصل الثاني تفسير النتائج ومناقشتها وعرض لبعض النماذج

تمهيد

شهد لبنان خلال عام 2006 حرباً ضارية في تموز، وقد تطرقنا الى هذا الموضوع في الباب الأول (القسم النّظري) من هذه الدّراسة.

والشيء الذي نودّ التّحقّق منه هو إلى أي مدى انعكست آثار هذه الحرب على رسوم الأطفال وتعبيراتهم الكتابيّة بعد تسعة أشهر من توقّف الأعمال العسكريّة والقصف الجوّي.

من المهم في هذا الفصل أن نقوم بمناقشة النتائج التي توصلنا إليها ونتفحّص صحّة الفرضيات التي طرحناها وما إذا كان هناك فروقات دالة احصائياً بين المتغيّرات المطروحة وبشكلٍ خاص بين المناطق.

لقد أظهرت نتائج الدراسة أن الأطفال الذين عاشوا جوّ الحرب وتعرّضوا لمخاطرها يعانون من قلق الصدمة، وبالأخص أولئك الذين شاهدوا الدّمار والقتلى والجرحى وخسروا أحد أفراد العائلة أو أحد رفاقهم. وقد انعكس ذلك إلى حدّ بعيد في رسوماتهم وتعبيراتهم الكتابيّة.

إنّ الفرضيّة العامة للدّراسة قد تحققت، وهي أنّ حرب تموز قد أدّت إلى أضرار نفسيّة وتربويّة لدى الأطفال (الصف الخامس الأساسي)، وبخاصّةٍ في ضاحية بيروت الجنوبيّة؛ وقد ظهرت هذه الآثار في التّعبير الكتابي والرّسم.

أمّـا بالنسـبة للفرضيّـات الفرعيّـة، فقـد توصلـت نتائـج البحـث الى توضيـح العلاقـة بـين

الكثير من المتغيرات .

أولاً: الفرضيّة الأولى وتنص على : «إنّ أطفال الفئة الثالثة لا يعانون من صدمة الحرب بالمقارنة مع أطفال الفئة الأولى والفئة الثانية. وقد انعكس ذلك إلى حدّ بعيد في رسومهم».

أظهرت نتائج البحث أنّ هناك نسبة 75 % من أطفال الفئة الأولى و73 % من أطفال الفئة الثانية قد رسموا عن الحرب (حرب تموز 2006 والحروب الداخلية)، في مقابل 13 % فقط لأطفال الفئة الثالثة، ما يعني أنّ تجربة الحرب كانت ضعيفة أو غائبة لدى أطفال هذه المنطقة باستثناء أطفال منطقة بدارو. لقد تميّزت رسوماتهم بالمناظر الطبيعيّة وكل ما يرمز الى الهدوء. لكن هذا لا ينفي وجود الخوف أثناء تلك الفترة والتي ظهرت في تعابيرهم الكتابيّة، لأنّ الأطفال في زمن الحرب يجدون أنفسهم معرّضين للأخطار والمخاوف مهما كانت المسافة التي تبعدهم عن منطقة الخطر أو خط النار.

إلتقت دراستنا مع ما توصّلت اليه بعض الدّراسات السّابقة. لقد أشار (Mawson et al. 2000)[1] الى أنه قد تمّ إجلاء 13 مليون طفلٍ وبصورة مفاجئة في بلدان تشهد حروباً. وتسجل في هذه البلدان حالات لا تحصى من انفصال العائلات والنّزوح والطّرد من المنازل والقتل الاعتباطي والتّعذيب نتيجة النّزاعات المسلحة. هذا ما يؤدي الى قطع الأواصر الاجتماعية وزعزعة استقرار البيئة الاجتماعية وتقويض صورة العالم الآمن الذي يعطي الأطفال حسّاً بالحماية والرعاية.

وفي لبنـان، أسـفرت الأبحـاث التـي جـرت سـابقاً[2] خـلال حقبـات الحـرب اللّبنانيـة السّـابقة عــن تصنيــف لأنــواع التّعــرض: فقــدان أحــد أفــراد الأسرة والانفصــال والإصابــة الجســديّة

---

1 - A. Mawson et al, War brought us here : Protecting children displaced within their own countries by conflict, p.55.

2 - J.Fayyad, C. jahshan & E.G. Karam, Cultural and Social influences in child and adolescent psychiatry : child and adolescent psychiatric clinics of north America, p.745-762.

والقصف والخطف وهدم المنازل والنزوح والتّهجير. فما هي العوامل التي أسفرت عنها دراستنا من خلال ما تضمّنته رسومات الأطفال؟.

أ- تفسير نتائج الرّسم الحر

إنّ الرّسم يلعب دوراً حيويّاً في حياة الطفل، إذ يوجد هناك استعداد فطري في النّفس البشريّة للخربشة، والرّسم الذي يتطوّر بحسب العمر.

لقد تفادينا الدّخول في دراسة الرّسومات دراسة نفسيّة أو تشخيصيّة من حيث حجم الصورة والخطوط وطبيعة الرّسومات والألوان لأنها ليست من ضمن دراستنا، بل إنّ الرّسم قد أفادنا في إظهار النّاحية النّفسيّة والانفعاليّة التي يحاول الطفل إسقاطها على الرّسم الذي يعبّر من خلاله عمّا يُخفيه في عالمه الداخلي.

لقد تبيّن لنا أن نسبة كبيرة من الأطفال قد رسموا موضوع الحرب. وهذا يدل على أن ذاكرة الأطفال مشحونة بهذه الصّور وخاصة في منطقة الفئة الأولى (ضاحية بيروت الجنوبية) وكشفت دراستنا عن مؤشرات لانعكاس صدمة الحرب بنسبة 75 % لدى أطفال العينة. ومن المفيد أن نذكر بأننا لم نطلب منهم أن يرسموا لنا شيئاً عن الحرب بل أن يرسموا ما يشاؤون وكما يريدون، وقد قدّمنا لهم أقلام التلوين وكان لهم مطلق الخيار في استعمالها. تمّ تنفيذ الرّسم الحر قبل تطبيق بطاقتي التّعبير الكتابي عن الحرب والسّلام، كي لا يتأثّروا بفكرة الحرب.

فإذا نظرنا الى الرسوم التي أعطاها الأطفال نستطيع أن نفهم عناصرها ومحتواها حيث كنّا نطلب من كلّ طفل أن يدلي ببعض الشروحات التي توضح فكرة موضوع الرسمة التي قام بها.

لقد أظهرت النتائج، بعد التحليل الإحصائي، أنّه توجد فروقات دالة بين المناطق الثلاث من حيث تأثير الحرب، وذلك من خلال اختبارx^2 .

في المقابل، قمنا بإجراء مقارنة بين الفئتين الأولى والثانية من حيث متغيّر الحرب، وبعد

التّحليل الاحصائي، لم نجد فروقات ذات دلالة احصائية. وهذه النتيجة تدلّ على أن التّأثيرات النّفسيّة للحرب وانعكاساتها قد ظهرت بنسبة مرتفعة لدى الفئتين الأولى والثانية وان معظم الأطفال يعانون من آثار الحرب. إذ أنّ رسوماتهم مشبّعة بجوّ الحرب والقتل. وهذا مؤشّر على أنّ آثار الحرب ما تزال قائمة لدى الأطفال.

بينما انخفضت النسبة عند أطفال الفئة الثالثة حيث طغت على رسوماتهم مناظر الطبيعة بنسبة 83 % وهي تعكس الهدوء النّفسي والطمأنينة، نظراً لبعدهم الجغرافي نسبياً عن خطوط النار باستثناء الأطفال الذين يسكنون في منطقة بدارو القريبة نسبياً من الضاحية الجنوبية حيث تعرضوا أيضاً لمخاطر الحرب ومخاوفها وبنسبة 17 %.

لقد اتضح من خلال تحليل مضمون رسومات الأطفال، أن 75 % من أطفال الضاحية (ذكور وإناث) قد رسموا الحرب، وهذه نسبة كبيرة ودالّة على استمرار آثار الحرب في ذاكرة الأطفال. كما تضمّنت الرّسومات آلات حربية ومواقع قُصفت الى جانب المنازل المدمّرة والجثث والقتلى، مما يعكس صورة المأساة التي عاشها هؤلاء الأطفال في تلك الفترة المؤلمة والصعبة، إذ أنّ هذه المنطقة قد تعرّضت للقصف المستمر طيلة فترة الحرب.

كما ظهر لنا من خلال دراستنا أن نسبة رسومات الحرب عند أطفال الفئة الثانية قد جاءت متقاربة جداً مع أطفال الضاحية، إذ هناك 73 % من الأطفال قد رسموا فكرة الحرب حيث كان موضوع الحرب هو الشيء المشترك فيما بينهم، إذ ظهر الدمار والخراب بنسبة أقل من الفئة الأولى، بينما تقاربت أفكارهم في رسم الآلات الحربية، كالطائرات والصواريخ، والأسلحة، والمروحيّات والجنود المسلحين والأشخاص المصابين وأشلاء الأطفال والجرحى والقتلى والجثث والدماء والحجارة المتناثرة والإسعافات والصليب الأحمر...

ويمكن تفسير ذلك أن أطفال الفئة الأولى قد رسموا المشاهد الحية التي شاهدوها بأمّ أعينهم والتي أصابت المنطقة التي يعيشون فيها، بينما ظهر في رسومات الفئة الثانية ما

يدل على ما سمعوه وشاهدوه من تحليق مكثف للطائرات الحربية وما شاهدوه أيضاً على التلفاز من دمار وهدم وخراب.

يبدو واضحاً أن أطفال العيّنة، ولا سيما الذين تعرّضوا للاعتداءات الاسرائيلية المباشرة قد تشكّلت لديهم خبرة مهمّة تتعلّق بالحرب وآلاتها ونتائجها المأساوية. وهذه الخبرة تظهر من خلال المتون الحربية والعسكريّة التي أعطاها الأطفال في رسوماتهم. ومن خلال القصائد والشعارات الوطنيّة التي دوّنوها على رسوماتهم أو من خلال المقابلة، حيث كان بعضهم يلقي القصائد والخطابات والشعارات السياسية ويعطي آراءه حول العدو. وهذا كلّه يدل على أنّ طفل الضاحية يعي مسألة الحرب ويعرف جيّداً الجهات المتنازعة ويعرف من هو العدو.

لقد ظهر في رسومات الأطفال أيضاً مشاهد عن صور الحرب التي رسموها داخل مربع تمثل شاشة التلفاز وحولها أشخاص ينظرون الى تلك المشاهد. وهذا يدل على أنهم تابعوا الأخبار والأحداث على شاشات التلفاز أثناء فترة العدوان الإسرائيلي على لبنان، مّما يدل على حالة من القلق العام. من الأطفال من بقي داخل المنزل أو الأماكن التي سكنوا فيها أثناء فترة الحرب، وقد وضعوا خطوطاً فاصلة في رسماتهم لوقف الخطر عليهم ولو على صعيد الخيال. (وهذا ما أشار اليه الأطفال في كافة المناطق خلال التعبير عن فكرة السّلام حيث أعربوا عن حقّهم في أن يلعبوا ويعيشوا بأمان وسلام.)

أما الأطفال الذين تركوا بيوتهم ونزحوا مع أهلهم الى أماكن أكثر أمناً، فكان القلق يلازمهم وكذلك الخوف من الموت الآتي من الجوّ، ونحن نعلم أنه أثناء فترة الحرب نزح أكثر من مليون شخص هرباً من خطر الموت وخاصةً أهالي الجنوب وضاحية بيروت الجنوبية.

وكما ظهر لنا، ومن خلال رسوماتهم، فإنّ الأطفال النازحين تابعوا الأخبار على الراديو في السيارة ، ورغم كل الخطر الذي اعترض النازحين، فقد ظهرت لنا صورة معاكسة تُظهر علامات الفرح حيث بدا لنا في بعض الرّسومات أن فرحهم بالانتصار كان كبيراً

خاصةً عندما قصفت البارجة الحربية من قبل رجال المقاومة.

إنّ الطفل علي، الذي هرب من منطقة البرج في الضاحية الجنوبيّة بسبب القصف باتّجاه منطقة بعلبك، قد سمع مع أهله (خاله، ابن عمّه وأخيه) في السيّارة الخبر المتعلّق بقصف البارجة الإسرائيليّة مما أدخل الفرح في قلوبهم. وقد عبّر عن ذلك في الرّسم الذي نعرضه في الصفحة التالية (هيه...، ها قد قصفت البارجة الحربية وانتصرنا).

رسمة الطفل علي



في المقابل، لم نقع على نسبة مرتفعة من الموضوعات الحربية في رسومات أطفال الفئة الثالثة حيث كانت رسوماتهم أكثر هدوءاً. وقد تمثّلت بالمناظر الطبيعيّة والنزهات والاحتفالات وكل ما يشير الى الهدوء والرّاحة. ما يعني أن الأطفال هنا قد يتأثّرون بالبيئة الديمغرافية التي يعيشون فيها والتي ينتمون إليها. فالمنطقة الشّرقيّة من بيروت كانت بعيدة نسبيّاً عن الدّمار والقصف. لذلك جاءت رسومات أطفالها أكثر هدوءاً، تليها المنطقة الغربية بنسبة أكبر لنصل الى المنطقة التي كانت مستهدفة من قِبل العدو الإسرائيلي وهي منطقة الخطر أي منطقة الفئة الأولى التي حصلت على أعلى نسبة من رسومات الحرب.

لقد ظهر أيضاً في رسومات الفئة الثانية ما هو مرتبط بأحداث الجامعة العربية 2007، التي حدثت بعد حرب تموز2006 ، وما جرى فيها من شغب وأعمال عنف وحرق دواليب في منطقة المزرعة والبربير والطريق الجديدة والجامعة العربية، مما يدل على تأثر الأطفال بالأجواء السياسيّة المحيطة بهم وبالمنطقة والطائفة التي ينتمون اليها.

كذلك فإنّ هذا البلد شهِد منذ 14 شباط 2005 سلسلة من الاغتيالات كان لها أثرٌ عميقٌ لدى بعض فئات المجتمع، وكان أبرزها اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري الذي ظهرت صورته عند بعض أطفال المنطقة الغربية. وهذا مؤشّر خطير يدل على أن أثر حادثة الاغتيال ما زالت آثارها ظاهرة لدى بعض الأطفال، علماً أن لبنان قد مرّ بأحداث دامية وحروب داخلية بالاضافة الى حرب تموز 2006، ومع ذلك لم تغب هذه الحادثة عن أذهان الأطفال. وهنا نستنتج بأنّ الأحداث السياسيّة التي تجري في المنطقة المحليّة والتي يعيش فيها هؤلاء الأطفال قد شكلت لديهم مصطلحات ومفاهيم أكبر من نموهم العقلي نتيجة تأثّرهم بمواقف الكبار.

كما أنّ لبنان كان يمرّ بعد حرب تموز 2006 وحتى إجراء الاستقصاء الميداني (7أيار 2007) بأزمة سياسيّة حادة تطوّرت أحياناً (ولا سيما في 23 و 25 كانون الثاني) إلى أحداث أمنيّة. وفي هذه الأحداث عاش سكان بيروت والبلدات جوّاً من المخاوف شملت الكبار والأطفال.

✿ما هي العناصر التي ظهرت في رسومات الأطفال؟

1 - العناصر البشرية

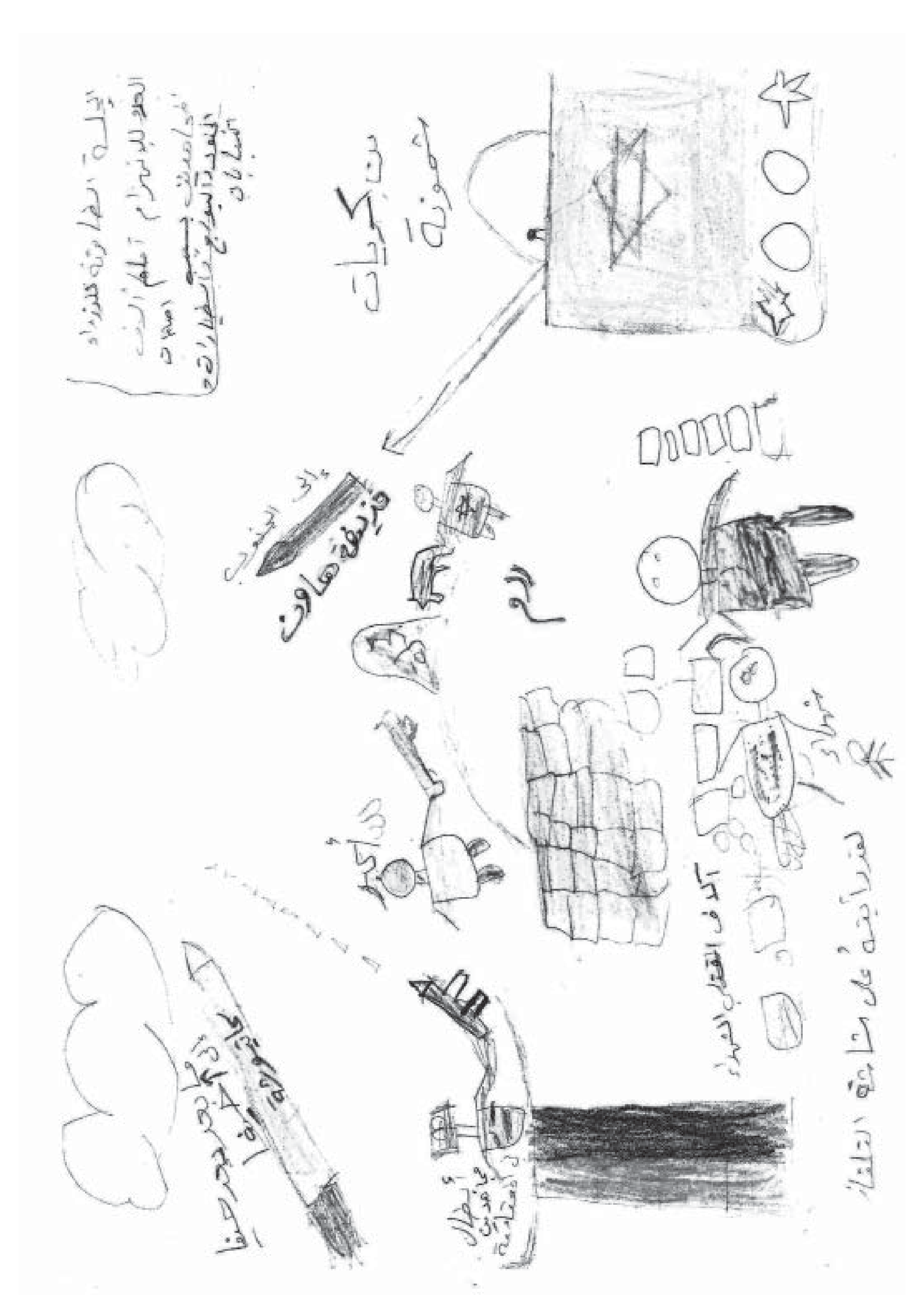
من أبرز الأشخاص الذين ظهروا في رسومات الحرب هم الأطفال أنفسهم، حيث رسموا أنفسهم وعبّروا عن معاناتهم في الحرب. فمنهم من كان يبكي على الدمار الذي حلّ بمنزله أو بمنطقته أو ببلده...، ومنهم من كان يبكي وبالقرب منه صورة المجازر والقتلى والجرحى الذين هم من أقربائه أو من جيرانه...، ومنهم من كان حزيناً ومتفاجئاً لرؤية مشاهد القصف والحرائق أو لأنّه نزح وترك مكان سكنه... ومنهم من كان يساعد الأطفال لإنقاذهم، ومنهم من كان داخل السيارة مع أهله أو أقاربه يسيرون بسرعة هرباً من القصف... وهذا كلّه يدلّ على أن الأطفال هم أكثر الأشخاص تأثّراً بالحروب، ويكفي أن نذكر أنّ حرب تموز حرمتهم من العطلة الصيفيّة.

لقد برزت فكرة الجنود (رجال المقاومة) عند أطفال منطقة ضاحية بيروت الجنوبية في مواجهة العدو كفكرة طاغية وبارزة في رسوماتهم حيث نلاحظ الأعلام الحزبية كأعلام المقاومة وإيران وسوريا، وعلم إسرائيل الذي وُضِع عليه اشارات ورموز لاغية (×) وغابت صورة الجيش اللبناني....حيث ظهرت صوره، وبنسبة قليلة، عند أطفال الفئة الثانية وهم يرفعون الأعلام اللّبنانية ويجلسون وراء الدبابات والمدافع وصور للطائرات الحربية التي تحلّق فوقهم. بينما ظهرت صورة الجنود (رجال المقاومة) في مواجهة العدو الاسرائيلي وهم يطلقون النار، ويستعملون الأسلحة والصواريخ كآلات حربية حديثة ومتطورة على عكس ما كنا نشاهده على شاشات التلفاز أثناء حرب فلسطين وخاصة في غزة، حيث كنا نشاهد الأطفال الصغار وهم يضربون العدو بالحجارة والأحذية.... إنّ أطفالنا قد واكبوا الحرب وظهرت في رسوماتهم الآلات الحديثة والمتطورة والتي كان أبرزها الطائرات الحربية والصواريخ، وهذا يدل على أنهم تأثروا بكل أحداث الحرب وذلك بناءً على ما شاهدوه وسمعوه من أصوات الصواريخ والانفجارات والقذائف وتحليق للطائرات الحربية، والصراخ بسبب الخوف.... وما شاهدوه بأم أعينهم على

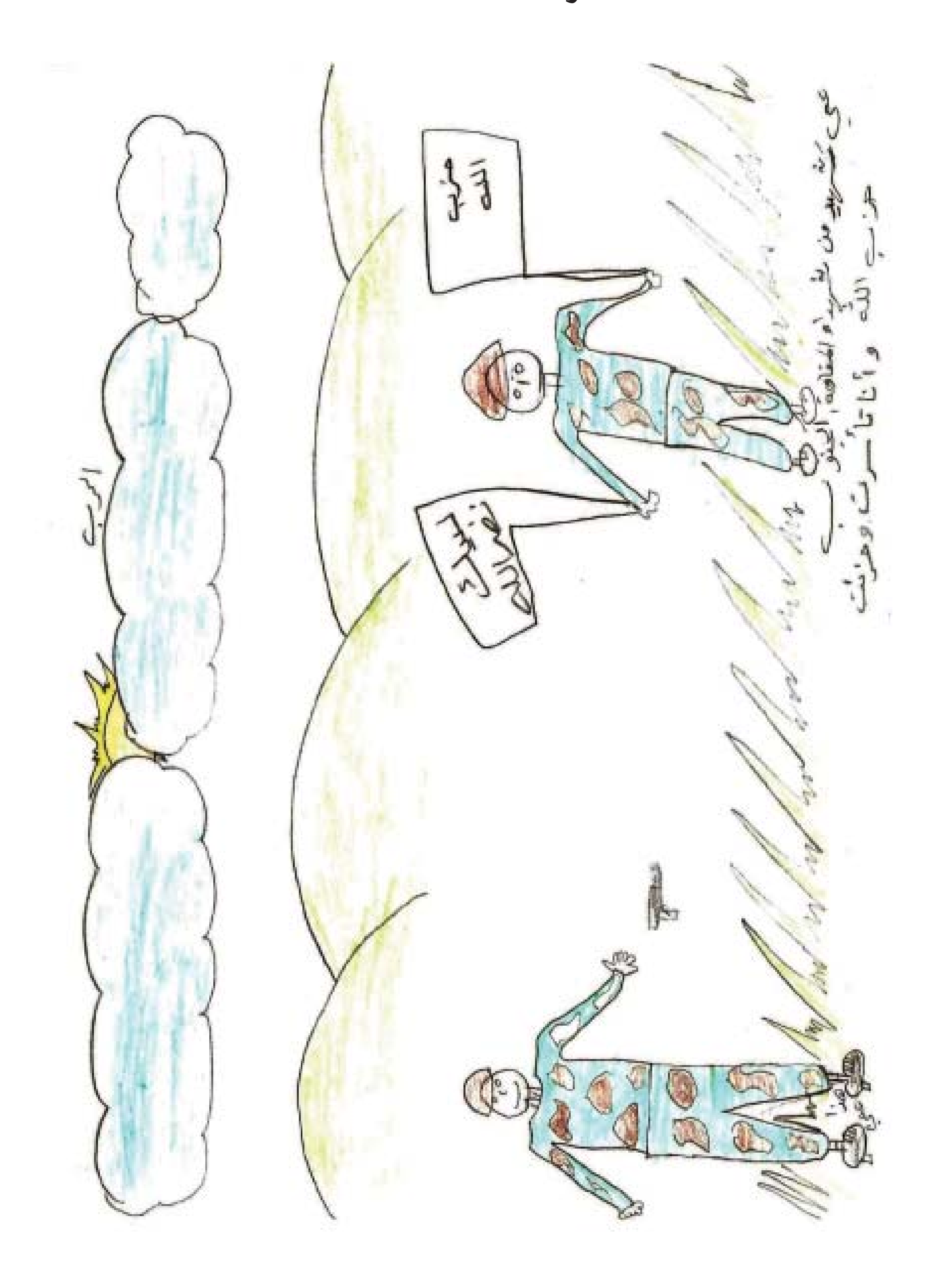
الطرقات، وفي الشوارع أثناء هروبهم أو نزوحهم من منطقة الى أخرى تحت القصف أو ما شاهدوه على شاشات التلفاز من مناظر ومشاهد للقتلى والجرحى.

وفي ما يلي نقوم بعرض رسمة للطفل علي، من منطقة حارة حريك التي تقع في الضاحية الجنوبية، وهي تمثّل مشهداً من مشاهد الحرب على التلفاز. وقد ظهر في الرّسم أسماء لبعض الأسلحة الحربية «قذيفة هاون» المتّجهة من كريات شمونة منطقة العدو نحو الأراضي اللبنانية حيث كان يردّ عليها رجال المقاومة بصواريخ كاتيوشيا، هذا بالاضافة الى بعض التّعليقات التي كان يردّدها رئيس حزب الله بأنّه سوف يردّ على العدو ويقصف حيفا وما بعد حيفا...)، بالإضافة الى الأسلحة، فقد ظهر أيضاً في الرّسم عدد من الجرحى والقتلى.

رسمة الطفل علي



رسمة الطفلة فاطمة



هذه رسمة للطفلة فاطمة، من منطقة التّحويطة التي تقع في الضاحية الجنوبية، والتي تُظهر مدى تأثّرها وحزنها الشّديد على عمّها، أحد رجال المقاومة، الذي استشهد أثناء حرب تموز 2006.

نستنتج من خلال ما تقدّم أن التّغطية الشّاملة للحرب والخارجة عن أي رقابة كانت تغطّي بشدّة مشاهد الحرب مثل إطلاق النار والقتل والدمار والقصف والموت والغارات الجويّة التي كانت تبثّها المحطات التلفزيونية وشبكة الأنترنت على مدار الساعة.

ففي دراسة أجراها [1](Burgess، 1993)، بيّن فيها أنّ الرّسم يساعد على استرجاع التّجربة بشكل حركي وبصري وسمعي. ويعتقد بأنّ الرسم يسمح بالتّفريغ الحركي الحسي لأنّ الأشياء في الصّورة تساعد على التّذكّر، حيث أنّ الأبعاد المعرفيّة تتجلى في عمليّة تنظيم الرّسم.

ويعتقد (Burgess & hartmen عام 1993)[2] أنّ رسومات الأطفال مفيدة كأداة مساعدة في الكشف عن الذكريات المؤلمة، لدى الأطفال والآخرين. وهي تعكس البناء الإدراكي من خلال تنظيم الرّسم واختيار المضمون والعلاقات بين الشخص والأشياء والأفكار، ويمكن فَهم الانفعال على أنه استرجاع للتجارب البدنيّة والصور والأصوات. فعلى سبيل المثال، إنّ الانسان لا يستطيع التّعبير عن عاطفة الحزن شفهيّاً، ولكن من خلال حركات الجسد المختلفة يعبّر عن التوتر والإثارة والقلق. وبالنسبة لدراستنا وجدنا أنّ قلق الحرب قد طغى على رسومات الأطفال. إذ شكّلت موضوعات الحرب عند أطفال الفئة الأولى نسبة75 % مقابل73 % عند الفئة الثانية، بينما لم تظهر عند الفئة الثالثة أي ردة فعل تجاه الحرب.

ويعتقد [3] "Burgess" أن المعلومة تصبح غير مشفّرة ثمّ يجري تخزينها وتنظيمها على المستوى الحسّي، كما أن تصنيفها يتأثّر بالقدرات المعرفيّة وبالتّخيّل البصري لأحداث ماضية أو لاحقة.

ونتيجة لذلك، فإنّ تعرّض الأطفال بشكل منتظم للتّغطية الإعلامية والخطابات السياسية النّاريّة وعلى الأخص على المحطات التلفزيونية التي تعتمد أيضاً بث مشاهد من العنف والقتل لا تخلو من تأثير سلبي في الأطفال. فقد تلقى هؤلاء جرعات زائدة

---

1 - A.W Burgess, C.R Hartman, Children's drawings, p.161-162.

2 - A.W Burgess, C.R Hartman, ibid, p.162-163.

3 - A.W Burgess, C.R Hartman, ibid, p.162-163

من أخبار الموت التي تلقّوها وشاهدوها بأسى وحرارة، فماذا عن هؤلاء الأطفال الذين شاهدوا القتل والموت بأم العين؟؟

إنّ الرسمة أدناه التي أعطاها الطفل فادي وهو من منطقة بئر العبد التي تقع في الضاحية الجنوبية، تمثّل مشهداً من الحرب التي شاهدها على شاشة المنار والتي تأثّر به كثيراً وحزن وكان يبكي على ما قد حدث في ذلك الوقت في منطقته من قصف جوي أدى الى دمار الأبنية وإصابة المدنيين بين قتيل وجريح.

رسمة الطفل فادي



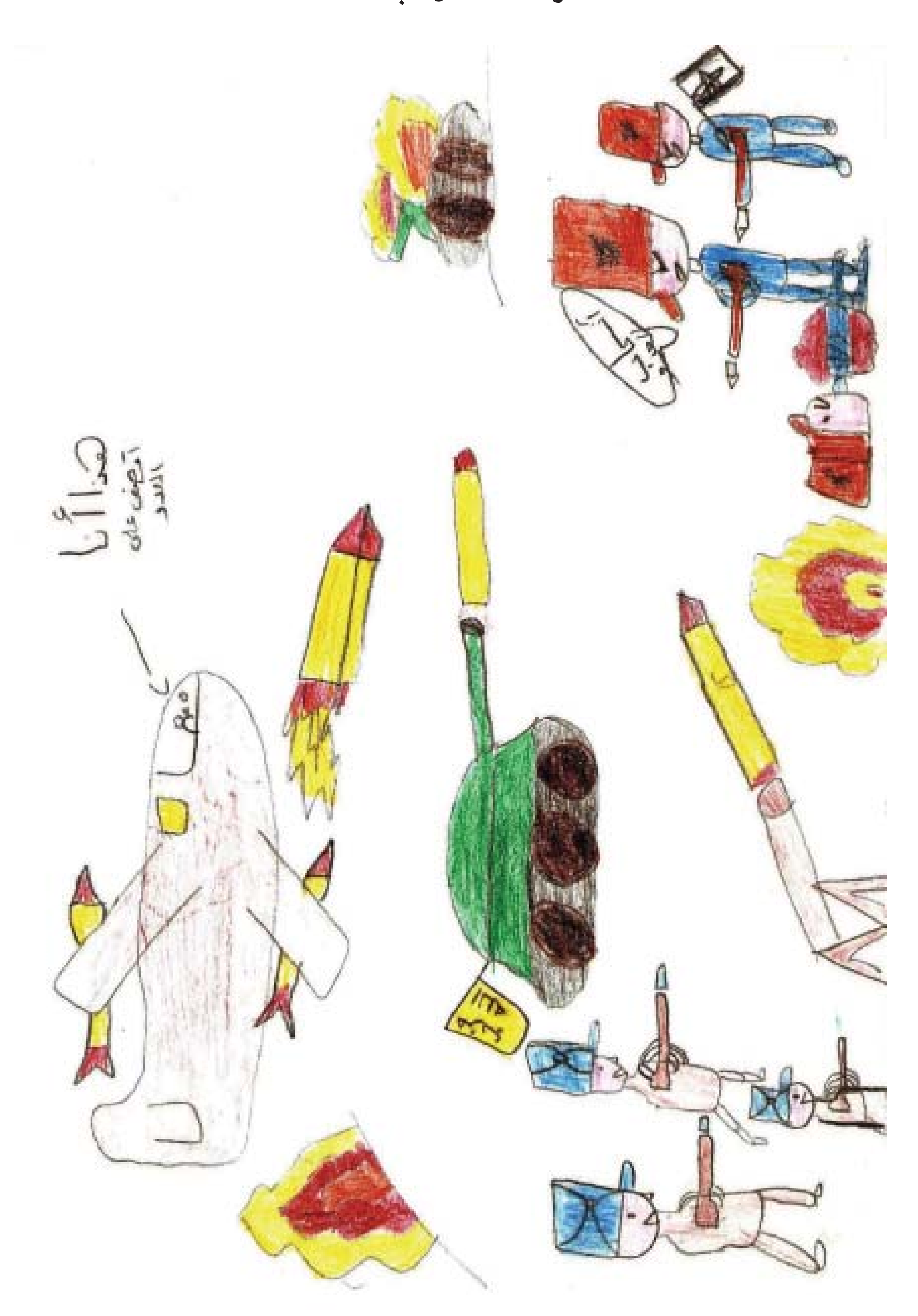
إنّ رؤية هذا الدّمار والرّكام وسماع أخبار الموت ومشاهدتها بأم العين أثناء الحرب خلّفت لدى الأطفال صوراً مأساوية لا تنسى، قد ترسّخت في ذاكرتهم. ومن المرجّح أن تؤثّر في صحتهم النّفسيّة، إذ أنّ ردود الفعل في رسوماتهم تمثّلت بالبكاء والصّراخ والحزن والقلق.

وهذا ما يفسّر أن وسائل الإعلام المرئية هي الأكثر تأثيراً في المُشاهد ذلك لأنها تواكب الأحداث بالصورة والصوت، وبالتالي فإنّ اللّبنانيين ولا سيما الأطفال منهم قد تعرضوا خلال حرب تموز 2006 لصور ومشاهد مرعبة من القتل والدّمار والقصف الوحشي....

2 - الآلات الحربيّة

لقد تبين من خلال نتائج دراستنا، وبعد التحليل الاحصائي للرّسوم، أن العناصر الحربية الأكثر تداولاً في رسومات الأطفال قد تمثّلت بالدرجة الأولى وبنسبة مرتفعة بالطائرات الحربية التي تقصف المناطق اللبنانية. وهذا يدل على أن الأطفال تأثروا بأجواء الحرب التي سيطر عليها سلاح الجوّ الاسرائيلي، هذا القصف الجوّي العنيف الذي أدخل الخوف والذّعر في نفوس الأطفال. وهذا ما يمكن أن نلمسه بسهولة عند الأطفال الذين عانوا الحرب من خلال ما ظهر في رسوماتهم.

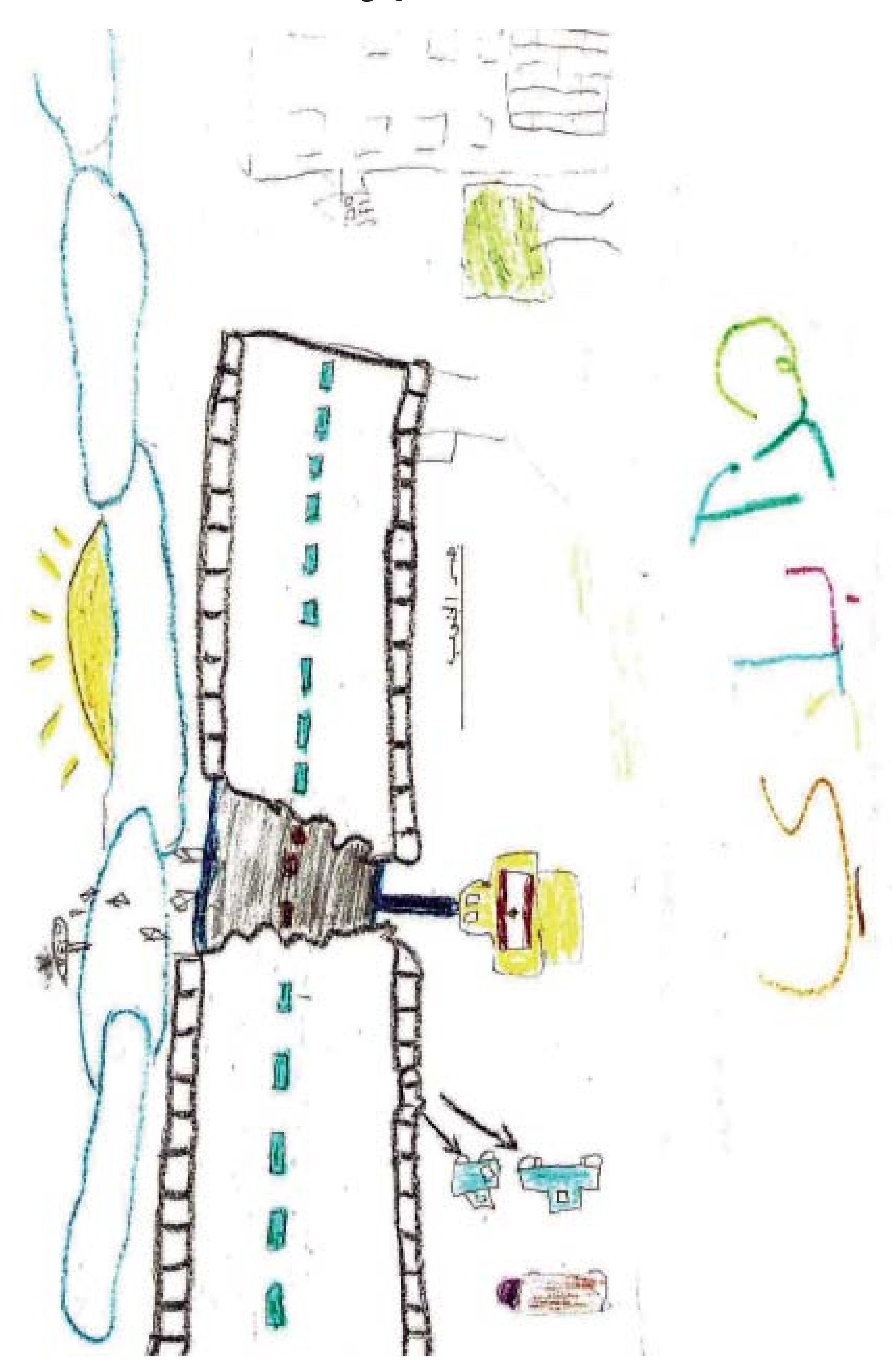
رسمة الطفل عبد الله



تمثّل رسمة الطفل عبد الله، من منطقة الليلكي التي تقع في الضاحية الجنوبية، رغبته في التماهي مع دور المحارب أو المقاوم الذي يقود طائرة حربية تقصف بصواريخها العدو ويساعده رجال المقاومة بالأسلحة والصواريخ أرضاً. ويُظهر الرسم انتصار رجال المقاومة على العدو مما أدى الى انسحابهم وتراجعهم واصابة بعضهم.

يلي ذلك رسومات لأشخاص في حالة من الحزن والخوف أو رسومات تشير الى دمار للمنازل وقصف للأبنية والبنى التّحتيّة مثل الطرقات والجسور وتناثر للحجارة مع ألسنة النيران الملتهبة الصاعدة من الأبنية نتيجة القصف الجوّي. فلم يوفّر العدو جسراً ولا طريقاً ولا معبراً على الأراضي اللّبنانيّة إلا وقصفه، ونتيجة لذلك، بقيت هذه الصور راسخة في ذاكرة الأطفال. وهذا ما بدا لنا واضحاً عند أطفال الضاحية وبيروت الغربية حيث تشابهت الأفكار في رسم الجسور المدمّرة كدليل واضح على المعاناة التي عاشوها أثناء تهجيرهم من منازلهم الى أماكن بعيدة عن مسكن رأسهم. كما ظهرت الشمس في وجهٍ حزين خلال النهار بلونها الأحمر والبرتقالي والأصفر. وهذا يظهر مدى الحزن والقلق عند هؤلاء الأطفال. ولا ننسى الآلات الحربية، الجوية والأرضية كالطائرات والدبابات والأسلحة التي طغت على معظم الرسومات.

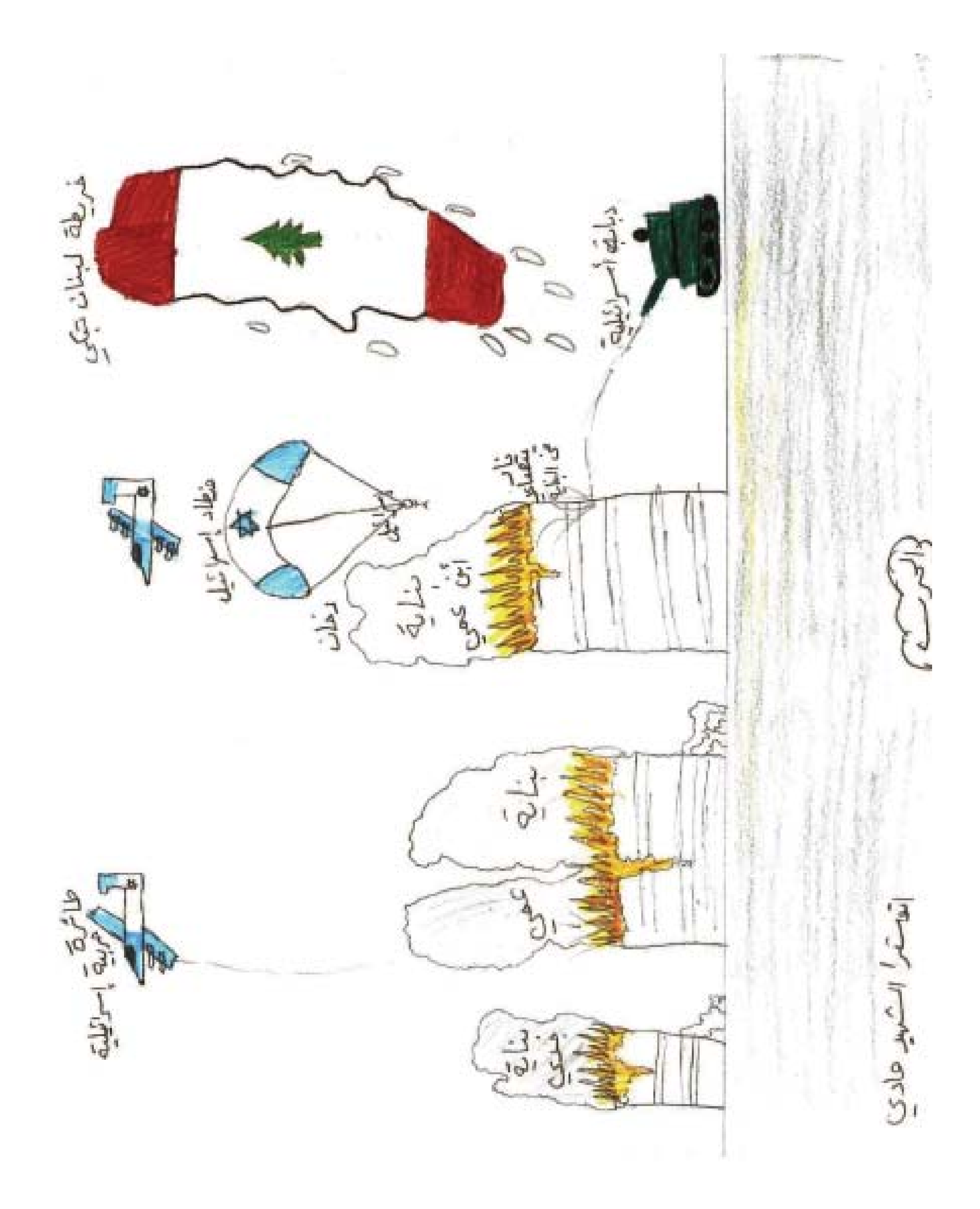
رسمة الطفل موسى



رسمة الطفل حسام

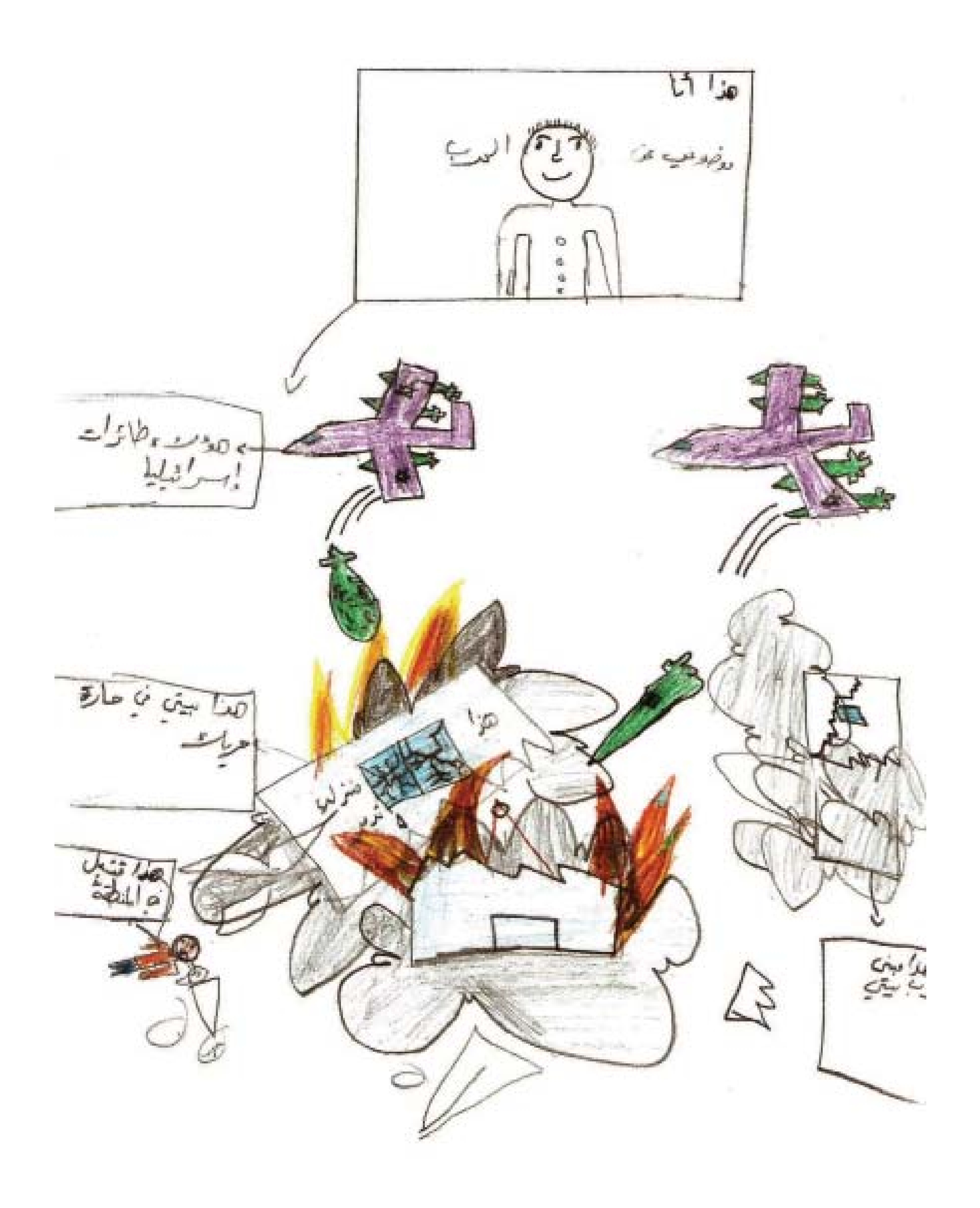


رسمة الطفل حسن



تمثّل <u>رسمة الطفل حسن</u>، الذي يعيش قرب أوتوستراد السيد هادي في منطقة الضاحية الجنوبية، الوضع الحقيقي الذي عاشه أثناء الحرب حيث رسم لنا بناية جدّه وعمّه وابن عمّه التي احترقت وابتلعتها نيران الحرب جراء قصف العدو. كما ظهرت صورة لخريطة بلده لبنان الذي يبكي حزناً لما حلّ به من دمار وخراب.

رسمة الطفل هادي



اختار الطفل هادي، الذي يقطن في منطقة حارة حريك، أن يرسم بيته الذي دمّر بسبب القصف الجوّي الاسرائيلي ما أدى الى استشهاد بعض أبناء منطقته.

وهناك بعض الرّسومات الدّالة التي تمثل صُوراً للقتلى والجرحى وخاصة الأطفال الذين سقطوا في مجزرة الشياح التي جرت في أواخر أيام العدوان الاسرائيلي والتي عبّر عنها أطفال الشيّاح في رسوماتهم. وقد تناولت رسوم الأطفال أيضاً مجزرة قانا الثانية التي تكررت أثناء حرب تموز 2006 حيث أعطاها الأطفال هذا المصطلح، وهي تمثل أشلاء جثث الأطفال المرميين على الطرقات والملطخين بالدماء...

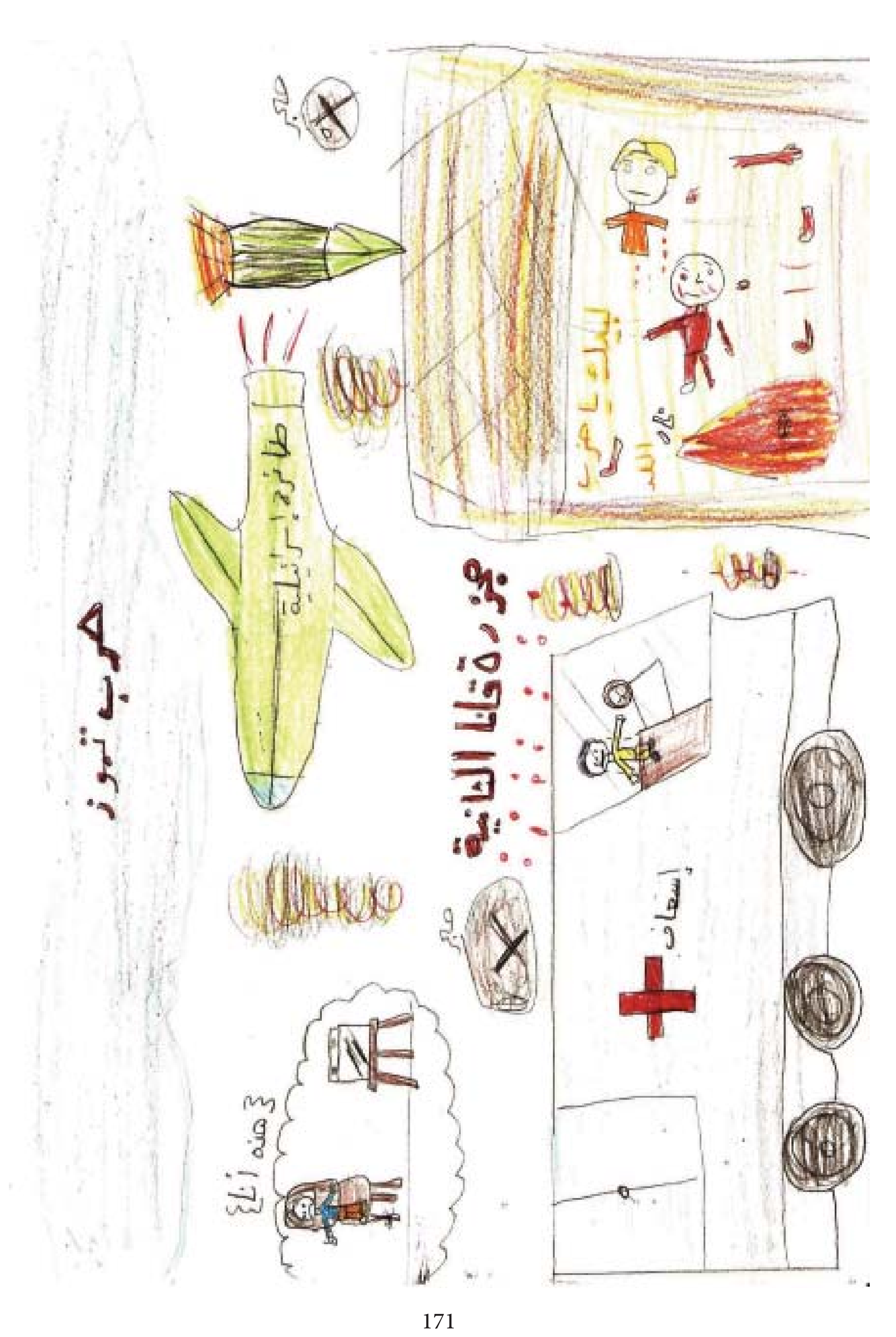
لقد أظهرت نتائج دراستنا أنّه، وبعد تسعة أشهر من انتهاء حرب تموز، ما زالت صورة مجزرة قانا الثانية مطبوعة في أذهان معظم الأطفال، وخاصة أطفال الضاحية. كما ظهرت النيران والحرائق المشتعلة في مطار بيروت الدولي عندما قصفت خزانات الوقود، وكذلك البارجة الاسرائيلية وهي تشتعل في عرض البحر، حيث رافقتها بعض العبارات والشعارات الحزبيّة وبعض الكلمات التي كان يردّدها رئيس المقاومة في خطاباته أثناء الحرب، مثل "سنقصف حيفا وما بعد حيفا وما بعد بعد حيفا"..... كما نشير الى أننا شرحنا في القسم النظري من البحث اختبار الرسم وموضوعاته ومعانيه التي تثبت صحّة نتائج العمل الميداني[*1].

نعرض في ما يلي بعض رسومات أطفال الضاحية الجنوبية، حيث رسمت الطفلة آلاء، التي تعيش في منطقة البرج في الضاحية الجنوبية وهي من قانا، أطفال مجزرة قانا الثانية الذين نقلهم رجال الإسعاف بسيارتهم وهم بحالة أشلاء وقتلى وذلك بسبب القصف الجوي بالصواريخ والطائرات الحربيّة، وهي تبكي عليهم بحزن وأسى. وهذا ما ظهر من خلال الألوان التي استعملتها (الأصفر، الأحمر، البرتقالي والبنّي).

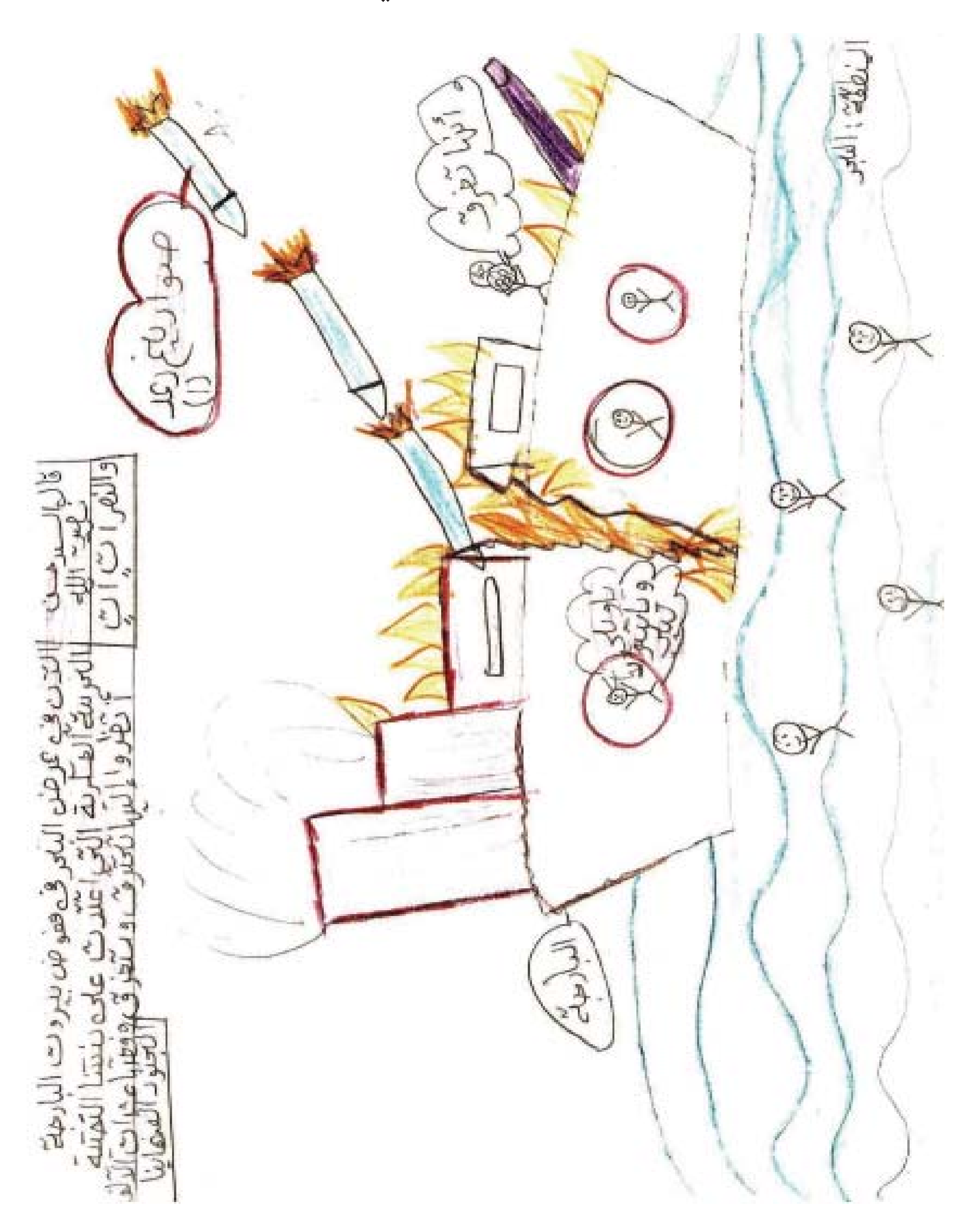
---

1 - راجع صفحة 50 - 55.

رسمة الطفلة آلاء



رسمة الطفل حسين

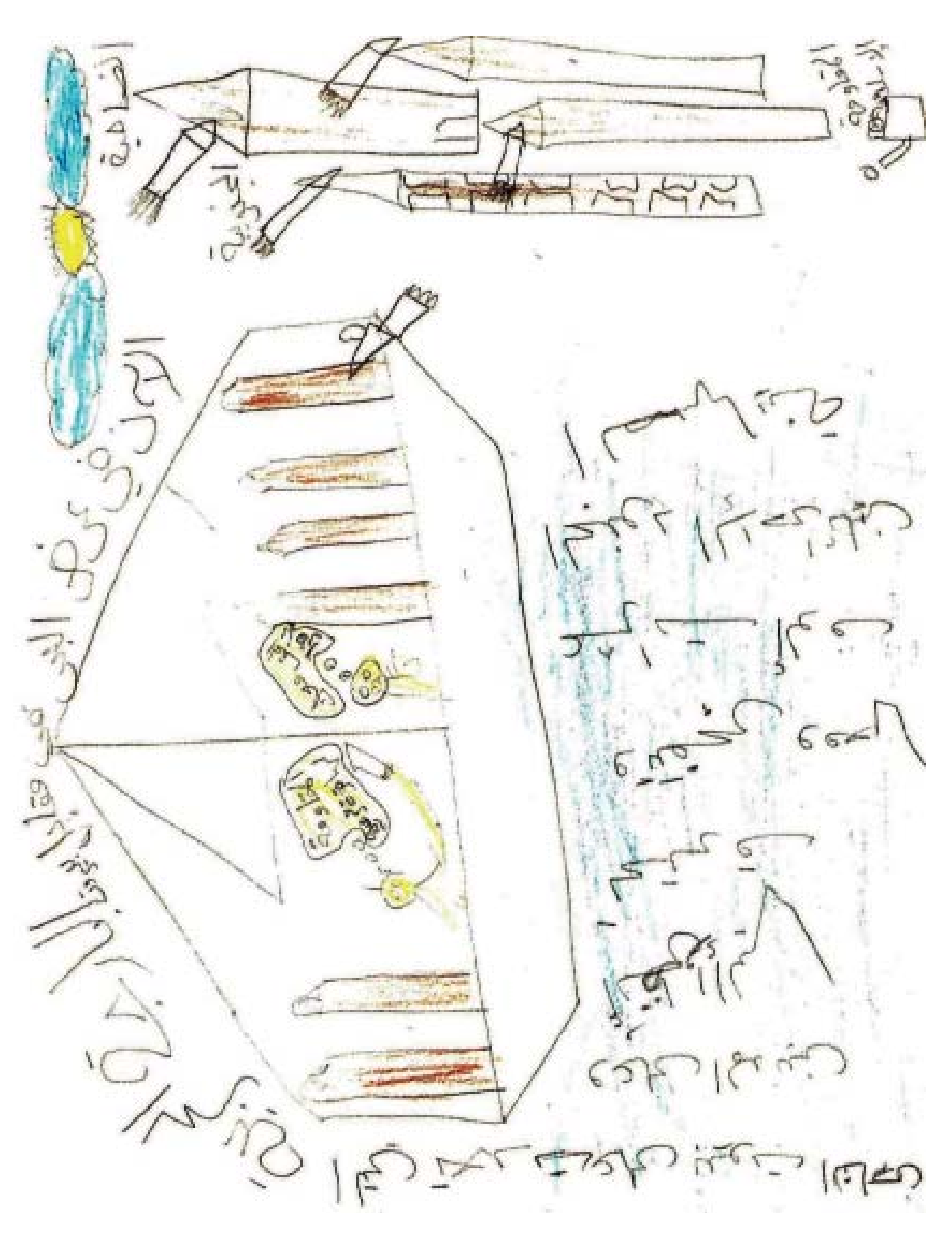


أما <u>الطفل حسين</u>، الذي يعيش في منطقة المريجة في الضاحية الجنوبية، فقد رسم البارجة العسكرية التي قصفها رجال المقاومة في عرض البحر بصواريخ رعد أثناء ظهور رئيس حزب الله على شاشات التلفاز حيث قال في خطابه أنه " الآن، وفي هذه الدقائق قصف

رجال المقاومة البارجة الصهيونية في عرض البحر وسنقصف حيفا وما بعد حيفا لو اضطرّ الأمر...". وتأثراً بهذا الخطاب الذي ما زال راسخاً في ذاكرة الأطفال، قام الطفل حسن بتدوينه في رسمته.

كما رسم الطفل محمود، وهو يسكن في منطقة التحويطة، الفكرة نفسها مع بعض التعليقات.

رسمة الطفل محمود



وبالنسبة لعناصر الطبيعة التي ظهرت في رسومات بعض أطفال الفئة الثانية فهي تدلّ على الحزن والخوف والقلق، إذ بدت الغيوم ملبّدة في السّماء ورماديّة اللّون وتميل الى اللّون الأسود، والشمس حزينة ولونها أحمر، والأشجار مقطوعة بسبب القصف والصواريخ، والحيوانات تنزف دماءً، كما ظهر أيضاً التلوّث على سطح مياه البحر الملطخة ببقع المازوت والمواد الكيميائية التي خلّفتها الحرب، وهناك الدخان المتصاعد من خزانات الوقود، والغبار الذي غطى الجوّ.

في ضوء كل ما سبق، يبدو من رسومات الأطفال أنّ للحرب تأثيراً واضحاً في رسوماتهم، وهذا يدل على أن الأطفال يعانون من الآثار النّفسيّة السلبية للاعتداءات الاسرائيليّة والأزمات الداخلية وكل ما يحدث من مشاكل واغتيالات وأعمال عنف.... حيث تنعكس كل هذه الأحداث المحيطة بالأطفال في رسوماتهم والتي يتعرفون إليها من خلال البيئة الجغرافية والثقافية أو ما يشاهدونه على التلفاز وكذلك الأخبار التي يسمعونها من الكبار....

لذا يبدو من المناسب البحث عن أنواع التّعرض للنزاعات المسلحة والنظر فيما إذا كانت الأحداث الأمنيّة والسّياسيّة تقتصر على فئة معيّنة من الأطفال أم أنّها تشمل الجميع، الأمر الذي قد يساعد على تفسير أعراض اضطراب الصدمة النّفسيّة لدى الأطفال. ومن الضروري اعتماد هذه المقاربة نظراً الى قلّة الدراسات التي اعتمدت الرّسم الحرّ في دراسة معاناة الأطفال من الحروب وبصورة عامة في لبنان وفلسطين والعراق ... هذه الحروب التي تترافق بالحرمان النّفسي والاقتصادي [1](Srour,2005; Straker,1987; Macksoud & Aber,1996).

---

1 - W.A. Srour, children living under a multi-traumatic environment : The Palestinian case, p. 88-95.

3 - رمزيّة الألوان

لقد ظهرت في رسومات الأطفال الظلمة والألوان الدّاكنة كدليل على اللّيالي القاسية التي قضاها هؤلاء الأطفال في فترة حرب تموز 2006، حيث جاءت في تعدادها متدرجة من اللون الأكثر مساحة الى الأقل مساحة.

وسوف نذكر ألوان المواقع والعناصر والآلات الحربية التي برزت في رسومات الأطفال من دون الدّخول في تعريف معنى الألوان وذلك لأنه تمّ شرحها في الباب النّظري من الرّسالة، حيث جاءت معاني الألوان وتفسيراتها في العمل الميداني متناسقة مع ما ذكرناه سابقاً[*1].

1- راجع صفحة 78 - 81.

رسمة الطفل أحمد



رسـم الطفـل أحمـد، الـذي يعيـش في منطقـة الطريـق الجديـدة، أجـواء الصيـف أثنـاء الحـرب مقارنـةً مـع مـا قبـل الحـرب، وكيـف كانـت السـماء صافيـة والبحـر نظيفـاً وكيـف أصبـح البحـر

الآن ملوثـاً ببقـع المـازوت والسـموم التـي خلّفتهـا الحـرب جـراء قصـف خزانـات الوقـود والبنـى التحتيـة وبسـبب الانفجـارات التـي أدّت الى تلـوّث الجـو.

البرتقالي: هو لون حيّ، ولكنه غير ثابت مثل الألوان التي تؤلّفه (الأحمر والأصفر)، ويكون في أغلب الأحيان على اتصال مع الشمس والنار والدفء. إنه من الألوان الدّافئة التي تدفع الى الحركة نحو الخارج، وهو مستعمل عادةً من قبل الأشخاص ذوي الطبيعة المشتعلة. استعمله الأطفال في أغلب الرّسومات للدلالة على اشتعال النيران التي حرقت الكثير من الأشياء الناتجة عن قصف الصواريخ. فالصواريخ والقذائف عندما تصطدم بالهدف تنفجر وتسبّب اشتعال الحرائق. وهنا، ومن خلال رسومات الأطفال لموضوع الحرب، تبيّن أن نسبة ظهور الطائرات الحربيّة والصواريخ بلغت أعلى نسبة، ولا ننسى أن أغلبية الرّسومات تحتوي على دمار وقصف وحرائق للمنازل والأبنية وتناثر الشظايا في الجو نتيجة لقوة الانفجارات. ولا ننسى أيضاً ظهور الشمس الحزينة، بنسبة قليلة أو محدودة. إنّ غياب الشمس في بعض الرّسوم يعني أن هناك خللاً في الحياة العائليّة بما في ذلك الطلاق أو سفر الأب أو وفاته.

الأحمر: هذا اللون هو الأكثر حرارة بين الألوان. ويشير الى الليبيدو والإثارة والحب، وكذلك الى الكراهية. ويشير هذا اللون هنا الى الغضب والتوتر والاندفاع والحماس. استعمله الأطفال في أغلب الأحيان لتلوين العلم اللّبناني، والقتلى والجرحى والشهداء الذين ينزفون دماء بشكل نقاط متفرّقة ومتناثرة، للدلالة على مكان الإصابة، وأيضاً استعمل هذا اللون للدلالة على ألسِنة النيران الملتهبة. وهذا يكشف عن الغضب والاضطراب لدى الأطفال.

الأسـود والرّصـاصي: وهـما لـون الكآبـة والعـذاب ويرمـز أيضـاً الى الكبـت وفقـدان الثقـة. اسـتعمله الأطفـال لرسـم الطائـرات والصواريـخ، والقذائـف، والدّمـار والغبـار الـذي يغطـي المنطقـة أو الموقـع الـذي قصـف، والحجـارة المتناثـرة مـن دمـار البيـوت أو الأبنيـة، أو الجسـور والطّرقـات والسـيارات المدنية.....فالسـماء حزينـة وملبّـدة بالغيـوم. إنـه اللّـون الأكـثر

استعمالاً من الأطفال القلقين والخائفين الذين يعانون من آثار الحرب، وهذا اللّون يشير عند هؤلاء الأطفال الى الحزن والإرهاق والألم.

الأزرق: وهو لون السّماء والماء والبحر، استعمله الأطفال في أغلب الأحيان لتلوين البحر والغيوم والسماء والنوافذ المكسورة. وهذا اللّون عند الأطفال يعني الهدوء والتّخفيف من حدّة الخطر القائم، كما يشير الى أنّ خبرات الطفل العسكريّة تبقى متأرجحة بين الواقعيّة والخيال، بحيث لا يمكن لهؤلاء الأطفال أن يدركوا الأبعاد المأساوية للاعتداءات الإسرائيلية. فالطفل هنا يحاول عبر الخيال والحلول الرّمزية أن يوقف الخطر ويعطّل مفعوله، ويضفي جوّاً من الهدوء وكأنّه يبحث بشكل غامض عن الطمأنينة والحماية.

الأخضر: هو لون التّوازن، استعمله الأطفال لتلوين الطائرات الحربيّة الاسرائيليّة والدّبابات، والأسلحة التي يحملها رجال المقاومة أو جنود الجيش اللّبناني، وأرزة لبنان، وبعض الأشجار المقطوعة نتيجة القصف، والعشب أو الحديقة المجاورة للمنزل، وعلم حركة أمل، وعلم المقاومة، وعلم إيران، والبارجة البحرية، وثياب رجال المقاومة. وهذا اللّون يعني عند الأطفال التّعبير عن المشاعر المعتدلة، ويشير الى محاولتهم لتحقيق التّوازن والحماية رغم وجود الاضطراب الذي يحول دون هذه الغاية.

البنيّ: هو أساساً لون الصّد والإحباط وضبط النّفس، يلجأ إليه في أغلب الأحيان الذكور. استعمله الأطفال هنا لتلوين أجزاء من البيت والدرج وسور الحديقة أو المنزل والتراب وجسد الطفل وجذوع الأشجار والتلال والسيارات وثياب رجال الجيش اللّبناني (بني وأخضر) كما تمّ استعماله لتلوين الدبابات والأسلحة الحربية. وهذا يعني بالنسبة للأطفال الوسيلة الدّفاعيّة للسيطرة الرّمزيّة على القلق.

الأصفر: استعمله الأطفال لتلوين الشمس، وعلم حزب الله، وتلوين النيران. وهذا يعني أن الأزمة الحاصلة بسبب القصف ليست حادة أو مستمرة في تأثيرها السيء، والدّليل على ذلك أن الأطفال رسموا علم حزب الله مرفوعاً احتفالاً بعيد النّصر، ومرفرفاً عندما تمّ قصف البارجة في عرض البحر.

نستنتج من كلّ ما تقدّم أنّ المتعة التي يحصل عليها الطفل في الرّسم أو التّعبير الكتابي كانت تُضفي على حياته إحساساً بالإنشراح بعد فقدان الأمل، وذلك لأنه بفضل تفريغ الانفعالات والمخاوف التي كان يعيشها.

وبالنسبة لموضوع دراستنا تبيّن لنا أن الرّسم يحفّز الطفل على التّعبير عن أفكاره وانفعالاته من خلال خبرة الحرب.

وهذا يتوافق مع دراسة قامت بها ليليان شلالا عام 2001 على أطفال الجنوب الذين عاشوا أجواء الحرب وذاقوا رعب المجازر والتّهجير وبالأخص في قانا، وعكست تأثيرات العدوان الإسرائيلي على الأطفال. كشفت هذه الدّراسة أن الطفل الجنوبي يُعاني من القلق والاضطراب لأنّه ترعرع في جوّ الخوف، وقد انعكس ذلك في رسوماته.

أمّا رسوم الأطفال الذين عاشوا في منطقة آمنة مثل البترون، فقد عكست حالة الهدوء والاستقرار، إذ برزت فيها مشاهد الطّبيعة.[1]

لقد بنى الأطفال موضوعات رسوماتهم من خلال تجربة الحرب التي عاشوها أو شاهدوها أو سمعوا عنها، وبكل الأحداث المؤلمة التي يمرّ بها البلد، حيث يختزنها الأطفال في ذاكرتهم. وفي جميع الأحوال، كان التعبير عن القلق بارزاً في رسوم الأطفال.

إنّ خبراء الصّحة النّفسيّة، ومن خلال ما ذكرناه آنفاً في القسم النّظري، يتوقعون أنّ أعمال العنف والإعتداء التي يتعرّض لها الأطفال قد تترك آثاراً سيّئة في سلوكهم، وقد تؤدّي إلى جرح نفسي يُطلق عليه علماء النّفس صدمة الحرب أو اضطراب ما بعد الصّدمة.

ومن المحتمل أن يستمر التأثير السلبي للحرب والأحداث الأمنيّة التي سبقت أو تلت حرب تموز، وبالأخص عندما يدخلون مرحلة المراهقة. وهذه الاضطرابات، التي ظهرت لنا من خلال رسومات الأطفال، قد تتناول العدوانية واضطراب السّلوك

---

1 - ليليان ريمون شلالا، **قلق الحرب في رسوم الأطفال اللّبنانيينن**، ص166.

والميول الإكتئابيّة والقلق وباقي الاتجاهات العُصابيّة مع تدني التحصيل وضعف الترّكيز والشّرود.

وفي دراسة أجرتها ميسا الحسيني 2006، والتي ذكرناها في القسم النظري من هذه الدراسة[*1]، تبيّن «أنّ الأطفال يتعاملون بشكلٍ جيّد مع الواقع وأفضل بكثير ممّا كان متوقّعاً. والقلق الذي ظهر من خلال رسوماتهم كان طبيعيّاً ولم يكن يعكس خطورة في وضعهم النّفسي خاصةً في المرحلة الأولى». وتضيف الباحثة بأنّ معالِم الصّدمة ظهرت عند القليل منهم. وهذا لا يتوافق مع نتائج دراستنا التي قمنا بتنفيذها بعد الحرب بتسعة أشهر. ويبدو أنّ التقنيات المعتمدة في دراسة الباحثة المذكورة لم تكن كافية.

تعقيباً على كل ما تقدّم، كشفت النتائج أنّه إذا أردنا دراسة حالات الأطفال ومعالم اضطراب ما بعد الصّدمة لديهم من خلال الرسم أو غيره من التقنيات، لا بدّ أنّ نقوم بالتّشخيص عقب الصّدمة وبعدها بعدّة أشهر حتى نتحقق من مدى استمرار الآثار السلبيّة للحرب والى أي درجة، ذلك لأنّ تداعيات الصّدمة قد تظهر في مراحل لاحقة. وهذا ما أكّدته دراستنا مقارنةً مع دراسة الباحثة المذكورة، حيث ظهرت آثار الحرب في الأطفال بشكلٍ واضح بعد تسعة أشهر. وهذا ما أكّدته أيضاً دراسة (عدنان الأمين ورفاقه 2008) [2]، التي تناولت الأحوال النّفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد 9 أشهر من انتهاء حرب تموز 2006، والتي أظهرت أنّ هناك 27.7 % تقريباً من أطفال الصف الخامس الأساسي يعانون من صدمة الحرب ومن سوء التّحكّم بسلوكهم ومن عجز في التعبير عن غضبهم بطريقة مضبوطة، وأنّهم يتصرّفون بشكل غير مسؤول.

لقد أوضحت دراستنا أنّه توجد فروقات دالة بين المناطق الثلاث المدروسة من حيث مضمون الرّسومات، وترجع هذه النتيجة الى عوامل عديدة، منها البيئة الديمغرافيّة التي يعيش فيها الأطفال. وعليه فإنّ الدّراسة الحالية قد أجابت عن الفرضيّة الأولى.

1* - راجع ص40 - 44.

2 - عدنان الأمين،**الأحوال النّفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد حرب تموز 2006**، ص 119.

ونستطيع القول أنّ الرّسم أداة مهمّة يمكن أن يستعملها الأطفال للتّعبير عن مشاعرهم ومخاوفهم وهي تقنية في غاية الأهميّة لأنّها تساعد على تفريغ الانفعالات والمخاوف لديهم. كما أنّ التّعبير الكتابي قد يكون أيضاً مفيداً في التعبير عن المشاعر والاتجاهات. لذا، وجدنا من الضّروري أن نطرح هنا موضوع التّعبير الكتابي لنرى كيف عبّر الأطفال عن أنفسهم ومفهومهم للحرب والسّلم.

ثانياً: الفرضيّة الثانية

وتنص على أنّ « هناك فروقات دالّة إحصائيّاً بين الأطفال في ما يتعلّق بآثار مفهوم الحرب والسّلم من خلال تعبيراتهم الكتابيّة».

أ- تفسير نتائج التّعبير الكتابي لمفهوم الحرب وعرض لبعض النماذج

إلى أي مدى عبّر الأطفال عمّا في داخلهم من أفكار ومشاعر بعد توقّف الحرب بتسعة أشهر؟ وهل توجد فروقات دالة بين المناطق من جهة وبين الذكور والإناث من جهة أخرى؟

لقد اعتمدنا في تحليلنا للنتائج على إبراز الناحيتين النّفسيّة والتّربوية، وذلك من خلال اعتماد مقياس خاص (تمّ عرضه في الفصل السابق)، على أساس الأركان الأساسية التي يقوم عليها التّعبير الكتابي من حيث المضمون والشّكل واللّغة. ولكننا نتحدّث هنا عن المضمون النّفسي، بينما نخصّص الحديث عن المستوى اللّغوي والتّحصيل الدّراسي لاحقاً.

1 - مفهوم الحرب

الحـرب بالنسـبة للأطفـال هـي عبـارة عـن «دمـار وهـدم وخـراب وقتـل ومـوت للأطفـال والأبريـاء والمواطنـين، وهـي مجـازر وخسـائر بشريـة كـما حصـل في مجـزرة قانـا الثانيـة ومجـزرة الشـياح، وهـي تـشرّد للأطفـال والنـاس بسـبب التّهجـير والنّـزوح، إنّهـا كارثـة كبـيرة عـلى

الجميع». هكذا ينظر الأطفال الى الحرب.

ومقارنةً بين هذه النتائج، وبعد التحليل الاحصائي، لم نجد فروقات دالة احصائياً، في التّعبيرات الكتابيّة لمفهوم الحرب وذلك لأن الأطفال في جميع المناطق عبروا بحريّة عن مفهوم الحرب وبطريقتهم الخاصة والتي جاءت متشابهة من حيث المصطلحات والمفردات التي استعملوها والتي تدل على أن ذاكرتهم مشحونة بمصطلحات الحرب والسّلاح. لقد أصبحوا يتكلّمون لغة الكبار بعدما دخلت على مفرداتهم ألفاظ جديدة مثل القصف والقذائف والطّائرات....

ومن الدراسات التي تتّفق مع نتائج دراستنا، هو ما لاحظه أطباء جمعية (MEA online) أنه ظهرت تغيّرات سلوكيّة عند الأطفال الذين يعيشون في منطقة الصّراع ويعانون من اضطراب ما بعد الصّدمة حيث أصبحوا أكثر عصبيّة ويتكلّمون لغة الكبار بعدما دخلت على مفرداتهم ألفاظ جديدة مثل الحرب والقصف والقذائف والطّائرات، كما ازدادت معدلات الكوابيس واضطرابات النّوم.

لقد أشار نادر سراج [1] في مقالة له تحدّث فيها عن لغة الشباب في زمن الحرب حين يعجبون بفتاة يتغزلون بها بعبارات مستوحاة من آلة الحرب المدمرة، مثال، «عيونها رادار طيران، أذناها آلات تنصّت، إنها خارقة وجمالها إرهابي، وهي ترد عليه وتقول بأن حديثه قصف عشوائي...». وهذا يشير الى أنّ المصطلحات الحربية قد أصبحت لغة متداولة بين الأطفال والمراهقين.

ويمكن تفسير ذلك بأنّ مصطلحات الحرب عند الأطفال تمثلت بلغة الكبار واستعمال عبارات السياسيين وخطاباتهم والتي لا تمتّ الى عالم الطفولة بصلة. وهذا يدل على متابعتهم لمستجدات الوضع وتأثّرهم بالبيئة التي يعيشون فيها، حيث تعلّموا مفردات جديدة لها علاقة بالحرب.

1 - نادر سراج، **مفردات الشباب بين العادات والمستجدات والشوارد**، ص75.

2 - شعور الأطفال أثناء الحرب

تبيّن أنه توجد فروقات دالة بالنسبة لمتغير المناطق. أما بالنسبة لمتغير الجنس فلا توجد فروقات دالة من حيث التّعرض لأثر الصّدمة (ptsd) كالخوف والقلق والبكاء المتكرر والأحلام المزعجة، والكوابيس أثناء فترة الحرب عند الفئتين الأولى والثانية، بينما بدا الهدوء والدعاء بارزين لدى أطفال الفئة الثالثة لوقف الحرب.

3 - مشاعر الأطفال اليوم

نلاحظ مما تقدّم أن نسبة الخوف كانت متفاوتة بين المناطق الثلاث. وهذا يدل على أنه توجد فروقات دالة بين المناطق. أما بالنسبة لمتغير الجنس، فلا توجد فروقات دالة. وبالمقارنة مع نتائج دراسة عدنان الأمين[1] نلاحظ أنه يوجد توافق مع نتائج دراستنا حيث تبيّن عدم وجود فروق دالة بين الجنسين فيما يتعلّق بالخوف.

كما تبين لنا أن نسبة الفرح بالنّصر بدت متدنية عند أطفال الفئتين الثانية والثالثة، بينما بدت مرتفعة عند أطفال الضّاحية. هذا الفرح مرتبط بالانتصار على العدو فحسب. وهذا يدل على أنه توجد فروقات دالة بين متغير المناطق فيما يتعلّق بنسبة الفرح بالنّصر.

وهذا يفسّر أن جميع الأطفال لا يظهرون ردود فعل واحدة تجاه الحرب، فهذا يتوقف على متغيرات كثيرة بما فيها نوع الحدث والمنطقة والإنتماء الطائفي.

أما بالنسبة لمتغير الجنس، فإنه لا توجد فروقات دالة بين الذكور والإناث.

4 - خاتمة

تبيّن وجود فروقات دالة بين المناطق وذلك بالنسبة لأمنية الأطفال بين الفئات الثلاث وهي أن تتوقف الحروب، أن يعمّ السّلام في كل العالم لدى أطفال الفئتين الثانية والثالثة.

---

1 - عدنان الأمين،**الأحوال النّفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد حرب تموز 2006**، ص 119.

كـما تمنـى هـؤلاء الأطفـال إعـادة إعـمار لبنـان. بالمقابـل هـم يخافـون مـن حـرب جديـدة بنسـبة مرتفعـة، وهـذا مـؤشر عـلى الأثـر النّفـسي السّـلبي لصدمـة الحـرب واسـتمرار الخـوف والقلـق. أمـا بالنسـبة لمفهـوم السـلام، فكانـت أفكارهـم تتمثّـل باتحـاد الأديـان والطوائـف والوحـدة الوطنيـة والتكاتـف الاجتماعـي والحـق في اللعـب. بينـما تمنـى بعـض أطفـال الضاحيـة عـودة الحـرب مـن أجـل الاستشـهاد، حيـث طغـى عـلى تفكيرهـم عقيـدة المقاومـة والاستشـهاد والتـي تتمثـل أيضـاً مـن خـلال العبـارات التـي اسـتعملوها مثـل زوال اسرائيـل، معاقبـة الأعـداء... حيـث تبـين أن أمنيـة السـلام كانـت بعيـدة المنـال عنهـم.

لقد أظهرت نتائج دراستنا أنه لا توجد فروقات دالة بين الأطفال من حيث التّعبير الكتابي لمفهومي الحرب والسّلام، فكل أطفال العيّنة أجابوا عن الأسئلة المتعلقة بالحرب والسّلام وتبيّن لنا استمرار القلق والخوف من عودة الحرب.

ونعرض هنا بعض النماذج المختارة من المناطق المذكورة.

ملاحظة: لقد قمنا بطباعة بعض النصوص (التعبير الكتابي) للأطفال نظراً لرداءة الخط وصعوبة قراءتها، مع الإحتفاظ بالنص كما جاء بدون تصويب.

نماذج حول مفهوم الحرب عند أطفال الضاحية الجنوبيّة وطغيان عقيدة المقاومة والاستشهاد(تعبير كتابي)

أولاً: مفهوم الحرب عند أطفال الضاحية الجنوبية وطغيان عقيدة المقاومة والاستشهاد (تعبير كتابي)

الطفلة منى

الحرب: استيقظت صباحاً على أصوات نارية إبتهاجاً بالنّصر العظيم إذ تمّ أسر جنديان الإسرائيلين على يد المقاومة الإسلامية. خرجت إلى الشارع وكانت الناس مبتهجةً بالنصر العظيم للمقاومة الإسلامية ومر النهار وفي آخر الليل استيقظت الناس على أصوات طائرة الحربية المعادية تقصف مطار بيروت الدولي وجسر المطار وتقطع جميع الطرق من الجنوب الى بيروت وطائرة الحربية تقصف القرى اللبنانية وتدمّرها والبارجات على جميع الشواطئ اللبنانية البارجة الجبانة تقثف الضاحية وما لبثوا أبطال المقاومة أن أغرقوها.

شعورك خلال فترة الحرب: كان شعوري خلال فترة الحرب يأس ولوعة على مجزرة قانا ومجزرة الشيّاح وكنت أشعر بالفخر والإعتزاز كلما سمعت على الأخبار أن المقاومة تصد الأعداء على جميع الجبهات وتنتصر عليها في كل المواقع والجبهات وتحقق النصر العظيم.

وبقينا صامدين ثلاثة وثلاثين يوماً وكنّا في مناطق آمنة من الضاحية والجنوب والبقاع في الحرب مدَّ العدو ثلاثة وثلاثين يوماً الإعتداء على الناس والممتلكات والمصانع والجسور والكهرباء والماء ولم يبقى شيء إلا ما قصفته، وجن جنون العدو من صمود المقاومة والسيد حسن نصر الله والناس ولكن في الآخر هدأ الوضع مع المفاوضات مع الحكومة اللبنانية وفي اليوم التالي الساعة السادسة إتفقوا على وقف اطلاق النار وغادروا جميع اللبنانيين إلى مناطقهم في نفس اليوم وإلى الضاحية رغم الدمار وذهب أهل الجنوب الى الدمار ولم يتركوا أرضهم .

شعورك اليوم: شعوري كان عظيم ورائع بالنصر الذي حققته المقاومة الإسلامية والسيد حسن نصر الله وأحسست بالحزن على رفيقي حسين محسن ألذى توفي مجزرة الشياح قبيلة مدرستنا وأيضاً على مجزرة قانا وعلى الأطفال والنساء والرجال والشيوخ الذين ماتوا في هذه المجزرة الشنيعة

خاتمة: وشعوري عظيم اليوم لأن المقاومة استطاعت أن تهد العدو وتزرع الرعب في قلوبهم من أعلام حزب الله على الشريط الحدودية فكيف من رجل المقاومة الأبطال وهذا فخر عظيم لنا وللأمة العربية وأحسست بالفخر للأننا إنتصرنا على العدو وهذا رائع.

بقيت منى في منطقة الشيّاح خلال فترة الحرب وهي قلقة وخائفة وحزينة على الأطفال الأبرياء الذين سقطوا في مجزرتي قانا والشيّاح ومنهم رفيقها. أمّا اليوم فهي سعيدة بالنصر الذي حققه رجال المقاومة وهي تشعر بالفخر والعزّة.

الطفل محمد

الحرب: تعني لي الإنتصار الّذي حققّته المقاومة الإسلامية وأن المقاومة تغلبت على أقوى جيش هو الجيش الإسرائيلي. فلبنان البلد الصغير تغلّب على دولة عظيمة تزعمها دولة أكبر وهي أميريكا. الحرب ليست لعبة كما فكروا.

شعورك خلال فترة الحرب: خلال الحرب كان شعوري ضائع بين الدّمار والمجازر والناس الأبرياء الذين استشهدوا وتأذّوا أحسست بأنّ شيئاً دخل قلبي وحطّمة من شدّة الحزن. هناك صديق لن أنساه اسمه حسين محسن استشهد في مجزرة الشيّاح فحزنت وبكيت عليه فإني لم أنس مجزرة قانا الثانية التي استشهد فيها الكثير من الأطفال الأبرياء والرّجال والنّساء ومجزرة الشيّاح التي ماتت فيها رضيعة عمرها يوم واسمها وعد. ولن أنسى وجه أختي الصغرى عندما رأت صديقها في المدرسة مصابة. لم أشعر بالخوف لأنّ رجال الله كانوا يقصفون حيفا وتل أبيب بصواريخ رعد ووعد وخيبر، وفجر أحسست أنا سننتصر على اسرائيل وهذا ما حصل.

شعورك اليوم: أمّا شعوري اليوم هو : أنه مهما مرّت السنين والأيام لن أنسى الحرب وسوف دائماً أتذكّرها وأتذكّر الشهداء، وخاصةً «حسين محسن»، وكيف هاجرنا وذهبنا من منطقة إلى أخرى وتشرّدنا، لن أنسى حرب تموز ولن أنسى الإنتصار.

خاتمة: في النهاية فرحت عندما انتصرنا على اسرائيل وعلى أولمرت وبيرتس وبوش ورايس وأقول لهم لقد سمّي الجيش الإسرائيلي الجيش المهزوم.

محمد الذي يسكن في منطقة الشيّاح والذي تأثّر أيضاً باستشهاد صديقه حسين محسن، تعني له الحرب أنها الإنتصار على العدو الإسرائيلي الذي تغلّب عليه هذا البلد الصغير. كان خلال فترة الحرب حزيناً جداً على شهداء مجزرتي قانا الثانية والشياح من أطفال

ورجـال ونسـاء. لكنـه لا يشـعر بالخـوف الآن لأنّ رجـال اللـه (حسـب قولـه) كانـوا يقصفـون حيفـا وتـل أبيـب بصواريـخ رعـد وخيـبر. ولهـذا السـبب هـو اليـوم يشـعر بالفـرح بالإنتصـار عـلى أولمـرت وبـوش ورايـس والجيـش الإسرائيـلي المهـزوم. وهـذا يـدلّ عـلى مـدى تأثـر هـؤلاء الأطفـال بالإعـلام والبيئـة التـي يعيشـون فيهـا.

الطفل حسن

الحرب: هي عبارة عن محاربة بلدين أو منطقتين أو حزبين تتم بالقصف والتدمير وتلحق الأذى والموت لأهلها.

شعورك خلال فترة الحرب: لقد كنت أتمثل بشجاعتي خلال هذه الفترة ولقد كنت مستريحاً نفسياً لأنني كنت متأكد من إنتصار الحق والمقاومة، ولقد تمنيت الشهادة في هذه الحرب لنكون مضياً باسم بلدي وأعترف أن يمكنفي أوقات مرّ بي الذعر لكن ليس على شهادتي بل عن هؤلاء الأطفال والنساء المظلومين وحاولت عدة مرات إمساك نفسي وقد تمت المحاولة بنجاح خلال فترة الحرب وإني أنقذ هؤلاء الذين توفيوا نفسياً من وراء الحرب فهذا يبيّن عدم إيمانهم بالإنتصار وبقدرة الله تعالى ومع كل ذلك كنت سعيداً بالحرب لأنها ليست إلا لعبة لعبتها أنا وأقاربي وأبناء بلدي ولقد نجحنا فيها لكن للأسف أها لا تعاد مرة ثانية.

شعورك اليوم: أشعر اليوم يتبدّل البلد وإنني مستريح البال من العدوان الإسرائيلي وإنني قلق على أحوال لبنان بسبب مجموعة من الناس أرادت اللحاق بالحرب الأهلية في لبنان لكنني سعيد لأن حلمهم لن يتحقق وأشعر بالتعاون والتواصل بسبب وإني أتمنى وحدة اللبنانيين جميعهم لكي تتمكن بردع العدو.

«حسن نصر الله»

خاتمة: أشكر سماحة السيد الإنتصار والعالم وأقدم له أجمل التحيات وكما وعد ووفي بوعده فإنني أعد بالإنضمام الى المجاهدين ومن كل قلبي سأفي بهذا الوعد لأجل لبنان والمقاومة الإسلامية.

حسن، الذي يسكن في منطقة البرج، يشكر السيد حسن على هذا النصر الذي حققه وهو يرغب في الإنضمام الى حزبه ليكون من المجاهدين، كما أنه لم يشعر بالخوف بل كان ينتظر الموت ليكون واحداً من قافلة الشهداء. أما الحرب بالنسبة له فهي عبارة عن (جبهة) بين بلدين أو أكثر تتمّ بالقصف والتّدمير وتؤدي الى الأذى والموت. وهنا نستنتج أنّ أغلب أطفال الضاحية الجنوبية تطغى على رؤوسهم عقيدة المقاومة والاستشهاد.

نماذج حول مفهوم الحرب عند أطفال بيروت الغربيّة (تعبير كتابي)

الطفل محمود

الحرب: هي قتال بين دولتين أو أكثر، أو مجموعات متنافسة داخل
دولة واحدة. خاض الناس الحرب منذ القدم، وكانت تؤثر
على فئات كثيرة من الشعوب، ولكنها تورّط دائماً دولاً بكاملها.

شعورك خلال فترة الحرب: خلال فترة الحرب، أرتعش من الخوف كثيراً على مصير
البلد. أشعر بالحزن والأسى تجاه الناس التي تهاجر وخاصةً
الشباب المثقف الذي يبحث عن السلام والأمن لتأمين مستقبله.
كذلك، فإن الحروب تكاد تشكل الكارثة الكبرى والتي يدفع ثمنها الشعب
الفقير. وتأثير هذه الحروب على الدول فتكون بالخسائر المالية والاقتصادية
والعمرانية. تستعمل فيها العديد من الأسلحة الفتاكة والقنابل المتفجرة
والصواريخ العابرة للقارات، فتؤدي إلى خسائر بشرية وتهدم بيوتنا
ولا تسمح لنا بالتمتع خارج منازلنا. وأضف إلى ذلك، الأسلحة
الكيميائية والنووية، كما تؤدي إلى تحطيم البنى التحتية للبلد.
كما في الحرب وفقدان الطاقة الكهربائية وانعدام
الاتصالات.

شعورك اليوم: أما شعوري اليوم، فهو القلق والطمأنينة في نفس الوقت.
أحس بالقلق على استمرار الحياة والاستقلال إلى الأبد أو لا، وبالطمأنينة
توقف الحرب التي أخذت تاريخها في ١٣/٧/٢٠٠٦، وإعادة إعمار
الوطن من جديد. وهكذا فإن الحرب تتأثر بها ثروات البلاد وتدمر
الجيل الصاعد وتكبت الحريات وتسيطر على الممتلكات.

خاتمة: أشعر بالسلام، ومن هنا يأتي دور الجيش في حماية البلد من أي
اعتداء وتوجيه البنادق إلى العدو وليس إلى أبناء الوطن الواحد. وكذلك
فإن التربية الوطنية الصالحة هي أقوى سلاح نملكه للدفاع عن وطننا لبنان".

محمـود، الطفـل الـذي يسـكن في منطقـة المزرعـة، كان خـلال فـترة الحـرب يرتعـش خوفـاً عـلى مصـير البلـد، ويشـعر بالحـزن عـلى النـاس الذيـن هربـوا تحـت القصـف وعـلى الشـباب

المثقف الذي يبحث عن السلام والأمن. فالحرب بالنسبة له لا تؤدي فقط الى خسائر مادية وتدمير البنى التحتيّة بل إنّها تؤثر في خيرات البلد وتدمّر ثقافة الجيل الصاعد وتكبت الحريات وتسيطر على الممتلكات. ولهذه الأسباب هو يريد السلام ويقول بأنّ التربية الوطنية الصالحة هي أقوى سلاح نملكه للدفاع عن وطننا لبنان.

الطفلة سلوى

الحرب: ويل وشقاء وخراب ودمار وموت وفناء وما الحرب إلا دماء تسيل، أرواح تموت، نساء تترمّل، أطفال تتيتّم، بنايات تحترق، غابات تباد، أرض تعطل، معامل تهدّم على رؤوس عمّالها.

شعورك خلال فترة الحرب: خلال فترة الحرب، شعرت بالكآبة والخوف من الموت، والفقر، الجوع، من المرض، التشرّد، الضياع بعدما كنت أحلم بقضاء عطلة الصّيف في بيتنا الجديد الذي لم يقضِ على اتمام بنائه أسبوعين من وقوع الحرب وبيتي في منطقة من الجنوب تدعى صربا(اقليم التفاح). كنت مسروراً جداً وفجأةً إنقلب كلّ شيء قصف، صواريخ، طيرانتحلّق في الجو، بقينا فترة على هذه الحالة بانتظار أبي أن يأتي من بيروتليأخذني أنا وأمي وإخوتي فكانت فترة عصيبة لا يمكن أن أنساها طوال حياتي.

شعورك اليوم: ما زلت اليوم أشعر بالخوف، لأننا لم ننته بعد كلّ شيء في البلد ينذر بالحرب الكلّ يغني على ليلاه والضمير مات واللصوصيّة كثرت، بروح الجريمة تفشت وقانون الأخلاق غائب، نحن البشر التي نبتلي بالحروب نتحمّل الشقاء وغيبوبة الرّحمة وضياع المحبة والبعد عن وجه الله. كل هذه الويلات أسمعها وأشاهدها كلّ يوم على شاشة التلفاز فكيف لي أنا لا أخاف؟

خاتمة: وفي النهاية أناشد الحكّام في بلادي وأقول لهم: خُلِقَ الإنسان للخير والعطاء وهو يهفو ليحيا كريماً شريفاً ويصبر ليعيش سعيداً ويعمل لينعم بخير الله وبرّه، فأتقوا الله! رحمة بنا فالحرب خلاصة الشر فتجنّبوا ويلاتها.

إنّ الحرب بالنسبة الى سلوى التي تعيش في منطقة المزرعة تعني لها الويل والخراب والشقاء. وقد شعرت بالكآبة والخوف من الموت خلال فترة الحرب وخاصة عندما كانت تشاهد ما خلّفته الحرب على شاشة التلفاز. فهي اليوم تناشد الحكام وتقول لهم أن الإنسان خلق للخير والعطاء فهو يعمل ليعيش سعيداً وكريماً ولينعم بخير الله، فاتّقوا الله رحمة بنا لأنّ الحرب هي خلاصة الشرّ، فتجنبوا ويلاتها. وهنا نستنتج أنّ مفهوم الحرب عند مفهوم أطفال المنطقة الغربية يختلف عن أطفال الضاحية الجنوبية من حيث العقيدة والاتجاهات.

الطفلة ريما

الحرب: هي الدّمار والهلع وتخريب البناء وتخريب الوطن ومستقبل الشّباب،
كذلك تدمير الإنسان ومعنوياته ومستقبله وفقدان لقمة العيش الذي يكسبها من
عمله الشّاق والمرهق يوميًّا. ليس فقط هذا بل الهدف منها تحطيم القلوب......

شعورك خلال فترة الحرب: كان شعوري خلال الحرب الخوف والإضطراب ليس على نفسي
بل على أهلي وأقاربي. كنت كلّما أسمع صوت قذيفة أركض إلى حضن أمّي
المليء بالحنان والعطف... حضّرت أغراضنا للهرب ولم أنسَ الهاتف الذي
لم يتوقف رنّه في كلّ دقيقة وثانية فالأصحاب الخائفين قدموا ووقفوا إلى
جانبنا... هم قلقون علينا وأنا قلقة على أبي العسكريّ الذي يحارب ويجاهد
من أجل الوطن. كنت أصلّي كلّ حين لكي يشفق الله على الأطفال الأبرياء......
والنّاس وأن يحمي أبي. كذلك جدّتي التي لم تستطع النزول إلى مكان آمن.
وكان السؤال المطروح دائمًا من قبل الأصحاب والأقارب كيف يجلسون في
الشّياح وتساقط الصّواريخ على الطّريق العام؟ لكن لم نجاوب لأنّ هذا
هو الحلّ الأنسب فنحن نؤمن بالله أنّه لم يتخلّى عنّا. وكلّما شاهدت على التلفاز
الأطفال الخائفين وشباب الإسعاف وهم ينقلون الجرحى يغالبني شعور القلق...

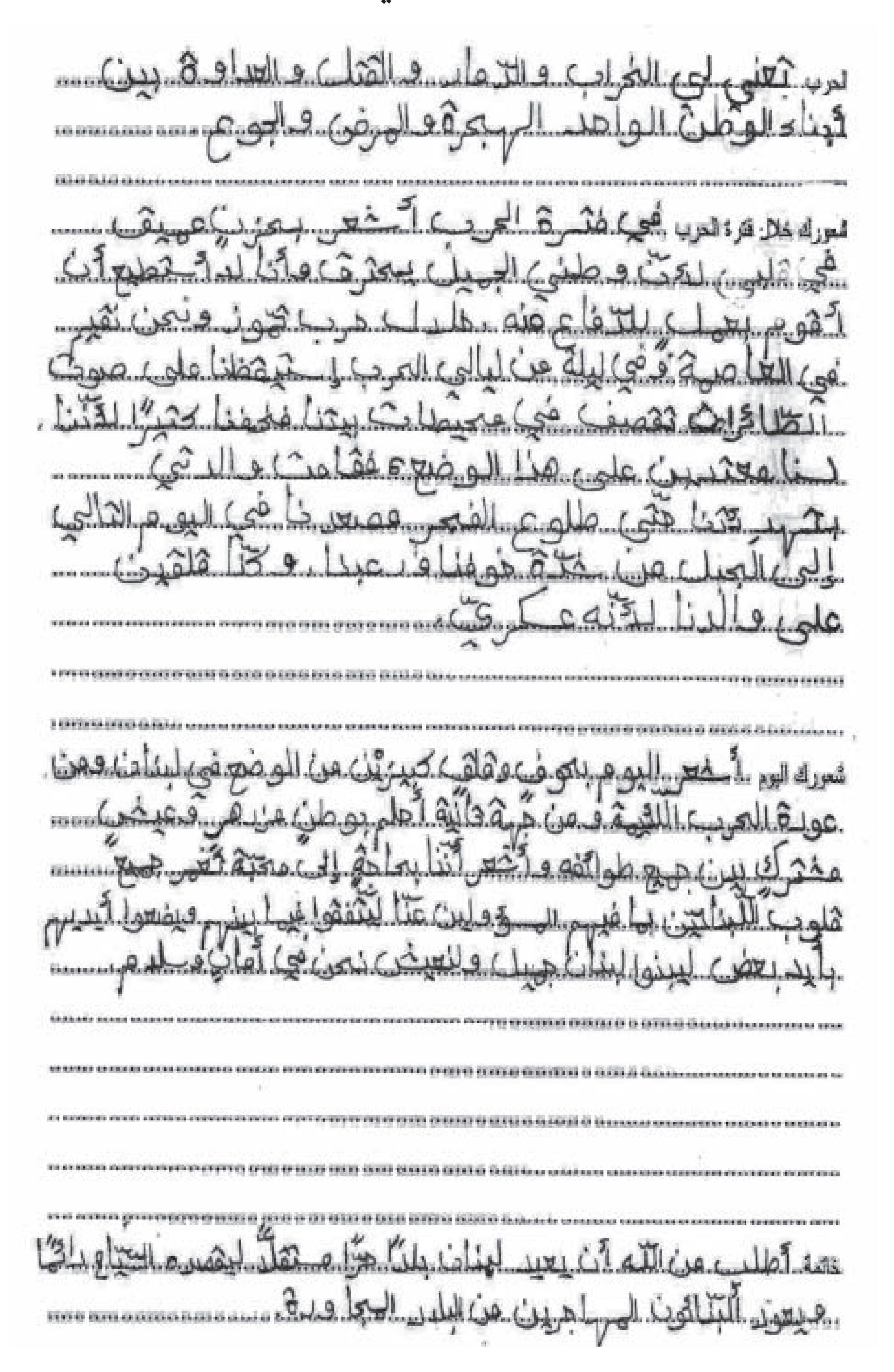
شعورك اليوم: أنا متفائلة، أريد الأمان والإستقرار كما أريد العيش إلى جانب أسرتي...
لا أريد الحرب. أريد أن أبني مستقبلي وأن أعيش عيشًا كريمًا. لا أريد الجوع
والخوف والفقر. لكن أريد وطنًا حرًّا سيّدًا مستقلًّا لا أحد يحكمه ويسيطر على
أرضه ويسرق مياهه وخيراته. أريد أن أبقى في لبنان. وأريد أن أتعلّم
وأن أكون عنصرًا مهمًّا في المجتمع. أحبّ الشّجاعة والبطولة لكن لا أحبّ الموت...
والقتل والكذب. أريد العدالة والطمأنينة الحقيقيّة لأفكّر بمستقبلي وبما
يحلّ بي وبعائلتي... واليوم إذا جاءت الحرب لن أعارض لن أرفض و
لن أستسلم لأعداء الوطن. لن أهاجر لن أغادر مدينتي وبيتي ومكاني وأترك
حقّي...

الوطن

خاتمة: شعوري اليوم أمان واستقرار المهم أنّنا عدنا إلى الحياة الطبيعيّة، عاد العمل و
البناء للمستقبل المصمّم والتّكلم يجب أن نحبّ بعضنا وأن نتوحّد وأن نكون
يدًا واحدة كما أوصى ربّنا يسوع المسيح.

الحرب بالنسبة لريما، التي تسكن في منطقة الأشرفيّة، تعني تخريب الوطن وتدمير البناء ومستقبل الشباب وتحطيم القلوب. كانت خائفة خلال الحرب على أهلها وأقاربها أكثر من نفسها، وعلى الأطفال الشهداء الذين رأتهم على التلفاز أثناء متابعتها للأحداث. أمّا اليوم فهي متفائلة وتشعر بالأمان والاستقرار وتطلب من اللّبنانيين أن يتوحّدوا ويكونوا يداً واحدة كما أوصى المسيح.

الطفل طوني



الحرب: تعني لي الخراب والدمار والقتل والعداوة بين أبناء الوطن الواحد. الهجرة والمرض والجوع

شعورك خلال فترة الحرب: في فترة الحرب أشعر بحزن عميق في قلبي لأن وطني الجميل يحترق وأنا لا أستطيع أن أقوم بعمل للدفاع عنه. خلال حرب تموز ونحن نقيم في العاصمة، في ليلة من ليالي الحرب استيقظنا على صوت الطائرات تقصف في محيطات بيتنا فخفنا كثيرًا لأننا لسنا معتادين على هذا الوضع فقامت والدتي بحضننا حتى طلوع الفجر فصعدنا في اليوم التالي إلى الجبل من شدة خوفنا في عبدا، وكنا قلقين على والدنا لأنه عسكري.

شعورك اليوم: أشعر اليوم بخوف وقلق كبيرين من الوضع في لبنان ومن عودة الحرب الأهلية ومن جهة ثانية أحلم بوطن مزدهر وعيش مشترك بين جميع طوائفه وأشعر أننا بحاجة إلى محبة تغمر جميع قلوب اللبنانيين بما فيهم السياسيين وليت عنا لتفقوا فيما بينهم ويضعوا أيديهم بأيدي بعض ليبنوا لبنان جميل ولنعيش نحن في أمان وسلام.

خاتمة: أطلب من الله أن يعيد لبنان بلدًا حرًّا مستقلًّا ليفرح الشعب دائمًا ويعود اللبنانيون المهاجرون من البلدان إليه ودعة.

طوني، الذي يسكن في الحمراء في منطقة بيروت، يصف الحرب بالخراب والدمار والقتل والعداوة بين أبناء الوطن الواحد والهجرة والمرض والجوع. خلال فترة الحرب كان يشعر بحزنٍ عميق لما حلّ بوطنه حتى اليوم. لذا فهو يطلب من الله أن يعيد لبنان حرّاً مستقلاً.

نستنتج مّما تقدّم أن تقنيّة التّعبير الكتابي قد ساهمت في إبراز حالة الخوف والقلق بسبب الحرب، والتي ظهرت في مقدمة التّعبير الكتابي، وأنه لا توجد فروقات دالة بين الذكور والإناث من حيث تعريف مفهوم الحرب. فالمصطلحات كانت متشابهة.

أما بالنسبة لصلب الموضوع، فقد عبّر الأطفال عن مشاعرهم خلال الحرب وبعدها، حيث تبيّن أنه توجد فروقات دالة بين المناطق من حيث نتائج الحرب التي خلّفها العدوان الاسرائيلي، بينما لا توجد فروقات دالة بين الذكور والإناث، وذلك لأن الخوف مازال موجوداً في داخلهم.

أما بالنسبة للخاتمة، والتي هي عبارة عن أمنية الأطفال تجاه الفترة الأليمة التي عاشوها، فقد تبين أنه توجد فروقات دالة بين المناطق، ولا توجد فروقات دالة بين الذكور والإناث لأن استمرار الخوف من تكرار الحرب أو من حرب جديدة ما زال موجوداً في داخلهم. لذلك جاءت نسبة أمنية السّلام مرتفعة لديهم (61 %).

ومن الدّراسات التي لا تتّفق ودراستنا، دراسة (Thabet & Vostanis لعام 1999، والتي أشرنا اليها في القسم النّظري) حيث أنّ بعض الأطفال والمراهقين الذين عاشوا ظروف الحرب القاسية لمدّة طويلة وبصورة متكرّرة بشكل عنف وعدم استقرار، كما هي الحال في الجنوب اللّبناني أو في فلسطين المحتلّة – قد يُظهرون تأقلُماً مع وضعهم الجديد بحيث لا تبدو عليهم علامات الاضطراب. وبالمقابل تشير تقارير منظمة الصحة العالميّة أنّ 50 % من الأطفال الفلسطينيين يعانون من اضطراب ما بعد الصّدمة (تقرير WHO لعام 2002). وهذا ما يتّفق مع نتائج دراستنا.

نستنتج مما تقدّم أنّ تقنية التّعبير الكتابي عن الحرب أعطت الطفل فرصة للتّعبير بأسلوبه

الخاص عمّا شاهده وعاشه وألِفه أو لم يألفه، ما جعله ينطلق في التعبير عمّا يعتلج في صدره من أفكار ومشاعر ومخاوف.

ب- تفسير نتائج التعبير الكتابي للسّلام وعرض لبعض النماذج

بعدما استعرضنا نتائج دراستنا من خلال الرّسم الحر والتّعبير الكتابي لمفهوم الحرب، وما أظهرته من انعكاسات نفسيّة تمثّلت بالخوف والقلق من عودة الحرب.

وبعد أن رأينا نظرة الأطفال الى الحرب أكان ذلك في موضوعات الرّسم الحر ومضامينها أو في التّعبير الكتابي، نطرح الآن مفهوم السّلام عند الأطفال، وما إذا كانت هناك فروقات دالة بين الذكور والإناث.

ركزت دراستنا حتى الآن على انعكاسات حرب تموز، لكننا أغفلنا فكرة «الأمل» التي وجدناها عند الأطفال، إذ كانت أمنيتهم هي السّلام وكانت النسبة مرتفعة حتى بعد توقّف الحرب وعودة الهدوء، لذا من المهم أن نعرف كيف ينظر الأطفال الى السّلام؟

اعتمدنا في تحليلنا للتّعبير الكتابي عن السّلام الطريقة نفسها التي اعتمدناها سابقاً في التّعبير الكتابي عن الحرب، من حيث تحليل المضمون والشّكل. فكيف جاء مفهوم السّلام؟

1 - مفهوم السّلام

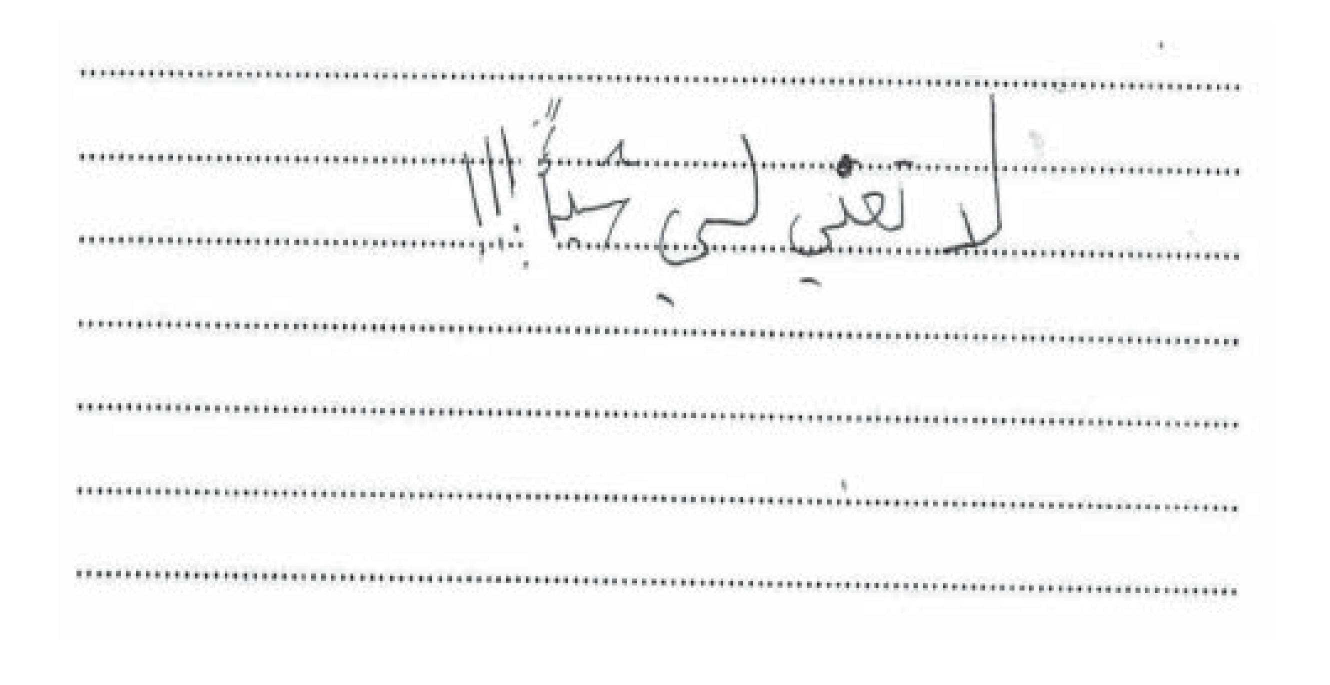
أظهرت النتائج التي توصلنا إليها أنّ أُمنية السّلام في جميع المناطق المدروسة بلغت نسبة مرتفعة ووصلت الى 61 %. لقد كان تعريف الأطفال للسّلام بسيطاً وواضحاً وفقيراً عند أطفال الفئة الأولى حيث كانت اجاباتهم محدودة ومنهم من رفض التّعبير عن مفهوم السّلام الذي لا يعني لهم شيئاً. وهذا ما يشير الى أنّ أطفال الضاحية يعيشون في جوّ الحرب، وتطغى على رؤوسهم ثقافة المقاومة. لذا كان من الصّعب عليهم أن يحدّدوا مفهوم السلام وكأن هذا السّلام أمنية بعيدة المنال.

لقد ذكر بعض الأطفال بأنّه يجب إبعاد الصّغار عن مناطق الخطر والألغام والمتفجرات.

المفهوم الذي يعيه طفل الضاحية حول السّلام هو وقف القصف وعدم إطلاق القذائف والصّواريخ على الناس وترك الأطفال يلعبون بأمان وبدون خوف...

نماذج حول مفهوم السّلام عند أطفال الضاحية الجنوبيّة (تعبير كتابي)

الطفل علي



علي، الذي يسكن في برج البراجنة، في منطقة الضاحية الجنوبيّة، أفاد أنّ السّلام في لبنان لا يعني له شيئاً، وهذا يدلّ على أنّ صدمة الحرب ما زالت تؤثر فيه نفسياً وتربوياً، فهو لا يهتمّ كثيراً بدراسته. فتحصيله الدّراسي متدنٍ جداً والسبب يعود في ذلك الى أنه عاش الفترة الأولى من الحرب في منطقته وبعد ذلك تهجّر مع عائلته حيث أقاموا في إحدى مدارس بيروت الى أن انتهت الحرب. وعندما عادوا الى منطقتهم وجدوا أنّ منزلهم قد تضرّر.

الطفلة زينب

السلام هو منتهى الأمانة الذي يريده المرء في حياته وفي بلده. لينعم

بحياة كريمة خالية من الحروب والمصائب على الشعوب. فليت السلام

يعم بلادنا ويكون سلام عادي لنا.

السلام أيضا هو إبعاد الأطفال عن الأماكن الخطرة التي يوجد بها متفجرات و

ألغام. أتمنى أن يبقى السلام في بلدنا وفي البلاد الأخرى.

وبالنسبة الى زينب، التي تسكن في حارة حريك، السلام هو أمنية وتأمل أن يتحقق لينعم البلد بحياة جميلة خالية من الألغام والمتفجرات وإبعاد الصّغار عن مناطق الخطر. وهذا يعني أنها ما زالت خائفة من خطر تكرار الحرب لأنها تأثرت بها.

الطفل مصطفى

السلام ضد الحرب والحرية والانتصار على الأعداء وعدم

رمي القذائف والصواريخ والقنابل المحرمة دولياً.

السلام عند مصطفى، الذي يسكن في الشيّاح، هو ضد الحرب وعدم رمي القذائف والصواريخ والقنابل الممنوعة دوليّاً. فأين شرعة حقوق الطفل التي تحمي هؤلاء الأطفال من تلك الأحداث؟ وأين الرّقابة الإعلامية التي تمنع عرض مشاهد الحرب على شاشات التلفاز أمام الأطفال؟

الطفلة زهراء

السلام هو الحب والحنان، أن لا يفتقدون الحرب، أن يعيش في قلوب الناس الطمأنينة،
أن يعيشون حياة جميلة، هو أن لا يقتلوا الأطفال بل أن يحبوا الأطفال ويأمنوا لهم
كل شيء يريدونه أن يلعبوا بأمان ويعيشون بأمان واطمئنان، أن يتركوا الحدائق و
البساتين كلها بأمان، ويتركوا الأشجار لا أريد أن يقطعوهم ويقال الاذى ولا تقطعوا
بل لا يقال لا تقطع ولا تزرع، أريد أن يتركوا الورود كلها لا يقطفونها لأنها تعطي
رائحة جميلة ولا يلوث الهواء لأنها تؤدي إلى أمراض عديدة عند الإنسان.

زهراء، التي تسكن في حارة حريك، يعني لها السلام الأمان الذي تبحث عنه والحب والحنان الذي لم تجده عند هؤلاء المسؤولين بسبب قتل الأطفال الأبرياء. فهي تناشدهم بحق الطفولة أن يزرعوا في قلوب الأطفال الإطمئنان والأمان ليلعبوا بسلام.

في المقابل، كانت إجابات أطفال الفئة الثانية والفئة الثالثة طويلة ومرفقة بشروحات وتفسيرات وأمثلة واقعية، إذ تقاربت أفكارهم في التّعبير عن فكرة السّلام، فمزجوا بين أفكار السّلام واتحاد الأديان والطوائف والوحدة الوطنية، وهذه هي أكثر الأشياء التي عبّروا عنها.

نماذج حول مفهوم السّلام عند أطفال بيروت الغربيّة (تعبير كتابي)

الطفل شادي

السلام هو كل واحد يريد العيش بوطنه بسلام وبأن يدافع عن بلده ولا يقترب أحد الى المشاكل. المفروض من السياسيين أن لا يتدخّلوا فينا بل يتشاجرون مع بعضهم وليس معنا لكي ندافع عنهم. كل واحد بشأنه وشغله ودراسته وليس النزول الى الشارع وتوقيف ممتلكات الآخرين بل التفاوض. أنا أريد أن نكون لبعضنا البعض ولا تتدخل بالسياسة والحرب في لبنان.

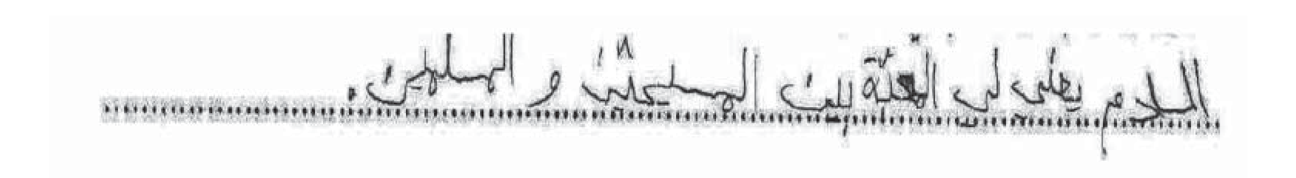
شادي، الذي يسكن في رأس النبع، قد عبّر عن السلام بأنّه الدفاع عن البلد بأسلوب حضاري وأن يعالج السياسيون مشاكلهم بين بعضهم من دون توريط الشعب بها. والسلام أيضاً هو عدم النزول الى الشارع وتكسير ممتلكات الآخرين بل التفاوض بمحبة وإلفة، نظراً لما عاشه أبناء تلك المنطقة من مشاكل وشغب.... بسبب الحروب الداخلية التي حدثت بعد اغتيال الرئيس الحريري وصولاً الى 7 أيار والثلاثاء الأسود حتى تاريخ اجراء العمل الميداني.

الطفل حسام

السلام تعني لي الطمأنينة والراحة والشعور والأحاسيس في بلدنا وأهالي بلدنا
ووطننا هذا الوطن والشعب اللبناني يريد أن أبناءه يكون بسلام وطمأنينة
على بلدهم وهو أن يكون بسلام ووطنه بسلام وإذا كان الأبناء يحبون السلام
في بلدهم يكون البلد بسلام وكثير الذي مشاكل يجب أن نحب وطننا الوطن
ونحب وطننا وشعبنا وأهالينا وأحبائنا نبقى يداً واحداً في هذا البلد وشعبه
ووطنه وحياته ومستقبله وعليه أن يكون بسلام ومحبة والإلفة

السّلام بالنسبة الى حسام هو الشعور بالإطمئنان والأمان بين أبناء الشعب في بلد واحد. ويتحقق السلام إذا كان الشعب يداً واحدة.

الطفل أحمد


السلام يعني لي المحبة بين المسيحيين والمسلمين.

أحمد، الذي يسكن في منطقة المزرعة، اختصر فكرة السلام بعبارة تحمل الكثير من المعاني الوطنية والدينية من أجل الوحدة الوطنية الحقيقية في البلد، وهي «المحبة بين المسيحيين والمسلمين».

نماذج حول مفهوم السّلام عند أطفال بيروت الشرقية (تعبير كتابي)

الطفل جورج

السلام يبعث الطمأنينة بين العالم أجمع على أن يكون محور تفاهم بين البشر

(نقاوة في القلوب ومحبة وتسامح) بين بني الإنسان ونعيش بأمان وراحة بال.

هو التسامح والعيش بدون غش وإحترام وصداقة هي التي تبني السلام.

يجب أن نضحي للغير ونمد يد العون عند الحاجة. لولا السلام على الأرض كان الشر

ينتشر بين الشعوب. والمطلوب أن تصلوا وتتوبوا لله وأن تتبعوا الوصايا

العشرة.

جورج، يسكن في بدارو، يعتبر أنّ السلام هو محور التفاهم بين البشر ويبعث الطمأنينة في القلوب. فتوبوا الى الله وصلوا واتّبعوا الوصايا العشر وعودوا الى صوابكم لعلّ السلام ينتشر بين كافة الشعوب.

الطفلة سارة

يتكون السلام أو يحصل السلام من خلال محبة الناس بعضهم لبعض وتعاونهم
لتكوين مجتمع خيّر سليم، ودون مشاكل، وهكذا يحصل السلام ودون
حروب بين البشر، ودون عداوة بينهم وبلا مشاكل. ومن
السلام هو المحبة والعطاء والمسامحة والغفران والتعاون والمشاركة
مع بعضنا البعض وفي العالم وعدم التمييز بين البشر، أي المساواة
والعدالة بين جميع المواطنين في العالم لذلك [illegible]
فيجب علينا نحن البشر أن نحب بعضنا بعضاً ونحترم بعضنا بعضاً
ونبتعد عن الحروب ونعطي المحتاجين لنعيش السلام الداخلي والسلام
العالمي. ويجب علينا البدء بالسلام الداخلي الذي يتكون من خلال
الصلاة والثقة بالله والمحبة والإيمان الكبير، ونعلّم غيرنا هذا السلام لكي يحصل السلام
العالمي.

سارة، التي تسكن في فرن الشباك، تعتبر أنّ السلام يتحقق من خلال محبة الناس لبعضهم البعض لتكوين مجتمع خيّر وسليم، فالسلام ليس مستحيلاً إذا اعتمدنا مبدأ التسامح والعطاء والتعاون والغفران والصلاة.

الطفلة كارول

* عبارة السّلام تعني لي كلّ شيء. السّلام في هذا البلد لبناننا الحبيب بأن
نبعد الحزن في عيون الأطفال الكآبة على جباه الرّجال ومناديل
الأمّهات وسواد الطّرحات وأنين الجرحى ونبع الدّماء والخطف
والقتل وكلّ غضب البواريد وعرس الرّصاص لأجل صانعي السّلام
أعطونا السّلام في هذا البلد وعزّزوا في قلوب بنيها إيمان الأبد
وابعدوا الضّلال والنفاق ولا تسمحوا بأن يفقد لبناننا مصدر قوّته
ومنشأ جماله. أعطونا الطّفولة، أعطونا السّلام.

السلام بالنسبة لكارول، التي تسكن في منطقة فرن الشباك، هو إبعاد الحزن والكآبة من عيون الأطفال وجباه الرّجال ومناديل الأمهات وسواد الطرحات وأنين الجرحى ونبع الدّماء والخطف والقتل. ويتحقق السلام عند إيقاف غضب البواريد (البنادق)، والأسلحة وعرس الرصاص. فهي تناشد الحكام وصانعي السلام أن يعطونا السلام ويعززوه في قلوبنا بالإيمان والتسامح كي لا يفقد لبنان قوّته وجماله، فأعطونا الطفولة واعطونا السلام. وهنا نلاحظ أن كارول تتحدث عن السلام باسم كل أطفال العالم لأنها تعتبر نفسها أنها عاشت مأساة كل طفل عانى الحرب وتأثّر بها نفسياً وتربوياً.

نستنتج من خلال ما تقدّم أن مفهوم السلام عند الأطفال في المناطق الثلاث المذكورة يختلف من حيث اللغة والأسلوب، لكنه يتشابه في هدف نشر السلام وكيفية العمل من

أجل تحقيقه. فالسّلام بالنسبة لهم عبارة عن بيئة نظيفة خالية من المشاكل، وهو يقوم على حب النّاس لبعضهم البعض، وعلى الهدوء والاستقرار والحريّة والديمقراطيّة والجمال والحق في اللّعب من دون خوف والصلاة والغفران والتسامح.... وقد تبين أنه لا توجد فروقات دالة في هذا المجال بين الذكور والإناث. فالأطفال يريدون أن يعيشوا ويلعبوا بسلام بعيداً عن الحروب الداخلية والخارجية. وهذا يدل على أنّ السّلام الحقيقي غير موجود في واقعهم، وهنا نستطيع القول بأنّ أمنية السّلام جاءت بنسبة مرتفعة في التّعبير الكتابي، مما يعكس حاجاتهم الملحّة للسّلام.

ومن الدّراسات التي تتّفق ودراستنا هي دراسة أجرتها الباحثة «بوناماكي 1987 [1]» على الأطفال الفلسطينيين وموقفهم من السّلام أثناء الانتفاضة الأولى، وقد وجدت أنهم كانوا متشائمين في تقديراتهم لاحتمالات السّلام في العالم عموماً، وفي وطنهم على وجه الخصوص، حيث ذكر 71 % منهم أنّ العالم سيظل يشهد حروباً، وقال 88 % أنّهم لا يعتقدون بإمكانية وقف الحرب، ولم يوافق سوى 52 % على عبارة « لايوجد بيننا من يريد الحرب».

والنقطة الإيجابيّة هي أنّ الفلسطينيين كانوا متفائلين بالصّلح مع العدو، وكان ربعهم فقط يعتقد أنّ العدو سيظل عدوّاً على الدوام. وجاء في دراسة بوناماكي[2]: « لقد أصبح وضع القتال والتوتر الدائم وأفكار الحرب والمعارك والنّصر وتهديد العدو، أموراً مألوفة لدى الأطفال أكثر من الفكرة المجرّدة لسلام مجهول».

نلاحظ مما تقدّم أنّ دراسة بوناماكي تتوافق مع دراستنا من حيث نسبة أمنية السّلام المجهول عند الأطفال الذين يعيشون في مناطق متوترة أمنياً.

1- R.Punamaki, Children under conflit : The attitudes and emotional life of Israeli and Palestinian, children, p.233-234.

2 - R.Punamaki, ibid, p.245-247.

ودعماً لمساعدة الأطفال في التّعبير عن مفهوم السّلام، أضفنا رسمة السّلام كي يعبّروا عن تصوّراتهم لهذه الفكرة لأنّ الرّسم يسمح للطفل بالتّعبير والإبداع بشكل تلقائي، فما الذي يمكن أن نلتقطه من رسومات الأطفال تجاه فكرة السّلام؟

2 - رسمة السّلام

الرّسم وسيلة رائعة للكشف عن معاناة الأطفال وقدراتهم الإبداعيّة. وبناءً على ذلك، فقد استعملنا الرّسم كوسيلة للتّعبيرعن فكرة السّلام، فكيف يجسّد الأطفال فكرة السلام في رسوماتهم؟

إنّ صورة السّلام المشتركة بين أطفال الفئات الثلاث تمثّلت بالحمامة البيضاء وغصن الزيتون والعلم اللّبناني وبنسب متقاربة الى جانب صور أخرى ظهرت مثل اتحاد الأديان والطوائف والدول لدى أطفال الفئة الثانية والفئة الثالثة.

مقابل ذلك، ظهرت أعلام أخرى لبعض الأحزاب (حركة أمل، حزب الله، إيران وسورية) والمرفقة بشعارات سياسية عند أطفال الفئة الأولى والتي ترمز الى النّصر.

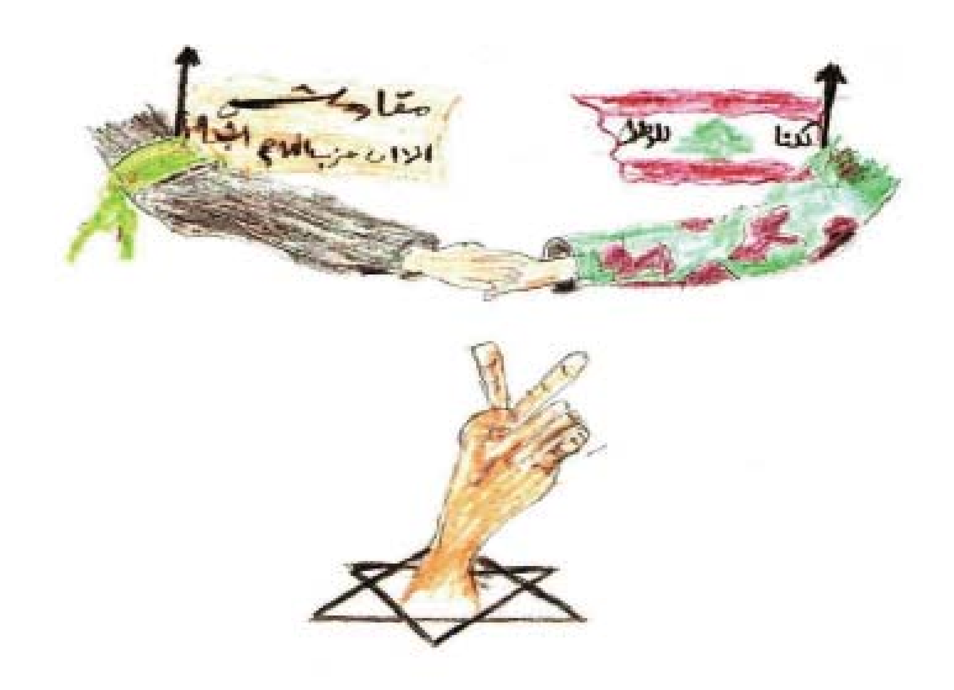
لاحظنا أنّ رسومات السّلام بالنّسبة لأطفال الفئة الأولى تقترب من الواقع السّياسي والإيديولوجي وترتبط بضغوط الحرب، فجاء الانتصار على العدو وزوال اسرائيل كتعبير عن صورة السّلام، مما يعني ربط مخيّلة الطفل وتفكيره بالنّزاع القائم بين اسرائيل والمقاومة وقضيّة الجنوب.

نعرض في ما يلي رسمة للطفلة سحر، التي تسكن في منطقة حارة حريك في الضاحية الجنوبيّة علماً أنها مولودة في منطقة عيتا الشعب التي تقع في الجنوب، فقد رسمت فكرة الحق في اللّعب نظراً للوضع الذي عاشته أثناء الحرب وأدى الى حرمان الأطفال من اللّعب وخاصةً في المناطق التي زرعت بالألغام.

رسمة الطفلة سحر

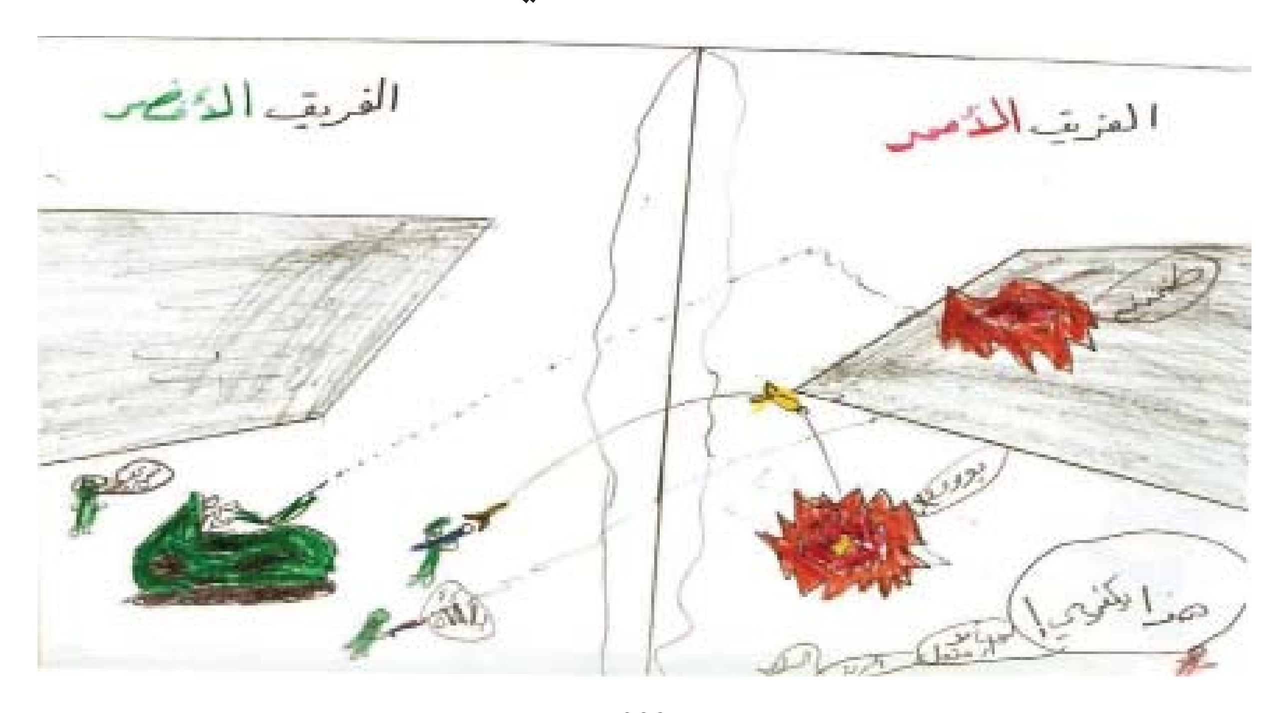


رسمة الطفل عبد الله



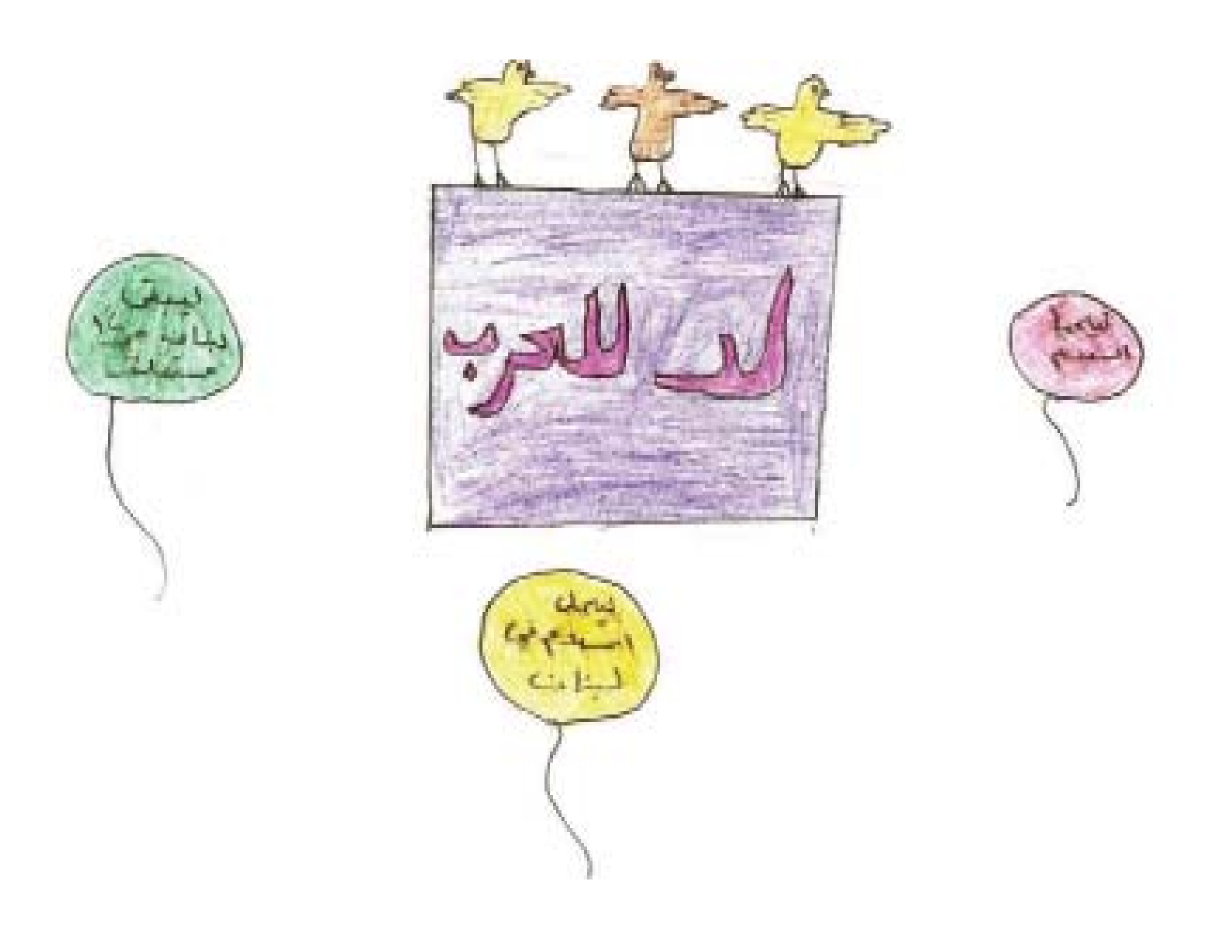
كما عبّر بعض أطفال الضاحية، ومنهم الطفل عبد الله الذي يعيش في منطقة البرج، عن أنّ السلام هو تحالف الجيش اللبناني ورجال المقاومة من أجل تحقيق النّصر الحقيقي وقد أرفقت رسمته ببعض الشعارات (كلنا للوطن / ألا أنّ حزب الله لهُم الغالبون).

رسمة الطفل علي



إنّ الطفل **علي**، الذي أفاد سابقاً بأنّ السلام لا يعني له شيئاً... ، حيث رسم هنا فريقين متخاصمين، الأخضر ويدل على رجال المقاومة الذين هاجموا الفريق الأحمر وهو العدو الذي هُزم ويطلب السلام (هذا يكفي، لم أعد أحتمل، أريد السلام). وهذا يفسّر أنّ علي جسّد لنا فكرة السلام بانتصار فريق على آخر أثناء المعارك والحروب.

رسمة الطفلة زينب



السلام بالنسبة للطفلة **زينب**، والتي ذكرت أنّ السلام هو منتهى الآمال التي يريدها المرء في حياته... ، حيث أعطت هنا رسمة تطلب فيها وقف الحروب ليحلّ السّلام في لبنان وليبقى حراً ومستقلاً. وهذا يوضح أمنية الأطفال، وبخاصة الإناث، في عدم تكرار الحرب للوصول الى السلام الحقيقي الذي رمزنّ إليه بالحمامة التي تحمل شعاراً "لا للحرب".

رسمة الطفل جهاد



لقد عبّر بعض أطفال الضاحية الجنوبية عن السلام بأنه الإنتصار على العدو وخاصةً إنتصار رجال المقاومة والذي أشار إليه باللّون الأخضر الذي طغى على الرسمة، وهذا يدل على الفرح بالنصر الذي حققه رجال المقاومة أثناء حرب تموز. وهنا يتجلى تأثير عقيدة حزب الله في أطفال الضاحية.

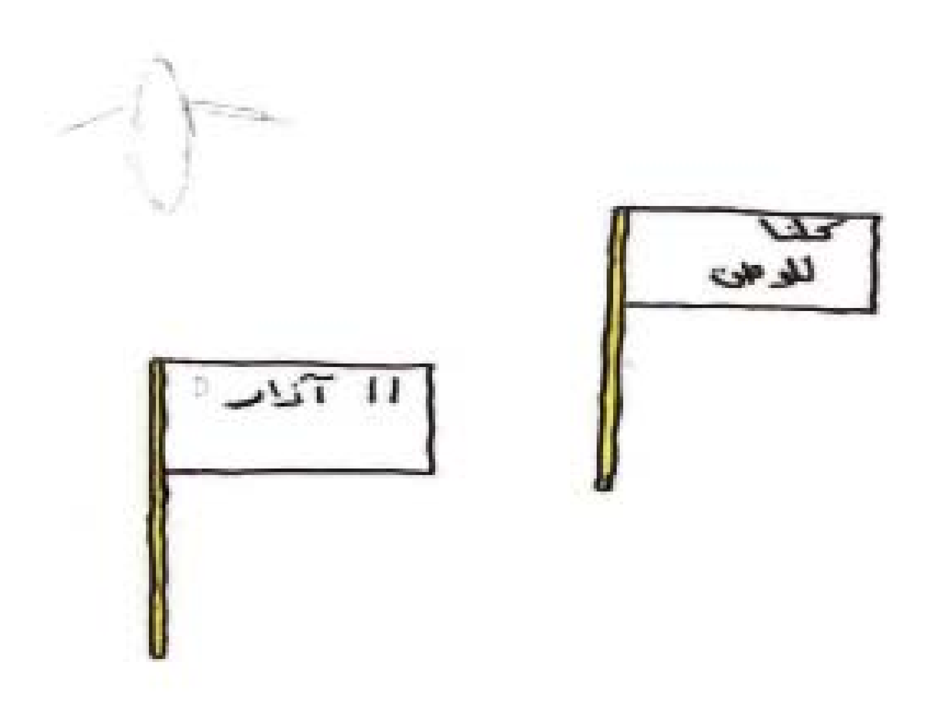
نماذج حول رسومات فكرة السّلام عند أطفال بيروت الغربية

رسمة الطفل مصطفى



نعرض هنا رسومات السّلام التي عبّر عنها أطفال بيروت الغربية، حيث رسم الطفل مصطفى، الذي يسكن في منطقة الأونيسكو، مجموعة من الأعلام ومن بينها العلم اللّبناني في أعلى رسمة الكرة الأرضية، وهو يعتقد أنّ السلام هو إتحاد كل البلدان ليعمّ السّلام في جميع الأوطان. وهكذا تُلغى فكرة الحروب في كل العالم.

رسمة الطفل شادي



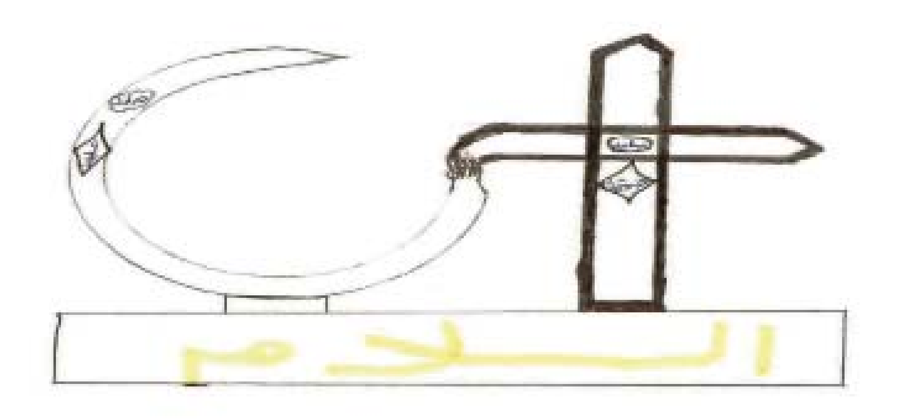
الطفل **شادي** عبّر عن مفهوم السلام بوقف المشاكل بين السّياسيّين وعدم انعكاسها على المواطنين. فهو يريد أن يجمع الأفرقاء السّياسيّن (14 آذار و 8 آذار)، الذين قسّموا البلد بشعاراتهم السّياسيّة وخطاباتهم النّارية التي أدّت الى الحروب الداخلية في البلد، بشعار موحّد هو 11 آذار الذي يعني إتّحاد كل اللّبنانيين بجميع طوائفهم وانتماءاتهم السّياسيّة والذي قصد بها عبارة "كلنا للوطن".

رسمة الطفل حسام



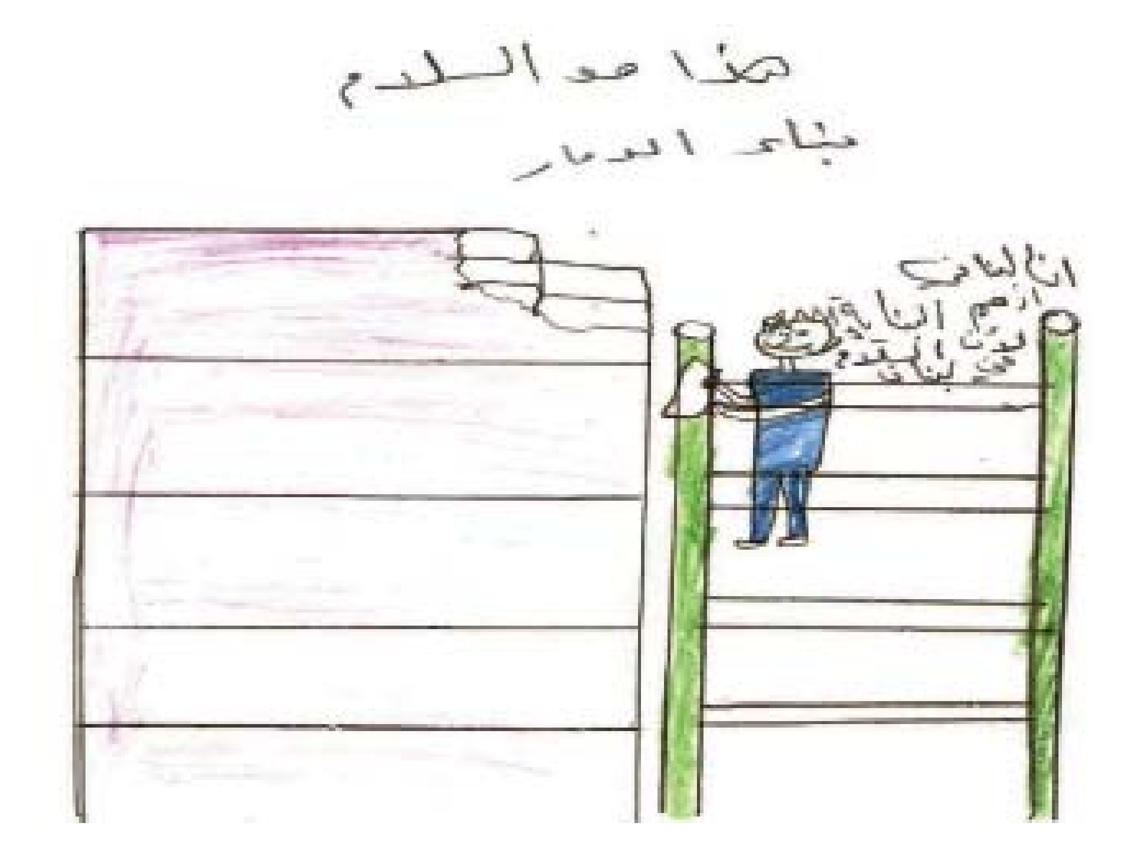
ومن الأطفال الذين يريدون الوحدة الوطنية بين كافة الشعوب هو الطفل حسام، الذي يسكن في منطقة المزرعة، والذي عبّر عن مفهوم السّلام سابقاً أنّه يبعث الطمأنينة بين العالم أجمع..... لقد جسّد الآن صورة السلام بالحمامة التي تحمل غصن الزيتون والتي تجمع أعلام كل بلدان العالم في أجنحتها لتنشر المحبة في كل العالم وليعمّ السّلام بين جميع البشر.

رسمة الطفل أحمد



الطفل أحمد، الذي عبّر سابقاً عن مفهوم السلام بأنّه المحبة بين المسيحيين والمسلمين...، جسّد فكرته في رسمه للهلال الذي قصد به المسلمين وهو يريد الاتّحاد والتحالف والتعاون مع المسيحيين الذي رمز اليهم بالصليب. وهذا يفسّر أنّ الأطفال، وخاصةً أطفال بيروت الغربية، يريدون الوحدة الوطنية والمحبة بين كل اللّبنانيين بجميع طوائفهم.

رسمة الطفل سعيد



الطفل **سعيد**، الذي يسكن في منطقة رأس النبع، فكّر أن يزيل الدّمار الذي هدّمته يد العدو ويرمّم الأبنية التي قصفت أثناء الحرب. فهو يرى السّلام في إعادة إصلاح ما خرّبته يد العدو.

رسمة الطفلة هناء



أمّا **هناء**، التي تسكن في منطقة الجامعة العربيّة، فقد رسمت مظاهرة طلابية تطالب بالسلام والحرية لأنهم لا يريدون الحرب، حيث ظهرت هناء وهي تضع العلم اللّبناني على صدرها. كما برزت ألوان العلم اللّبناني الأبيض والأحمر والأخضر المجسّدة بملابس الأطفال الذين يحملون يافطات والعلم اللّبناني يطالبون من خلالها بنشر السّلام ويعترضون على الحرب التي حصلت في تموز 2006. كما ظهرت بعض الشعارات "يا شعب لبنان العظيم"، ما يدلّ على تأثر الأطفال بالخطابات السّياسيّة.

نماذج حول رسومات فكرة السّلام عند أطفال بيروت الشرقيّة

رسمة الطفل طوني



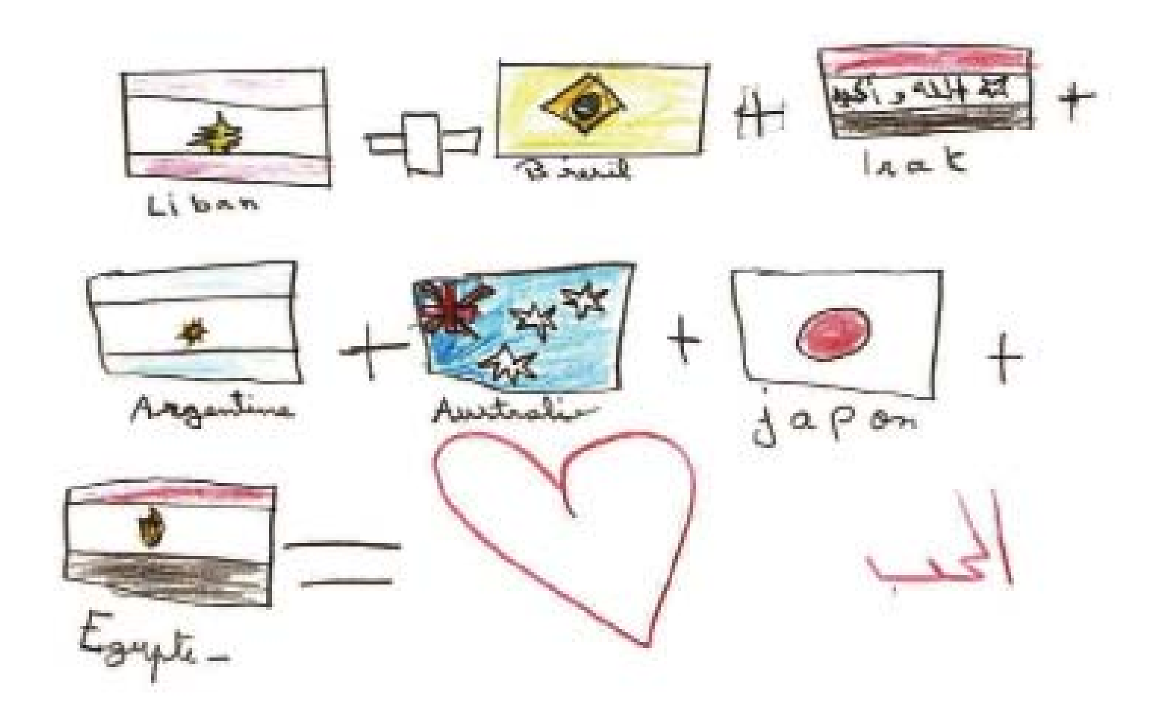
لقد أجمع أطفال بيروت الشّرقيّة، ومن خلال رسوماتهم للسلام، على فكرة الإتحاد بين كل شعوب العالم ليعمّ السّلام ولكن بأسلوب مختلف. فرسم الطفل طوني، الذي يسكن في منطقة سن الفيل، حمامتين تحملان الكرة الأرضية للدلالة على نشر السّلام في كل العالم.

رسمة الطفل جاد



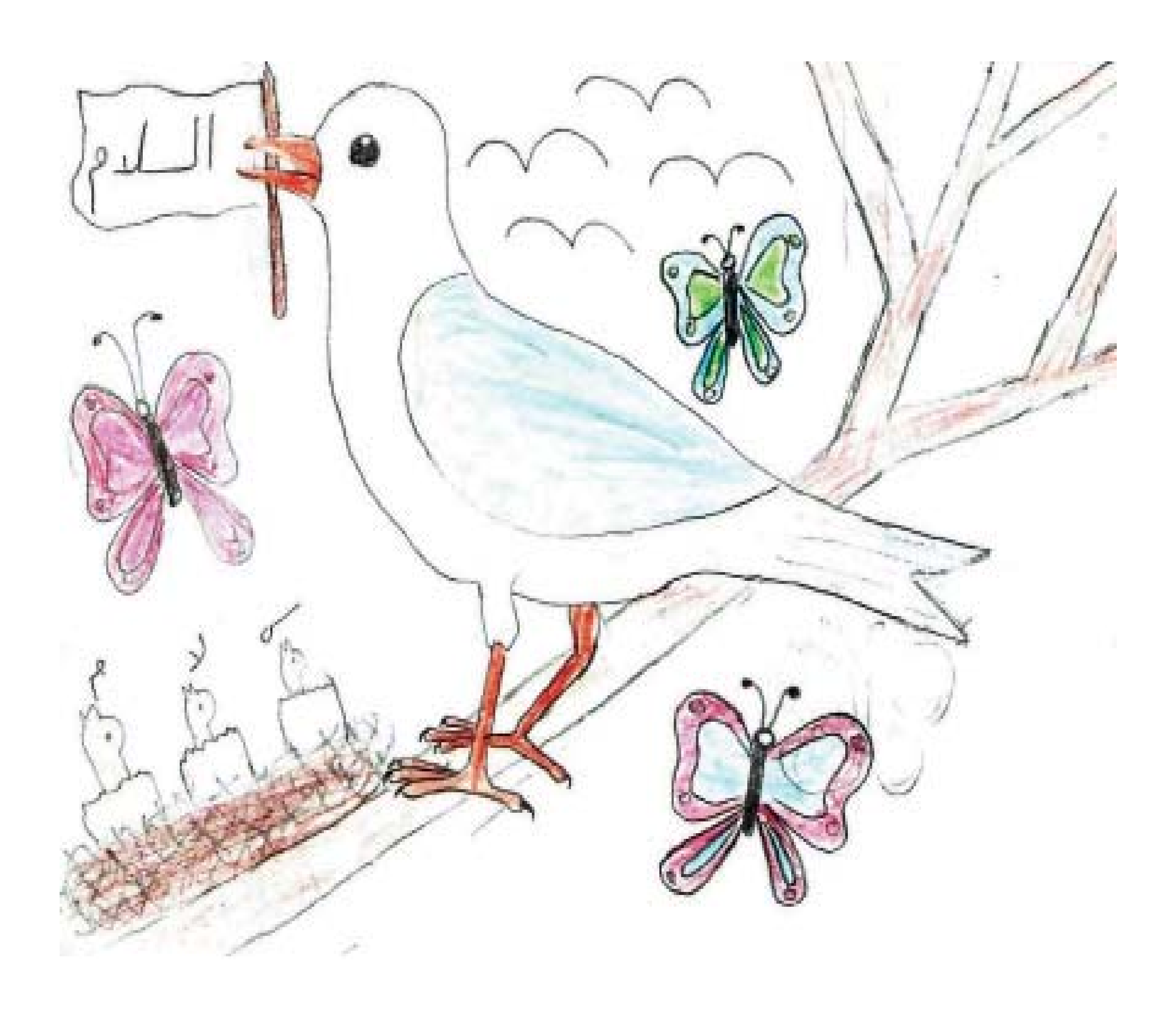
وقد رسم الطفل **جاد**، الذي يسكن في منطقة فرن الشّباك، خريطة لبنان التي تبرز منها مجموعة من الأيدي الممدودة التي تطالب بالسّلام، اضافة الى حمامة السّلام التي تحمل غصناً من الزيتون لنشر السّلام على كل الأراضي اللّبنانيّة وبين كل اللّبنانييّن بمختلف طوائفهم وانتماءاتهم.

رسمة الطفلة ماري



أما الطفلة **ماري**، التي تسكن في منطقة فرن الشباك. فكانت فكرتها عن السلام هي عبارة عن نشر المحبة بين مختف البلاد من خلال الإتفاق بين جميع الدول العربيّة والأجنبيّة والإتحاد والتعاون.

رسمة الطفلة سيرين



ورسمت الطفلة **سيرين**، التي تسكن في عين الرّمانة، حمامة السّلام وهي تعلّم صغارها مفهوم السّلام والتي ظهرت من خلال جمع الحروف التي يردّدها الصغار (س، لا، م)= سلام. وهذا يفسّر أنّه يجب على كل الأهالي في مختلف بلدان العالم أن يعلموا أطفالهم منذ الصّغر معنى السّلام، وذلك من أجل العيش بأمان واستقرار بعيداً عن مفهوم الحرب.

رسمة الطفل سليم



سليم، الذي يسكن في منطقة الأشرفية، رسم يسوع (عليه السّلام) الذي كانت رسالته في الحياة الدنيا هي نشر المحبة والإيمان والسّلام بين جميع البشر. وهنا يدعو سليم، ومن خلال رسمته، كل اللّبنانيين الابتعاد عن الحروب والعودة الى الإيمان والصلاة جميعاً ليعمّ السّلام بين الناس.

وكما يبدو، فإنّ أطفال الفئتين الثانية والثالثة ينظرون الى السّلام من منظور كوني يتمثّل بشكل اتّحاد بين الدّول والشعوب المختلفة والأديان والطوائف، وقد عبّروا عن فكرة السّلام بشكل جميل وإيجابي ومنفتح وقد عكست رسوماتهم الرّوح الوطنيّة والمحبّة والتّعاون والوفاق بين الدّول والطوائف والأحزاب وبين كلّ اللّبنانيين.

بينما يميل أطفال الضّاحية الجنوبيّة الى ربط السّلام بالحق في اللّعب نظراً لحرمانهم في صيف 2006 من اللّعب والتّعبير عن أنفسهم. ويبدو واضحاً أنّ عقيدة المقاومة وما يرشح عنها من التزام ببعض الأفكار والشّعارات تفرض نفسها على الصّغار والكبار

وتتمحور حول فكرة الصّراع مع العدو الإسرائيلي من خلال المقاومة.

نستنتج مما تقدّم أن هذه الرّسومات تحمل مفهوماً مشتركاً لدى جميع الأطفال ولكنها تختلف نسبياً عن أفكار أطفال الضّاحية الذين يحملون مفهوماً سياسيّاً أكثر تعقيداً لفكرة السّلام ألا وهو الانتصار على العدو وزوال اسرائيل.

بالمقابل، معظم الرّسومات الخاصة بأطفال المنطقتين الشّرقيّة والغربيّة لبيروت تناولت صُوراً لأشخاص يتصافحون بعد القتال (الحرب) تمهيداً للسّلام الحقيقي.

إنّ هذه الرّسومات تشير الى حقيقة واحدة هي أنّ السّلام يجمع النّاس مع بعضهم البعض ويحقّق الوفاق ويخلق التّكاتف الاجتماعي بينهم.

إنّ هدف هذه الدّراسة هو تحليل ما جاء في كتابات الأطفال ورسوماتهم وما عكسته من آثار لحرب تموز ومناقشة ما جاء في مضامينها. وقد استنتجنا أنّ آثار هذه الحرب ما تزال قائمة ومستمرّة في منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة أكثر منها في المنطقتين الشّرقيّة والغربيّة.

لقد أوضحت هذه الدّراسة أنّه توجد فروقات دالة بين المناطق من حيث أثر صدمة الحرب في الأطفال وأمنيتهم التي كانت تدلّ على رغبة هؤلاء قي تكرار الحرب من أجل الإستشهاد (الفئة الأولى). كما تبيّن لنا أنّه لا توجد فروقات بين المناطق من حيث استعمالهم لمصطلحات الحرب واستمرار الخوف والقلق لدى الأطفال من خلال التّعبير عن الحرب، وعليه فإنّ الدّراسة الحالية قد أجابت عن الفرضيّة الثانية.

ثالثاً : الفرضيّة الثالثة

تنص الفرضيّة الثالثة على أنّ :" هناك فروقات دالة إحصائيّاً بين الأطفال الذين تعرضوا لصدمة الحرب مباشرةً، والأطفال الذين لم يتعرّضوا لها مباشرةً من حيث التّدني في التّحصيل الدّراسي واللّغة.

إنّ الآثـار التّربويـة (ونعنـي الجانـب التّحصيـلي للتلميـذ في المدرسـة مـن دون الدّخـول في

تفاصيل جوّ الأسرة) تتكامل إلى حدّ كبير مع الآثار النّفسيّة وأعراض صدمة الحرب (ptsd)، وهذا ما عرضناه سابقاً في القسم النّظري من الدّراسة.

وإذا كانت حرب تموز قد تركت آثاراً سلبيّة في نفوس الأطفال والتي تجلّت في رسوماتهم، فإنّ هذه الحرب قد أثّرت أيضاً بشكل سلبي في تحصيلهم الدّراسي.

أ- التّحصيل الدّراسي

بناءً على نتائج دراستنا، تبيّن أنّ أطفال ضاحية بيروت الجنوبيّة قد تأخّروا في تحصيلهم بالمقارنة مع نتائجهم الدّراسيّة قبل الحرب وما بعدها. ولا توجد فروقات دالة إحصائياً في هذا المجال بين الإناث والذكور.

في المقابل، وبحسب نتائج دراستنا، فقد تبيّن أن أطفال منطقة بيروت الشّرقية لم يتأثروا كثيراً بالحرب المذكورة في مسيرتهم الدّراسيّة أي لم يطرأ تغيير جذري على المردود الدّراسي لديهم لأنهم كانوا بعيدين عن منطقة النّار نوعاً ما، علماً أنّ هذه النتيجة لا تنفي وجود فروقات فردية بين الأطفال وفي المنطقة التي يعيشون فيها. فالمجتهد ما يزال مجتهداً (ونسبة المجتهدين جاءت عالية جداً 64 %) والتلميذ الوسط ما يزال في مستواه، فهناك تأخّر دراسي عند أطفال منطقة الخطر (ضاحية بيروت الجنوبية) فالجيد هبط الى الوسط والذي كان في عداد الوسط انخفض الى الضّعيف.

وبالنسبة لأطفال منطقة بيروت الغربية، فقد لاحظنا أن نسبة الوسط مرتفعة عند الإناث والذكور مع بعض التفاوت، بينما نسبة الأطفال الضعفاء كانت أعلى من نسبة المجتهدين، كما تبين لنا أن نسبة التأخر في التّحصيل الدّراسي في هذه المنطقة هو أقل نسبياً من منطقة الخطر. (المقصود هنا بالتّأخر الدّراسي هو التّراجع في العلامات وليس التّخلف العقلي).

وتأكيداً على نتائج دراستنا التي أظهرت الفروقات الدالة بين المناطق من حيث التأخر

في التحصيل الدراسي، فقد توافقت هذه النتائج مع نتائج دراسة أيوب[1] الذي أشار الى أنّه، وبعد مرور حوالي ثلاثة أشهر على ابتداء العام الدّراسي (بعد حرب تموز 2006 مباشرةً)، بدأت تظهر آثار دراسيّة مباشرةً في التلاميذ تمثّلت بالتّراجع في التّحصيل العلمي مقارنةً مع ما كانوا عليه في الفترة نفسها من العام السّابق حيث ظهرت هذه الآثار لدى عدد كبير من التلاميذ بمن فيهم المتفوقون ممّا يشكّل ظاهرة تستدعي انتباه الأهل والمعلّمين والباحثين.

فمن خلال التّعابير الكتابية التي عبّر خلالها التلاميذ عن رأيهم تجاه الحرب ظهرت لديهم مؤشرات الخوف والقلق والاضطرابات النّفسية، وقد قال بعضهم : «إنّ اليأس ما زال مسيطراً علينا ولم نعد نهتم بالدّرس، فنحن خائفون من حربٍ جديدة »، وقال آخر «إنّ المدرسة مثل المقبرة التي تدفن الكثير من الأطفال كما حصل في مجزرة قانا ....»، «أشعر بالفشل دائماً لأن المعلّمين لا يحبونني»، «لا نشعر بالاجتهاد كثيراً وذلك بسبب الخوف الدائم من عودة الحرب. وهذا ما أشرنا اليه سابقاً في باب أمنية الأطفال حيث كان عدد كبير منهم لا يرغبون في عودة الحرب». وهذا يشير الى وجود الخوف من عودة الأعمال العسكرية والقصف عند معظم أطفال العيّنة. في المقابل قال بعض أطفال الفئة الثانية « نحن نشعر بالتراجع لأن الوضع السّياسي غير مستقر»....

والشيء الذي بدا غير مألوف في معظم مدارس الفئة الأولى، هو عدم الرّغبة في تعبئة استمارة التّعبير الكتابي لمفهوم الحرب، بينما قبلوا بالتّعبير عن مفهوم السّلام، ولو جاءت عباراتهم ضئيلة، وهذا يشير الى وجود صدّ وانحباس انفعالي وفكري يخفي وراءه القلق والخوف.

أمـا فيـما يتعلـق بالتّحصيـل الـدّراسي والتّركيـز والانتبـاه وزيـادة الحركـة والـشّرود بعـد حـرب تمـوز 2006 لـدى الأطفـال، فتبـيّن لنـا مـن خـلال دراسـتنا أنـه توجـد فروقـات دالـة احصائيـاً

---

1 - فوزي أيوب، التأثيرات النفسيّة والتربوية لحرب تموز 2006 على الأطفال والتلاميذ اللبنانيين، ص17.

بين المناطق الثلاث. أما بالنسبة لمتغير الجنس فلا توجد فروقات دالة احصائياً داخل كل منطقة.

وهذه النتيجة إن دلت على شيء فإنّها تدلّ على الانخفاض الواضح في مستوى الاجتهاد والتّركيز والانتباه في منطقة ضاحية بيروت الجنوبية نظراً لتعرّضها للقصف العنيف الذي استمرّ طيلة 33 يوماً في صيف تموز 2006. بينما نلاحظ أن نسبة التّحصيل الدّراسي في المنطقة الغربيّة كانت أفضل نسبياً من ضاحية بيروت الجنوبية، فيما ارتفعت في منطقة بيروت الشّرقيّة.

وتشير بدوي[1] الى أن مسائل التّركيز حول الدّرس والفضول العلمي والإبداع عند الأطفال قد تراجعت بسبب الحرب، وحلّ محلّها غياب الطموح وعدم وضوح الهدف وبطء الاستيعاب والشّرود والخوف والقلق والضياع، وعدم التوازن في السّلوك. كما أدى انتماء التلاميذ الى الميليشيات والأحزاب الى تغيير في تصرّفاتهم، حيث أصبحوا ينظرون الى الإداريين والمعلمين في المدارس بطريقة فوقيّة. ويجري حلّ خلافاتهم معهم عن طريق العنف. أمّا التلميذ فقد أصبح مستواه العلمي ضعيفاً، فهو يتغيّب عن الصف في كثير من الأحيان، ويثير الفوضى، ويتخاصم مع زملائه.

وقد وجد (فوزي أيوب، 2007) في دراسته التي أجراها على أطفال ومراهقين بعد حرب تموز أنّ نتائج التّلاميذ في الامتحانات الشهريّة للسّنة الدّراسيّة 2007، في مختلف مدارس الجنوب ومنطقة الشياح (فقط التي تقع في منطقة ضاحية بيروت الجنوبية)[2*]، أظهرت تراجعاً في مستوى العلامات وخاصةً في المرحلتين المتوسطة والثانوية.

لقد اتّفقت دراستنا مع نتائج الدّراستين السّابقتين من حيث التّراجع أو التّدني في التّحصيل الدّراسي لعام 2006/ 2007 وزيادة في الحركة، وقد ظهر ذلك في المرحلة

---

1 - رؤوف سنّو، حرب لبنان 75 - 90، ص 1206.

2* - لم يُدخِل الباحث أطفال منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة في عيّنة دراسته لأنّ سكانها تفرّقوا قبل القصف الاسرائيلي (باستثناء حادثة الشيّاح) ولم يتم قطع الطرقات الموصلة الى الضاحية كما حصل في الجنوب.

الإبتدائية وخاصةً في مدارس ضاحية بيروت الجنوبيّة بشكل بارز وبدرجة أقل في بيروت الغربيّة.

وهذا التّدني في التّحصيل يعود الى تشتّت انتباه التّلاميذ وعدم قدرتهم على التّركيز لإتمام عملهم المدرسي. وهذا يعني أنّ هؤلاء الأطفال قد تعرّضوا لضغوط قويّة بسبب الحرب التي أدّت الى زعزعة الاستقرار النّفسي لديهم. وهنا يمكن القول أن الأطفال الذين يعانون من الضغوط يتعثّرون في تحصيلهم (أطفال الفئة الأولى) بعكس الأطفال الذين تعرّضوا لضغوط أقل (أطفال الفئة الثانية) أو الذين لم يتعرّضوا لها (أطفال الفئة الثالثة). وهذا ما يفسّر تفوّق أطفال الفئة الثالثة على أطفال الفئتين الأولى والثانية في التّحصيل الدّراسي.

نستنتج من كلّ ما تقدّم أنّ التّحصيل الدراسي يتأثّر بالحالة الإنفعالية والنّفسيّة لدى التلميذ، وإن أيّة عملية تعلّم لا يمكن أن يُكتب لها النجاح إذا لم يتوفّر للتلميذ المناخ الجيّد الذي يضمن له النّمو السّليم والمتوازن لنواحي شخصيته وسلوكه.

توضح هذه الدّراسة أنّه توجد فروقات دالة بين المناطق من حيث التّحصيل الدّراسي، وعليه فإنّ الدّراسة الحالية قد أجابت عن الجزء الأوّل من الفرضيّة الثالثة (التّحصيل الدّراسي)، وسوف نعالج الجزء الثاني المتعلّق بالنمو اللّغوي في الصّفحات الآتية.

ب- مستوى اللّغة في التّعبير الكتابي

لقد ساعدتنا تقنية التعبير الكتابي في الكشف عن الآثار النفسية لدى أطفال الحرب والمستوى اللغوي لديهم.

وبعد أن قمنا بتصحيح النّصوص، اتّضح لنا أنه توجد فروقات دالة احصائياً بين المناطق من حيث المستوى اللّغوي، علماً أننا لا نستطيع أن نجزم ما إذا كانت هذه الفروقات تعود فقط الى حرب تموز 2006 أو الى قبل ذلك. لكنّ الحرب ساهمت بدون شكّ في تدنّي التّحصيل لدى الأطفال بصورة عامّة وأطفال الضّاحية بصورة خاصة.

لقد ركّزنا في دراستنا على مستوى اللّغة عند الأطفال بناءً على التّسلسل المنطقي للأفكار ونسبة الأخطاء الواردة في نصوصهم الكتابية.

تبيّن لنا أنّ المستوى اللغوي عند أطفال منطقة الفئة الثالثة (بيروت الشّرقيّة) يفوق بكثير أطفال الفئتين الأولى والثانية حيث تميّزوا بأسلوبٍ راقٍ في الكتابة وشبه خالٍ من الأخطاء الإملائيّة، وتميّزوا بتنظيم أفكارهم وتنوّعها مع استعمال عبارات مجازية بصورة واضحة ومنظّمة ومترابطة كالتشبيه والاستعارة... ما يدلّ على اتقانهم لمنهجيّة البناء اللّغوي وامتلاكهم لها.

جاء أطفال الفئة الثانية وبنسبة عالية في منطقة الوسط من حيث الأسلوب واللغة ومنهجيّة البناء، لكنهم لم يستعملوا الصّور البيانيّة والتّعابير المجازية في كتاباتهم ممّا أضعف المستوى الأدبي لديهم، مقارنة مع أطفال الفئة الثالثة.

أمّا أطفال الفئة الأولى فقد جاء معظمهم في فئة الضعفاء، حيث بدا الضّعف واضحاً في أسلوب الكتابة، واللّغة غير المقروءة وعدم التّرابط في الأفكار والتّكرار في الجمل وسرد أفكار الحرب. ربما يدلّ ذلك على شدّة الاضطراب والقلق وشعورهم بالصّد والإحباط... إذ كانوا يعبّرون عن أفكارهم بجملٍ بسيطة وقصيرة وفقيرة وقد واجهنا عدداً لا يُستهان به من الاستمارت الفارغة والتي لم ندخلها ضمن العيّنة لأنّ بعض الأطفال رفضوا الكتابة والكلام عن الحرب. وهذا يدلّ على شدّة تأثّرهم ودرجة احباطهم. كما تبيّن وجود الضعف في تراكيب الجمل وكثرة الأخطاء الإملائية.... هذا لا ينفي أنه يوجد نسبة من الأطفال الذين عبروا بأسلوب جيد وغني ولكن العدد كان قليلاً جداً.

نعتقد أن المستوى اللّغوي يدخل ضمن الأسس النّفسية للطفل، ويعود ذلك الى أن أكثر المناطق التي تعيش توتراً أمنياً وطائفياً هي المنطقتان الغربية والضاحية الجنوبية لبيروت، بينما يسود الهدوء أكثر نوعاً ما في المنطقة الشّرقية لبيروت مقارنةً مع تلك المناطق، وهذا ما يفسّر أنّ العوامل والظروف البيئيّة الصعبة التي يعيشها الأطفال تؤثر سلباً في التّحصيل

الدّراسي والسّلوك. أمّا الطفل الذي يعيش في منطقة آمنة، فهو يختلف عن الطفل الذي يعيش ضمن مجموعة تنتمي الى أحزاب وميليشيات وما شابه.

وهنا نستطيع أيضاً أن نكشف عن أنّ لكلّ انسان طريقته في التّعبير، تبعاً لأسلوبه وثقافته التي يعبّر بها عمّا في نفسه أثناء تناوله لموضوع ما، ولا ننسى النمط الذي يختاره في استعمال اللّغة وبناء الجملة والاعتماد على الخيال. فلكل بيئة اجتماعيّة روح غالبة تظهر في تعابير الأطفال الكتابيّة وفي مضامين رسوماتهم.

ولكن لا ننسى أنّ الحروب التي مرّ بها لبنان منذ العام 1975 والتي استمرّت لسنوات طويلة حتى يومنا هذا، قد زعزعت قواعد الاستقرار النّفسي والأمن الإجتماعي مما انعكس سلباً على التعليم. فأجيال الحروب كثيرة، هذه الحروب التي طال أمدها وشملت مختلف الأعمار والتلاميذ، ممّا يشير إلى ارتفاع نسبة التّأخر الدّراسي والرّسوب. وقد أشار المركز التربوي للبحوث والإنماء[1] أن هناك 65 % من تلاميذ المرحلة الابتدائية قد أظهروا تراجعاً في مستوياتهم التّحصيلية وتأخراً ورسوباً وانهياراً في ملكة التّفكير والمنطق ما بين 1975 - 1990، وهذا يتّفق مع نتائج دراستنا الحالية التي تناولت آثار حرب تموز 2006، لكننا في الوقت عينه لا نستطيع أن نحمّل الحرب المسؤولية الكاملة والمطلقة عن تدني مستوى العلم في لبنان، فهي تشكّل أحد العوامل المهمّة التي ساعدت في تدني المستوى التعليمي في لبنان ولكن بدرجات متفاوتة.

لا نستطيع أن نلغي دور الضغوط والخبرات الصّادمة الناتجة عن الحرب والتي تؤثّر بشكل أو بآخر في العمليّة التّعلّميّة. فاضطرابات اللّغة تؤسس لاضطرابات معرفيّة وادراكيّة عند الطفل وتعمل على عدم بلورة مهارات الذّكاء عنده، وهذا قد يؤدّي الى الفشل المدرسي نتيجة عدم تكيّفه مع المواد التي تعتمد على اللّغة والتّركيز والتفكير.

لقد اتّضح لنا بأنه توجد فروقات دالة احصائياً بين المناطق الثلاث من حيث التّحصيل

---

1 - رؤوف، سنّو، **حرب لبنان 90-75**، ص1208 .

الدّراسي والمستوى اللّغوي من خلال التّعبير الكتابي وكذلك الأمر في مفهومَي الحرب والسّلام.

رابعاً : الفرضيّة الرّابعة

تنص الفرضيّة الرابعة على :« أنّ الأطفال الذين عاشوا جوّ الحرب وتعرّضوا لمخاطرها يعانون من قلق الصدمة بدرجة قوية وبالأخص أولئك الذين شاهدوا الموت وخسروا أحد أفراد العائلة أو أحد رفاقهم».

بعد مرور تسعة أشهر على حرب تموز، تبيّن لنا أن أطفال الفئة الأولى، وخاصةً بعض الأطفال الذين أجرينا معهم مقابلات فردية بسبب تعرّضهم لصدمة الحرب (دمار منزلهم أو وفاة أحد أفراد الأسرة) وصلت نسبتهم الى 37 %. ويجب أن نشير هنا الى أنّ هؤلاء الأطفال يخافون أولاً من الألغام والموت والقصف، وهم يخافون أيضاً من صوت الطيران والنوم لوحدهم ومن عودة الحرب وانفصال الأهل والأصوات العالية، حيث تراوحت النسبة ما بين 80 % الى 100 % . وهذه النسبة المرتفعة تدل على وجود قلق الصّدمة. قد تعود النتائج الى عوامل متعدّدة نستعرضها في الفِقر الآتية.

أ- تفسير نتائج المقابلات

لقد تمّ اختيار 41 طفلاً أي ما نسبته 37 % من أصل 111 طفلاً من أطفال منطقة الفئة الأولى الذين تعرّضوا مباشرة لصدمة الحرب والتقينا بهم في مدارس ضاحية بيروت الجنوبية (لقد ذكرنا كيفية اجراء المقابلات وتنفيذها في الفصل السابق).

ما هي الاضطرابات أوالأعراض النّفسية والتّربويّة التي يعاني منها هؤلاء الأطفال؟؟

1 - الآثار النّفسيّة

تبين من خلال نتائج المقابلات لأطفال الضاحية المذكورين أن نسبة استمرار الخوف،

بعد تسعة أشهر من انتهاء الحرب، ما زالت مرتفعة.

وبالمقارنة مع نتائج التّعبير الكتابي للحرب، تبين لنا أن نسبة استمرار الخوف من حرب جديدة عند أطفال العينة ما زالت مرتفعة (39 %)، كما تبين لنا من خلال الرّسم الحر أن (37 %) من رسومات الأطفال تظهر صوراً للطائرات الحربية والصواريخ وجاءت بأعلى نسبة. وهذا يدلّ على فائدة أهمية تقنيتي الرّسم والتعبير الكتابي في الكشف عن الآثار النفسية والاضطرابات التي أصابت أطفال الصف الخامس الأساسي في المناطق المجاورة للعاصمة.

لقد كشفت دراستنا أيضاً عن وجود فروقات دالة احصائياً بين الإناث والذكور من حيث اختيار المهنة المستقبلية، فتبين لنا أن نسبة مرتفعة (63 %) من الأطفال الذين تعرضوا لاضطرابات صدمة الحرب ptsd يفضّلون أن يكونوا في المستقبل مقاتلين في صفوف المقاومة. أما بالنسبة للإناث فإنهن يفضّلن العمل في مهنة التمريض من أجل اسعاف الجرحى ومساعدة المرضى بسبب الحرب. وهذا يدل على شدّة تأثرهنّ بمشاهد القتلى والجرحى. ولكن الخيار المعلن يشير من جهة الى محاولة الأطفال لردم الأضرار الحاصلة على الصّعيد الإنساني (إسعاف الجرحى ومساعدة المرضى)، ومن جهة أخرى الى محاولتهم (أطفال الضاحية الجنوبيّة) الى التّماهي مع رجال المقاومة ومحاربة العدو من أجل السيطرة على الخوف والقلق.

تبين لنا أن (43 %) من الأطفال الذين تعرضوا لصدمة الحرب يتمنون أن يكونوا أقوياء ويقتلوا العدو الاسرائيلي، وهذه النسبة تؤكد ما جاء سابقاً أن نسبة كبيرة من الأطفال، في منطقة ضاحية بيروت الجنوبيّة، يميلون الى المهن التي تدل على الحرب والانتقام من العدو والانتماء الى رجال المقاومة من أجل القضاء على اسرائيل. وقد تبيّن لنا سابقاً في نتائج التّعبير الكتابي أن نسبة 21 % من أطفال منطقة ضاحية بيروت الجنوبية يفضلون عودة الحرب من أجل الاستشهاد، ما يدل على أن هؤلاء الأطفال يتأثرون كثيراً بالمعتقدات الدينية وشعارات المقاومة التي تدخل ضمن تربيتهم وثقافتهم الإجتماعيّة.

لقد كشفت دراستنا أيضاً أن نسبة الأعراض النّفسيّة التي أصابت هؤلاء الأطفال أثناء حرب تموز والذين شاهدوا القتلى والجرحى ودمار منازلهم قد تعرضوا بشدّة للضغط النّفسي بسبب الحرب، ممّا ولّد لديهم الخوف من الموت والإنفصال عن الأهل واضطراب النوم بنسبة مرتفعة (71 %) وهذا القلق مشترك بين الجنسين.

لقد تبيّن أيضاً أن نسبة الأعراض النّفسيّة التي أصابت الأطفال المذكورين بعد تسعة أشهر من انتهاء الحرب ما زالت قائمة حتى الآن حيث بقي هؤلاء يتذكرون الحرب ويشعرون بالخوف وعدم الرغبة في الكلام ولديهم رغبة في البكاء ويعانون من صداع وقلق وتوتر مع ضيق في التنفّس وصرير الأسنان وهم يحلمون بكوابيس ليلية ويضيئون الأنوار أثناء النوم. وهذا كلّه يدخل في باب اضطراب ما بعد الصّدمة لاسيما لدى أطفال الفئة الأولى.

2 - الآثار التّربويّة

ارتفعت نسبة الغياب عن المدرسة وكذلك حالات الشرود، والصعوبة في الاستيعاب والتّركيز بدرجة عالية، ممّا انعكس سلباً في التّحصيل الدّراسي (عند الذكور أكثر من الإناث)، ويلي ذلك الشعور بالفشل وعدم القدرة على فهم المواد (راجع جدول رقم 13).

إنّ هذه الإشكالات قد تعود الى عوامل ترتبط بالتّلميذ نفسه الذي تعرّض لحادث صادم كالحرب التي أدّت الى التراجع والتأخّر الدراسي، مما جعله يهمل واجباته المدرسيّة ويشعر بأنّ المعلمين لا يحبونه ولا يعطونه الإهتمام الكافي.

وتأكيداً على نتائج دراستنا، فقد أكدت (تير 1991)، بأنّ الحرب تترك آثاراً مدمّرة في نفسيّة الأطفال الذين يتعرّضون للصّدمة مما يؤثّر في آدائهم الدّراسي وعدم رغبتهم في الذهاب إلى المدرسة. فالطفل يُصاب بالشّرود وعدم التّركيز وغير ذلك...

كما أظهرت دراسة (أيوب 2007)[1] أنّ التلاميذ في الحلقتين الأولى والثانية من التّعليم الأساسي قد أظهروا تراجعاً في التّحصيل الدّراسي وارتفاعاً في معدلات الغياب وحالة من التّشاؤم والخوف من المستقبل، وهذا يتوافق مع دراستنا.

نستنتج من خلال المقابلات الفرديّة التي أجريناها مع الأطفال في الضاحية الجنوبيّة الذين تعرّضوا لصدمة الحرب التي تمثّلت في دمار منازلهم أو وفاة أحد أفراد أسرتهم، أنّ أعراض الصّدمة قد تختلف من طفلٍ الى آخر حيث كشفت دراستنا أنه توجد فروقات بين الإناث والذكور من حيث اختيار المهنة المستقبليّةوأمنيتهم في المستقبل.

في المقابل أظهرت دراستنا، ومن خلال المقابلات، أنه لا توجد فروقات دالة بين الإناث والذكور من النّاحية النّفسيّة، حيث تمثّلت أعراض الصّدمة بالكوابيس اللّيليّة عندهم والبكاء والصراخ واضطراب النّوم والتّعلّق الشّديد بأحد أفراد العائلة، والشّد على الأسنان (راجع جدول 11). كما أنّ هؤلاء تذكّروا ما حصل لهم في الحرب فاستعادوا المشاهد الأليمة وكلّ ما تعرّضوا له من مآسٍ.

وقد ظهرت تغيّرات سلوكيّة عندهم، حيث أصبحوا أكثر عصبيّة وغضباً، كما ازدادت معدّلات الإصابة باضطرابات النوم والاكتئاب والإضاءة في أثناء اللّيل. هذه كلّها مؤشّرات تدلّ على الأسى الذي ما زال يعاني منه هؤلاء الأطفال.

كنّا نتوقّع، من حيث المبدأ، أنّ منطقة ضاحية بيروت الجنوبية، والتي تعرّضت للقصف الجوّي الإسرائيلي العنيف ثلاثة وثلاثين يوماً هي منطقة الخطر بامتياز أكثر من منطقة بيروت الغربية التي كانت آمنة نسبياً. أن النتائج التي توصلنا إليها أثبتت صحّة هذه الفرضيّة. وهذا يفسّر أنّ الحرب قد أدّت أيضاً الى ظهور المخاوف لدى أطفال المنطقة الغربية لبيروت بنسبة متقاربة من أطفال منطقة الخطر أي الضاحية، غير أنّ شدّة الصّدمة كانت بارزة أكثر لدى أطفال الفئة الأولى.

وإذا كانت دراستنا قد أفضت الى هذا الاكتشاف، فإنّه يتعيّن علينا أن نحدد حجم هذه

1 - فوزي أيوب، التأثيرات النّفسيّة والتّربويّة لحرب تموز 2006 على الأطفال والتّلاميذ اللّبنانيّن، ص17.

الصدمة ودرجة خطورتها.

وفي ضوء ما توصّلنا إليه، يمكن القول أنّ نتائج دراستنا تتّسق الى حدّ كبير مع نتائج الدّراسات السّابقة والأطر النظريّة التي تمّ عرضها في القسم الأوّل.

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أنّ الدّراسة الحاليّة قد توصّلت الى التّحقق من صحّة الفرضيات وأضاءت على الإشكاليّة وفتحت الباب أمام الدّرسات اللاحقة.

خاتمة

عرضنا في الفصل السّابق من المقاربة الميدانيّة تحليلاً كيفيّاً لنتائج الدّراسة الميدانيّة وحاولنا من خلاله ربط النتائج الإحصائيّة بالمقاربة النّظريّة، كما قدّمنا تحليلاً وتفسيراً لتلك النتائج.

وقد تبيّن من هذا التّحليل وجود آثار نفسيّة وتربويّة عند أطفال الضاحية الجنوبيّة بدرجة أعلى من أطفال منطقتي بيروت الغربيّة والشّرقيّة، حيث تمّ الكشف عن ذلك من خلال استعمالنا لتقنيتي الرّسم الحر والتّعبير الكتابي.

أجابت هذه الدّراسة عن الفرضيات التي تمّ طرحها، كما تمّ تفسير نتائجها من خلال ربطها بالأطر النّظريّة والدّراسات السّابقة التي تناولت صدمة الحرب في الأطفال. وقد تميّزت دراستنا عن تلك الدّراسات في أنّها استعملت الرّسم الحر والتّعبير الكتابي معاً لدراسة مفهومي الحرب والسّلم. وهذه التقنيات أثبتت فعاليتها وفائدتها في هذه الدّراسة. ونستطيع القول بكلّ تواضع أنّ دراستنا قد أضافت شيئاً جديداً في هذا المجال.

لقد تبيّن أيضاً من النتائج وجود اختلاف مع الدراسات السّابقة من حيث التّقنيات التي استعملها الباحثون، فقليلة هي الدّراسات التي استعملت الرّسم الحر والتّعبير الكتابي كتقنيات للكشف عمّا تخلّفه الحرب من آثار سلبيّة في الأطفال.

كما أشارت نتائج دراستنا الى وجود فروقات بين المناطق المدروسة من حيث الآثار النّفسيّة والتّربوية حيث انعكست هذه الآثار سلباً عند أطفال الضاحية الجنوبيّة بما في ذلك التّحصيل الدّراسي.

خاتمة الباب الثاني

لقد أجابت هذه الدّراسة عن الفرضيات التي تمّ طرحها، وقد أثبتت النتائج صحّتها، حيث أشارت إلى أن الحرب قد تركت آثاراً نفسيّة وتربوية سلبيّة في الأطفال بشكل عام وفي أطفال الضاحية بشكلٍ خاص، كما أدّت الى التعثّر الدّراسي وتدنّي الدافعية للدّرس.

وأظهرت نتائج الدّراسة أيضاً أن الأطفال الذين عاشوا جوّ الحرب وتعرّضوا لمخاطرها يعانون من قلق الصدمة وبالأخص أولئك الذين شاهدوا الدّمار والقتلى والجرحى وخسروا أحد أفراد العائلة أو أحد رفاقهم. وقد انعكس ذلك إلى حدّ بعيد في رسوماتهم وتعابيرهم الكتابيّة.

وهنا نستنتج أنه توجد فروقات بين الأطفال بحسب المناطق من حيث أثر التّعرض للصدمة والأضرار النّاتجة عنها، وهذا ما كشفت عنه الدراسة الحالية.

ولا شكّ أن تقنيتي التّعبير الكتابي والرّسم الحرّ كانتا من التّقنيات المفيدة جداً لدراستنا، اذ تمكنّا من خلالها أن نكشف عن آثار الحرب في الأطفال وعن معاناتهم وخبراتهم المعاشة.

لقد ظهرت أعراض التّجنّب التي هي جزء مهم من اضطراب ما بعد الصّدمة لدى عدد من الأطفال وبصورة خاصة لدى أطفال الضاحية، حيث رفض قسم منهم استرجاع صورة الحرب.

وكما رأينا في دراسة حالة الطفل عباس، كيف حذف صورة أخيه الشهيد من رسمته، كما أنه رفض أن يملأ استمارة التّعبير الكتابي لعدم استرجاع صورة الحرب أو تذكّرها.

الخاتمة العامة

تناولت هذه الدّراسة أثر حرب تموز 2006 في أطفال الضاحية وبيروت بشقيها الشرقي والغربي من خلال تقنية الرّسم الحرّ والتّعبير الكتابي حيث طرحنا مجموعة من الفرضيات المرتبطة بمتغيرات الدّراسة. فإلى أي مدى استطاعت دراستنا بلوغ أهدافها.

أولاً: الإستنتاجات

قمنا بإجراء هذه الدّراسة لرصد الآثار النّفسيّة والتّربوية التي عانى منها أطفال حرب تموز. حيث أظهرت النتائج أنّ معظم الأطفال قد أظهروا ردّات فعل انفعاليّة وسلوكيّة ولكن بدرجات متفاوتة وبحسب درجة التّعرّض للصّدمة وبحسب المنطقة.

وقد تبيّن من خلال قراءة النتائج بروز أعراض شبيهة باضطراب ضغوط ما بعد الصدمة ptsd، كالقلق واستمرار الخوف والبكاء والدعاء لوقف الحرب واضطراب النوم .... بالإضافة الى التأخّر في التّحصيل الدّراسي.

من هنا نرى أنّ سوء التّكيّف ظاهر لدى معظم الأطفال، فهم غير قادرين على محو الذّكريات والخبرات الصادمة التي مرّوا بها وغير قادرين على التّركيز وتحقيق النّجاح والتّقدّم في الدّراسة، باستثناء أطفال المنطقة الثالثة.

أمّا من النّاحية النّفسيّة، ومن خلال المقابلات التي أجريناها مع الأطفال الذين تعرّضوا مباشرة للصّدمة، فقد أصبح هؤلاء الأطفال أكثر عصبيّة وتوتراً وقلقاً وهم يرغبون في الإنخراط في صفوف المقاومة عندما يكبرون ليحاربوا العدو الاسرائيلي. وهذا كلّه سوف ينعكس على حياتهم المستقبليّة. وأظهرت الدّراسة، كما ذكرنا سابقاً، أنّ آثار الصّدمة قد تستمر في حياة الطفل لأشهر أو لسنوات. وهذا يستدعي متابعة الأبحاث على الأطفال لرصد مسارات النّمو الإنفعالي والمعرفي لديهم.

ثانياً: الجديد الذي جاءت به هذه الدّراسة

لقد حاولنا منذ البدء أن نكشف عن الأوضاع النّفسيّة والتّربويّة عند بعض الأطفال اللّبنانيين، في بيروت وضاحيتها الجنوبيّة، والذين تعرّضوا لأعمال الحرب والقصف.

وقد أظهرت دراستنا أنّ الآثار النّفسيّة والتّربويّة ما زالت قائمة بعد تسعة أشهر من انتهاء الحرب. وهذا اكتشاف مهم بحدّ ذاته لأنّنا كنّا نعتقد أنّ الطّفل ينسى مع الأيام صدمة الحرب أكثر من الرّاشد. وقد فاجأتنا نتائج البحث بعكس ما كنّا نتوقّعه.

إنّ الجديد كما يتراءى لنا كان في استعمال الرّسم الحرّ والتّعبير الكتابي كتقنيات مفيدة وسهلة لدراسة آثار الخبرات الصادمة بما فيها الحروب. وهذا المنحى ما يزال محدوداً ونادراً في الدّراسات السابقة. وقد أشار (Jolley 2004) الى ندرة الدّراسات التي استعملت الرّسم الحرّ في دراسة آثار الحروب. ونعتقد وبكلّ تواضع بأنّ دراستنا قد ساهمت في سدّ ثغرة علميّة في هذا المجال.

والشيء الجديد الذي فاجأنا أيضاً هو ظهور الإنشطار داخل الذات(clivage) عند بعض أطفال الضاحية (53 %)، (راجع جدول رقم 8). فالطفل هنا يتقمّص شخصية المقاوم الذي يقتل العدو. فهذا الطفل من جهة قد حقّق وعياً سياسياً قبل أوانه، لأنه يتماهى مع مثال المقاومة (صورة المقاوم والبطولة والاستشهاد)، وفي هذا المعنى يقوم بعمليّة اجتياف لهذا النموذج البطولي (Introjection) من خلال التّلقين العقائدي السّائد في محيطه (المدرسة، العائلة والإعلام) الذي جعله يتخطى مرحلة الطفولة الى مرحلة الرجولة دفعة واحدة.

وفي هذا الاجتياف تتّحد الأنا مع رموز المقاومة لتشعر بالقوة الذاتية من خلال التّماهي مع تلك الرّموز. أمّا من جهة ثانية، فهناك اختصار لدور الطفولة ومراحل النّماء السيكولوجي الطّبيعي. فالطفل لا يعيش طفولته وعمره الحقيقي ولا يستمتع بفرح الطفولة لأنه يعيش في مجتمع عسكري ثقافته المقاومة ومحاربة العدو.

لذا، نميل الى الإعتقاد بأن هناك خللاً قائماً في النمو النّفسي لهذا الطفل وفي مردوده

الدّراسي الذي يتجلى في تدني المهارات الأكاديميّة بالمقارنة مع أطفال الغربيّة والشّرقيّة وبالمقارنة مع نفسه قبل حرب تموز وما بعدها. فالفرح الذي يشعر به هو عيد الإنتصار على اسرائيل وليس فرح الطفولة. لذا، جاءت الرّغبة لديه في اللّعب أو الحق في اللّعب من ضمن حاجاته الملحّة والمكبوتة.

والشيء الآخر الذي أثار اهتمامنا هو ظهور القلق والاضطراب النّفسي وتدني التّحصيل لدى أطفال الفئة الثانية (بيروت الغربية)، مما يعني تأثرهم بالحرب وبالأحداث الأمنية المتكررة في العاصمة وفي بيروت الغربيّة بالذات.

أمّا أطفال بيروت الشّرقيّة فيظهر لديهم التّكامل النّفسي- الإنفعالي أكثر من أطفال الفئة الأولى والفئة الثانية.... فهناك الكثير من الانفتاح والمشاعر الانسانيّة والعودة الى الطبيعة والهدوء، مما انعكس ايجابياً في سلوكهم ووضعهم النّفسي ومردودهم الدّراسي، مع العلم أنهم يعيشون في منطقة بيروت أو في مناطق قريبة منها، وهم يعيشون طفولتهم بشكلٍ طبيعي.

ثالثاً: آفاق الأبحاث المستقبليّة

تعقيباً على دراستنا، نقترح بعض المواضيع البحثيّة، ومنها:

- استكمال الأبحاث حول أطفال الضاحية من النّاحية التّربويّة والنّفسيّة في مرحلة التّعليم الأساسي، لأننا اكتشفنا أن طفل الضاحية لا يعيش طفولته بشكل صحيح، وأنّ نضجه السّياسي المبكر يضعه أمام ضغوط وتحدّيات ليس بمقدوره أن يستوعبها تماماً ويتكيّف معها. وهذا ما انعكس سلباً على وضعه النّفسي والدّراسي والاجتماعي.

- القيام بأبحاث عن مقوّمات الصّحة النّفسيّة لدى تلامذة الضاحية وبيروت بشقيّها الشّرقي والغربي لنحدد في ضوء ذلك مدى تاثّير الحروب والنّزاعات السياسيّة في مسيرة النمو السيكولوجي والتّربوي.....

- إجراء المزيد من، الأبحاث حول الأطفال في المناطق المذكورة واعتماد الرّسم والتّعبير

الكتابي الى جانب بعض الإختبارات النّفسيّة التي تكشف عن التماهيات والصّراعات النّفسيّة وسيرورة النمو.....

وتعتقد (Melanie Klein) في هذا المعنى[1] "أنّ إسقاط بعض الأجزاء الحسنة من الذات على الآخر كمثال يُولّد قلقاً بسبب الشّعور بالحرمان من الأشياء المفرحة. وهذا القلق يتفاقم عندما يشعر الطفل بانّه قد حرم من بعض حاجاته الأساسيّة أو أنّ ما لديه قد أصبح في يد الآخر". وفي أي حال، فإنّ هذه الأمور تحتاج الى أبحاث إضافيّة لكشف هذه النقطة المهمة.

وفي الختام، نترك للدّراسات اللاحقة مهمّة استكمال ما فات بحثه في هذه الدّراسة، ونرجو أن تكون هذه الدّراسة محاولة علميّة متواضعة في الكشف عن آثار الحروب في الأطفال لنقف على حقيقة ما يطرأ على نموّهم النّفسي ونشاطهم الدّراسي من اضطرابات وتغييرات قد لا تخدم مسيرة النمو المتكامل لديهم.

---

1 - H. segal, Introduction á l'oeuvre de Melanie Klein, paris, PUF, 1990, p 24.

الملاحق

تمهيد

رأينا انّه من المفيد أن نضع بين يدي القارئ الملاحق التي اعتمدنا عليها وأُفدنا منها في هذه الدّراسة.

وقد تضمّنت هذه الملاحق الإستمارات التي تمّ استعمالها في البحث الميداني، فهناك استمارة التّعبير الكتابي عن الحرب والسّلام واستمارة الرّسم الحر واستمارة المقابلات الفردية مع الأطفال من كلا الجنسين ثمّ استمارة سلوك التلميذ.

ملحق رقم -1 -

التّعبير الكتابي عن الحرب

الاسم:.................... التاريخ:....................

العمر:.................... الصف:....................

ذكر ☐ أنثى ☐ تعبير كتابي

أجب عن الأسئلة التالية:

- ماذا تعني لك الحرب؟ عبّر عن شعورك تجاهها واصفاً إحساسك وكل ما تأثرت به خلال فترة الحرب، وهل ما زلت متأثراً بحالة الحرب حتى اليوم؟

الحرب...

....

....

شعورك خلال فترة الحرب...

....

....

....

....

....

....

....

....

....

شعورك اليوم...

....

....

....

....

....

....

....

....

....

خاتمة...

....

ملحق رقم - 2 -

التّعبير الكتابي عن السّلام

الإسم:__________ التاريخ:__________

العمر:__________ الصف:الخامس أساسي ( )

☐ ذكر ☐ أنثى

تعبير كتابي

- ماذا تعني لك عبارة "**السّلام**"؟ اشرح

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

- حاول أن ترسم فكرة السّلام **في أسفل الصّفحة**

ملحق رقم - 3 -

الرّسم الحر

الإسم:___________ التاريخ:________________

الصف:الخامس أساسي ( ) المنطقة: ____________

رسم حرّ

"ارسمْ ما يخطر على بالك الآن كما تريد وكما تحب أن تعبّر عنه " **محدّداً معالم الرّسمة.**

ملحق رقم -4 -

استمارة المقابلات (ذكر)

استمارة الطفل (ذكر)

أ- هويّة الطفل

الاسم والشهرة.....................
العمر...............................
محل الاقامة...........................
رتبة الولادة ....

الصف الخامس الأساسي
اسم المدرسة.......................
تاريخ المقابلة......................
نتائج الحرب........................

ب- مقابلة الطفل

أسئلة تمهيديّة شفوية

١- ماذا تحب أن تكون في المستقبل؟ ولماذا؟

☐ معلّم مدرسة
☐ ممثل أو مغني
☐ تاجر
☐ صحافي
☐ ممرّض أو طبيب
☐ محارب (مقاوم)
☐ مزارع
☐ غير ذلك ، ....

٢- ماذا تتمنّى أن يتحقق في حياتك؟

☐ أن أكون قوياً وأقتل العدو الاسرائيلي
☐ أن يحبني أمي وأبي أكثر
☐ أن يحبني اخوتي وأخواتي أكثر
☐ أن أسافر الى بلد بعيد لا يوجد فيه حروب، من تحب أن تأخذ معك؟ ....

٣- الظروف التي عاشها أثناء حرب تموز ٢٠٠٦

– مكان الإقامة أثناء الحرب: – ☐ داخل لبنان طوال فترة الحرب
– ☐ داخل لبنان لفترة زمنية قصيرة
– ☐ خارج لبنان، أين؟ ....

– هل استشهد أحد أفراد الأسرة؟ ☐ نعم (من هو؟)............. ☐ كلا
– هل دُمّر منزلكم؟ ☐ نعم ☐ كلا
– هل شاهدت القصف والدمار؟ ☐ نعم ☐ كلا
– هل شاهدت التلفاز باستمرار؟ ☐ نعم ☐ كلا (ماذا كنت تفعل؟)............
– هل كنت سريع الاستثارة والفزع؟ ☐ نعم ☐ كلا
– هل كان لديك مشاكل في النوم؟ ☐ نعم (حدّد)............... ☐ كلا
– هل حلمت أحلاماً مزعجة (كوابيس) عن الأحداث التي مررت بها ؟ ☐ نعم ☐ كلا
– هل تجنّبت الأماكن أو الأشخاص الذين يجعلونك تتذكّر تلك الأحداث؟ ☐ نعم ☐ كلا
– هل الأهل كانوا يصرخون ويخافون عند سماع صوت القذائف والطيران؟ ☐ نعم ☐ كلا

– هل رأيت الطيران الحربي؟ ☐ نعم (كيف كان يتصرّف)................ ☐ كلا

– هل شاهدت أحداً مات أمامك؟ ☐ نعم (من؟) .... ☐ كلا

أسرد الحادثة: ....

....

– هل أصبت بسبب القصف؟ ☐ نعم (حدّد).................................. ☐ كلا

أسرد الحادثة: ....

....

– هل أصيب أحد أفراد الأسرة بسبب القصف؟ ☐ نعم (حدّد).................. ☐ كلا

أسرد الحادثة: ....

....

– هل شعرت أنّ الموت قريب منك أثناء الحرب؟ ☐ نعم ☐ كلا

– كيف كانت حالتك الصحيّة والنّفسيّة أثناء الحرب؟ أسرد الحادثة ....

....

٤– الظروف التي تعيشها اليوم ، فترة ما بعد حرب تموز ٢٠٠٦

– هل تتذكر باستمرار أحداث فترة الحرب؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تتوقّع شيئاً خطيراً سيحدث لك أو لأحد أفراد أسرتك؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تحب الوحدة وتبدي عدم الرغبة في الكلام؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تضيء الأنوار وأنت نائم؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تعاني من كوابيس ليليّة؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل توجد بينك وبين أحد زملائك خلافات؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا

٥– كيف هي حالتك النفسية والصحية اليوم مقارنة بأيام الحرب؟ ☐ أفضل ☐ أسوأ ☐ على حالها

– هل تشكو من ضيق في التّنفس؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تلجأ الى الضغط على أسنانك؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تراودك رغبة في البكاء؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تشكو من الصداع (آلام في الرأس)؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تشكو من بعض أمراض الحساسية؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تلجأ الى الصمت والسكوت في بعض المواقف؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل أنت شديد العصبيّة والتوتّر؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تعاني من قلق أثناء النوم؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا
– هل تشعر بالهدوء والطمأنينة والارتياح؟	☐ كلا	☐ قليلا	☐ كثيرا

٦- كيف ترى نفسك في المدرسة؟ ☐ ممتاز ☐ وسط ☐ دون الوسط

- هل أنت تحب المدرسة؟ ☐ كلا ☐ قليلا ☐ كثيرا
- هل تتغيب عن المدرسة؟ ☐ كلا ☐ قليلا ☐ كثيرا
- هل تشرد في الصف وتشعر بعدم القدرة على التركيز؟ ☐ كلا ☐ قليلا ☐ كثيرا
- هل تجد صعوبة في كل المواد التي تدرسها؟ ☐ كلا ☐ قليلا ☐ كثيرا
- هل يهتمون بك المعلّمين في الصف؟ ☐ كلا ☐ قليلا ☐ كثيرا

٧- هل تخاف من :

	نعم	كلا		نعم	كلا		نعم	كلا
غارات الطيران الجوي			انفصال الأهل			القتل والاغتيال		
النوم لوحدك			العدو			الأصوات العالية		
صوت الرعد			الألغام			القصف		
عودة الحرب			مشاهدة الأخبار على التلفاز			الموت		

٨- هل شاهدت مشاهد القتل والدمار على شاشة التلفاز؟ ☐ نعم ☐ كلا

٩ – ماذا تفعل عندما تشاهد ذلك على شاشة التلفاز؟

☐ أطفئ التلفاز ☐ أخرج من الغرفة ☐ أغمض عيناي ☐ أشاهد الى أن ينتهي ☐ أبكي

١٠ – بماذا تشعر عند مشاهدتك لذلك؟

☐ أخاف وأقلق ☐ أتذكّر الحادثة ☐ أحزن غير ذلك: ....

١١- من هو الاسرائيلي؟..

....

١٢- بماذا تحب أن تلعب أكثر شيء؟

☐ سيارة ☐ دمية ☐ دبابة ☐ طيارة حربية ☐ رشاش (لعبة) ☐ كرة مع رفاقي

١٣- كيف ترى نفسك اليوم؟

☐ أنا ولد قوي ولا أخاف

☐ أنا قوي قليلاً

☐ صرت أخاف كثيراً بعد الحرب من..

....

....

ملحق رقم -5 -

استمارة المقابلات (أنثى)

استمارة الطفل (أنثى)

أ- هويّة الطفل

الاسم والشهرة.................. الصف الخامس الأساسي

العمر............................. اسم المدرسة......................

محل الاقامة........................ تاريخ المقابلة.....................

رتبة الولادة .... نتائج الحرب......................

ب- مقابلة الطفل

أسئلة تمهيديّة شفوية

١- ماذا تحبين أن تكوني في المستقبل؟ ولماذا؟

☐ معلّمة مدرسة ☐ مزارعة

☐ ممثلة أو مغنية ☐ ممرّضة أو طبيبة

☐ خياطة ☐ محاربة (مقاومة)

☐ صحافية ☐ غير ذلك ، حدّد.........

٢- ماذا تتمنّين أن يتحقق في حياتك؟

☐ أن أكون قويّةً وأقتل العدو الاسرائيلي

☐ أن يحبني أمي وأبي أكثر

☐ أن يحبني اخوتي وأخواتي أكثر

☐ أن أسافر الى بلد بعيد لا يوجد فيه حروب. من تحب أن تأخذ معك؟ ....

٣- الظروف التي عاشتها أثناء حرب تموز ٢٠٠٦

- مكان الإقامة أثناء الحرب: - ☐ داخل لبنان طوال فترة الحرب
- ☐ داخل لبنان لفترة زمنية قصيرة
- ☐ خارج لبنان

- هل استشهد أحد أفراد الأسرة؟ ☐ نعم (من هو؟)............. ☐ كلا
- هل دُمّر منزلكم؟ ☐ نعم ☐ كلا
- هل شاهدت القصف والدمار؟ ☐ نعم ☐ كلا
- هل شاهدت التلفاز باستمرار؟ ☐ نعم ☐ كلا (ماذا كنت تفعل؟)..............
- هل كنت سريعة الاستثارة والفزع؟☐ نعم ☐ كلا
- هل كان لديك مشاكل في النوم؟ ☐ نعم (حدّد)........................ ☐ كلا
- هل حلمت أحلاماً مزعجة (كوابيس) عن الأحداث التي مررت بها ؟ ☐ نعم ☐ كلا
- هل تجنّبت الأماكن أو الأشخاص الذين يجعلونك تتذكّرين تلك الأحداث؟ ☐ نعم ☐ كلا
- هل الأهل كانوا يصرخون ويخافون عند سماع صوت القذائف والطيران؟ ☐ نعم ☐ كلا

هل رأيت الطيران الحربي؟ ☐ نعم (كيف كان يتصرف)................ ☐ كلا

– هل شاهدت أحداً مات أمامك؟ ☐ نعم (من؟) .... ☐ كلا

أسرد الحادثة: ....

....

– هل أصبت بسبب القصف؟ ☐ نعم (حدّد).................................. ☐ كلا

أسرد الحادثة: ....

....

– هل أصيب أحد أفراد الأسرة بسبب القصف؟ ☐ نعم (حدّد).................... ☐ كلا

أسرد الحادثة: ....

....

– هل شعرت أنّ الموت قريب منك أثناء الحرب؟ ☐ نعم ☐ كلا

– كيف كانت حالتك الصحيّة والنفسيّة أثناء الحرب؟ أسرد الحادثة ....

....

٤– الظروف التي تعيشها اليوم ، فترة ما بعد حرب تموز ٢٠٠٦؟

– هل تتذكرين باستمرار أحداث فترة الحرب؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تتوقّعين شيئاً خطيراً سيحدث لك أو لأحد أفراد أسرتك؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تحبين الوحدة وتبدين عدم الرغبة في الكلام؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تضيئين الأنوار وأنت نائمة؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تعانيين من كوابيس ليليّة؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل توجد بينك وبين أحد زملائك خلافات؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

٥– كيف هي حالتك النفسية والصحية اليوم مقارنة بأيام الحرب؟ ☐ أفضل ☐ أسوأ ☐ على حالها

– هل تشتكين من ضيق في التّنفس؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تلجئين الى الضغط على أسنانك؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تراودك رغبة في البكاء؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تشتكين من الصداع (آلام في الرأس)؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تشتكين من بعض أمراض الحساسية؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تلجئين الى الصمت والسكوت في بعض المواقف؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل أنت شديدة العصبيّة والتوتّر؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تعانين من قلق أثناء النوم؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

– هل تشعرين بالهدوء والطمأنينة والارتياح؟ ☐ كلا ☐ قليلاً ☐ كثيراً

كيف تجدين نفسك في المدرسة؟ □ ممتاز □ وسط □ دون الوسط

- هل أنت تحبين المدرسة؟ □ كلا □ قليلا □ كثيرا
- هل تتغيبين عن المدرسة؟ □ كلا □ قليلا □ كثيرا
- هل تشردين في الصف وتشعرين بعدم القدرة على التركيز؟ □ كلا □ قليلا □ كثيرا
- هل تجدين صعوبة في كل المواد التي تدرسينها؟ □ كلا □ قليلا □ كثيرا
- هل يهتمون بك المعلّمين في الصف؟ □ كلا □ قليلا □ كثيرا

٧- هل تخافين من :

	نعم	كلا		نعم	كلا		نعم	كلا
غارات الطيران الجوي			انفصال الأهل			القتل والاغتيال		
النوم لوحدك			العدو			الأصوات العالية		
صوت الرعد			الألغام			القصف		
عودة الحرب			مشاهدة الأخبار على التلفاز			الموت		

٨- هل شاهدت مشاهد القتل والدمار على شاشة التلفاز؟ □ نعم □ كلا

٩ - ماذا تفعلين عندما تشاهدين ذلك على شاشة التلفاز؟

□ أطفئ التلفاز □ أخرج من الغرفة □ أغمض عيناي □ أشاهد الى أن ينتهي □ أبكي

١٠ - بماذا تشعرين عند مشاهدتك لذلك؟

□ أخاف وأقلق □ أتذكّر الحادثة □ أحزن غير ذلك: ....

١١- من هو الاسرائيلي؟...

....

١٢- بماذا تحبين أن تلعبي أكثر شيء؟

□ بيت بيوت □ دمية □ دبابة □ لعبة الحرب □ رشاش (لعبة) □ كرة مع رفاقي

١٣- كيف ترين نفسك اليوم؟

□ أنا بنت قوية ولا أخاف

□ أنا قوية قليلاً

□ صرت تخافين كثيراً بعد الحرب؟ من ماذا؟ ....

....

....

ملحق رقم -6 -

استمارة سلوك التلميذ

اسم المدرسة ____________ التاريخ ____________

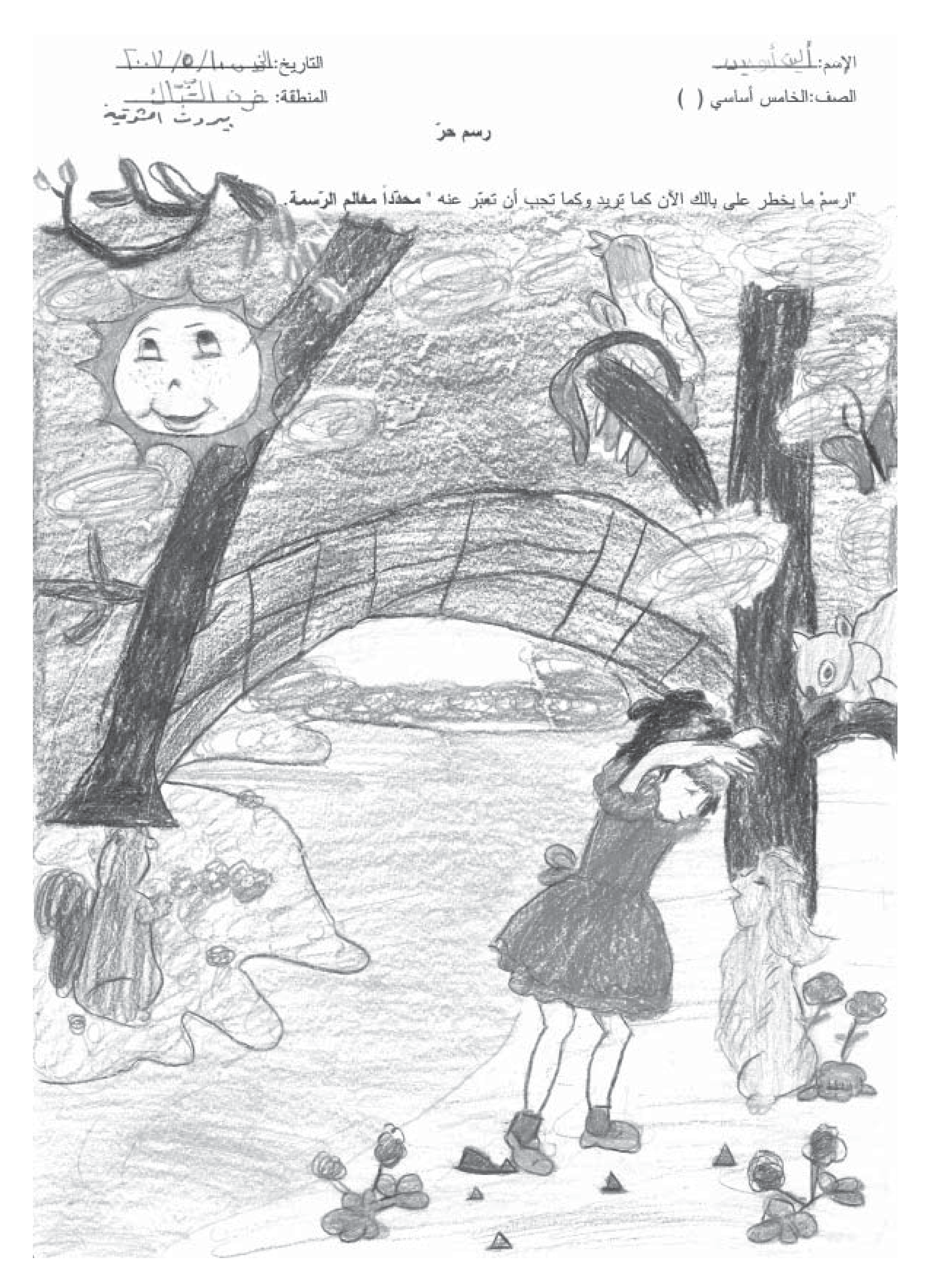
الصف: الخامس ( )

ملاحظات حول سلوك التلميذ ٢٠٠٦-٢٠٠٧

الاسم	محل الاقامة (المنطقة)	التحصيل الدراسي من العام الماضي حتى الآن			التركيز والانتباه في الصف الآن			تأخر الآن في التحصيل			زيادة الحركة			يشرد الآن			نتائج الحرب: وفاة			دمار المنزل	
		ضعيف	وسط	جيد	ضعيف	وسط	جيد	كثيراً	وسط	كلا	كثيراً	وسط	كلا	كثيراً	وسط	كلا	الأب	الأم	أحد الأخوة	نعم	كلا

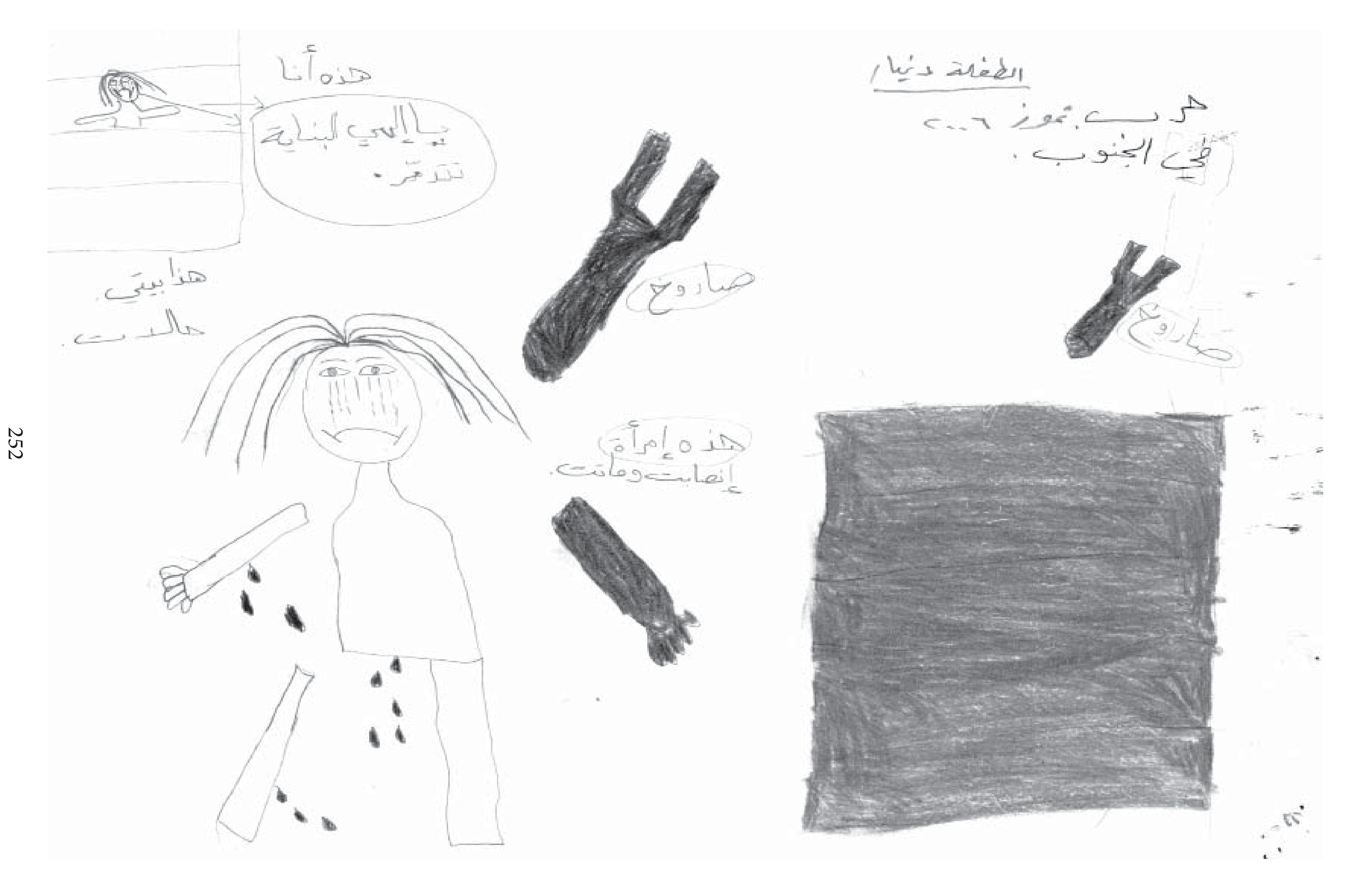
ملحق رقم -7 -

نماذج لبعض رسومات الأطفال وتعابيرهم الكتابية





هذا المشهد بعد الحرب
بعد الحرب
عيد النصر
هذا منزل جارنا الذي أبنه كان يدافع عن وطنه مع أبن خالي وعمي
هذا منزلنا
في منطقة الضاحية الجنوبية
نصر الله
السيد
حزب الله
هذا أبن خالي في المقاومة
هذا أبن عمي في المقاومة
يا لهذا الانتصار الكبير
أعدك بالنصر
حرب تموز ٢٠٠٦
الضاحية
الطفل حسين
٢٠٠٧


الطفلة دينا
حرب تموز ٢٠٠٦
في الجنوب.
صاروخ
هذه أنا
يا إلهي البناية تتدمّر.
هذا بيتي
صاروخ
هذه إمرأة إنصابت وماتت.


الحرب
الطفلة اسراء
هذه منطقة الضاحية
هذه أنا أبكي وأتألم

الإسم:

التاريخ: ١٨/٥/٢٠٠٧

المنطقة: عين الشباك

بيروت الشرقية

رسم حرّ

"ارسمْ ما يخطر على بالك الآن كما تريد وكما تحب أن تعبّر عنه " **محدّداً معالم الرّسمة.**

الطبيعة في فصل الربيع



التاريخ: الأربعاء ١٤ آذار ٢٠٠٧
الصف: الخامس الشعبة (أ)
بيروت العربية

الإسم: [مشطوب]
العمر: ١٣ سنة
☑ ذكر ☐ أنثى

تعبير كتابي



– ماذا تعني لك عبارة "**السّلام**"؟ اشرح

– حاول أن ترسم فكرة السّلام **في أسفل الصّفحة**

السلام: يعني الحب الفرح الذي يجمع بيننا العقوع وارتفاع الإقتصاد بلا قتال ولا موت
والأمان الكبير. السلام هو شيء ضروري للعالم في الأمان والحركات
ظل السلام متفقاً مع جميع العالم. أن السلام مهماً لحياة الإنسان
وإن لم يكن عالم فعلية أن يكون عالم مثالاً لا يؤذي الناس
أن يكون هو سنا أو جار

السلام

السلام

أنا أحب السلام

سلام سلام على من يحب السلام

السلام السلام نحن نحب السلام

السلام نحب السلام

الإسم:

التاريخ:

المنطقة:

بيروت الشرقية

رسم حرّ

"ارسمْ ما يخطر على بالك الآن كما تريد وكما تحب أن تعبّر عنه " **محدّداً معالم الرّسمة.**




الطفل يحيى
حرب تموز ٢٠٠٦
يحيا لبنان الواحد الموحد
نريد الحرية
لا للحرب
نريد السلام
استقلال

الإسم: سلمى رضا
العمر: ١٠ سنوات
☐ ذكر ☒ أنثى

التاريخ: الإثنين ١٩ آذار ٢٠١٧
الصف: الخامس الأساسي
بيروت (الغبيري)

تعبير كتابي

- ماذا تعني لك عبارة "**السّلام**"؟ اشرح

- حاول أن ترسم فكرة السّلام **في أسفل الصّفحة**

عبارة السلام تعني لي الحب والتسامح والصداقة والإحترام والهدوء وتضامن العالم والطمأنينة والتناصر وتوقف الحرب



الإسم: هف ضياء
العمر: [illegible]
ذكر ☐ أنثى ☑

التاريخ: الجمعة ١٨ - أيار - ٢٠٠٧
الصف: الخامس أساسي



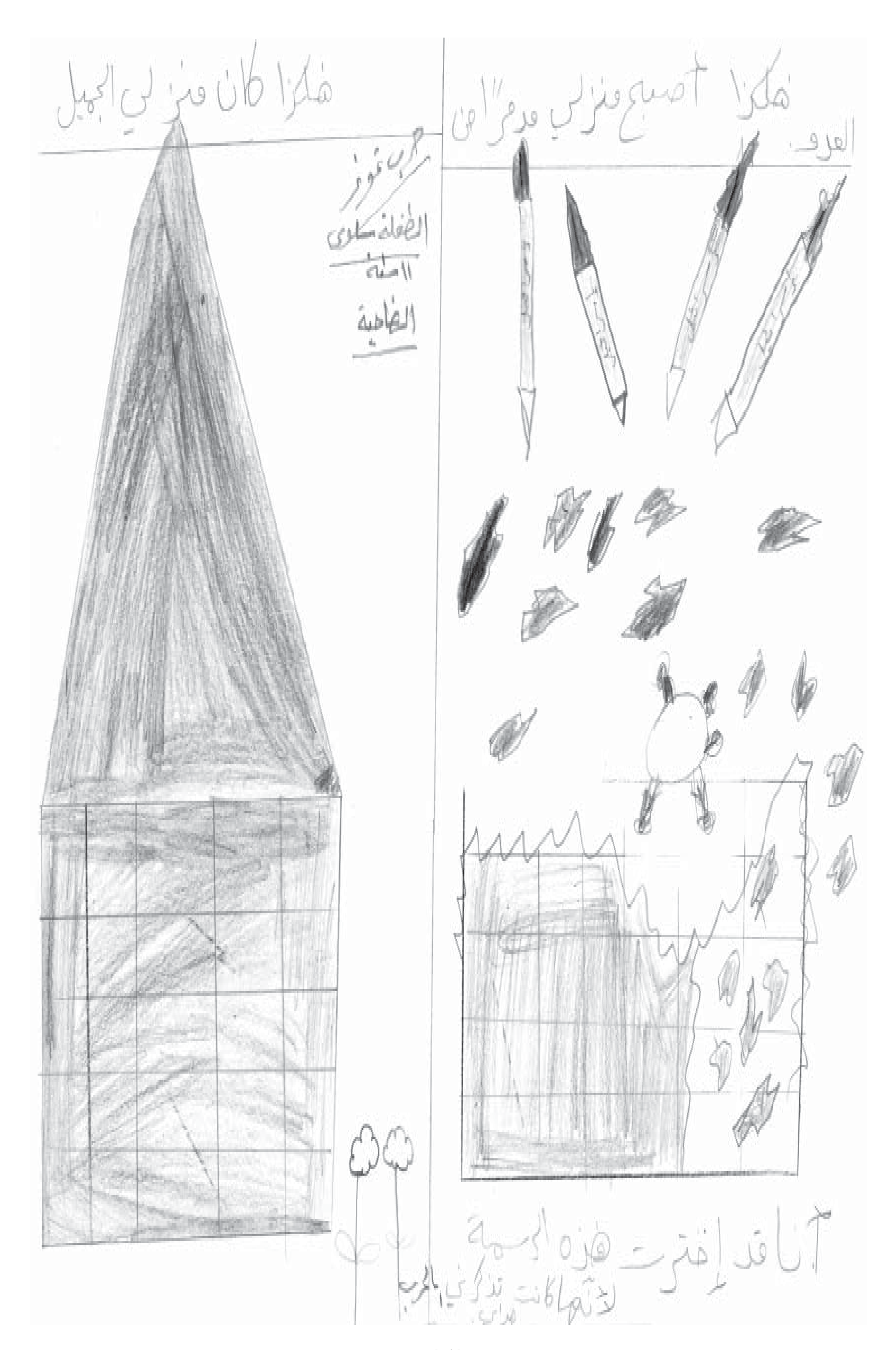
تعبير كتابي

– ماذا تعني لك عبارة "السّلام"؟ اشرح

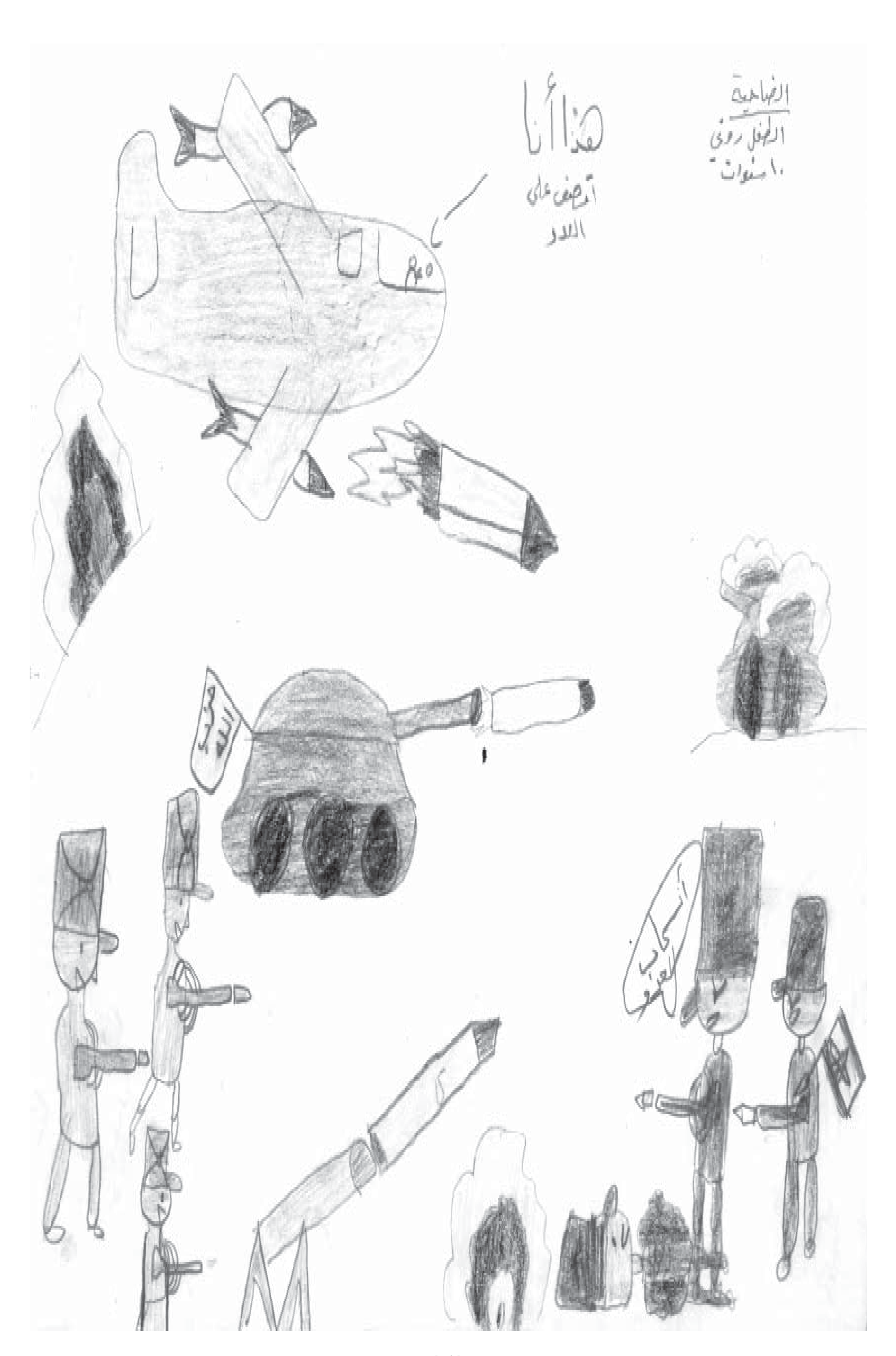
– حاول أن ترسم فكرة السّلام **في أسفل الصفحة**

السلام هو منتهى الأمانة آلتي يريده المرء في حياته وفي بلده. ليعم
بحياة كريمة خالية من الحروب والمصائب على الشعوب. فليت السلام
يعمّ بلدنا ويكون سلام عادي لنا.
السلام أيضاً هو إبعاد الأطفال عن الأماكن الخطرة آلتي يوجد بها متفجرات و
ألغام. أتمنّى أن يبقى السلام في بلدنا وفي البلاد الأخرى.




هكذا كان منزلي الجميل
هكذا أصبح منزلي مدمراً من العدو
حرب تموز
الطفلة سلوى
11 سنة
الضاحية
أنا قد اخترت هذه الرسمة
لأنها كانت تذكرني بالحرب


الطفل هادي
الضاحية
مجزرة بئر العبد
مشهد في حرب لبنان
٢٠٠٦
رأيت هذا
على
التلفزيون
في بئر العبد
هذا الحرب
هذا أنا


هذا أنا
أقصف على البلد
الضاحية
الطفل روني
١٠ سنوات
حزب الله
انسحاب العدو

الإسم: مرتضى خليفة | التاريخ: ١٧-٣-٢٠٠٧

العمر: ١١ الضاحية | الصف: الخامس تربوي أساسي

☒ ذكر ☐ أنثى

تعبير كتابي

- ماذا تعني لك عبارة "السّلام"؟ اشرح
- حاول أن ترسم فكرة السّلام **في أسفل الصّفحة**

طالما هناك سلام أنا مسرور وسعيد لأنّ السّلام كلمة تعني "لا للحروب" وأنا أكره الحروب.

في السّلام كل أمنياتي تتحقق، إذا كانت أمنيتي اللعب خلف منزلي. أمّا في الحرب ممنوع اللّعب لأنّ أهلي يقولون لي "يا مرتضى بتلعب رأسي يوجعني".

الآن كل ما في قلبي أصبح على الورقة ولكنّ ما زال هناك عبارة: ليحل السّلام في لبنان.

السّلام يعني الحضارة، والحضارة هي التّطوّر، وما أجمل التّطوّر.

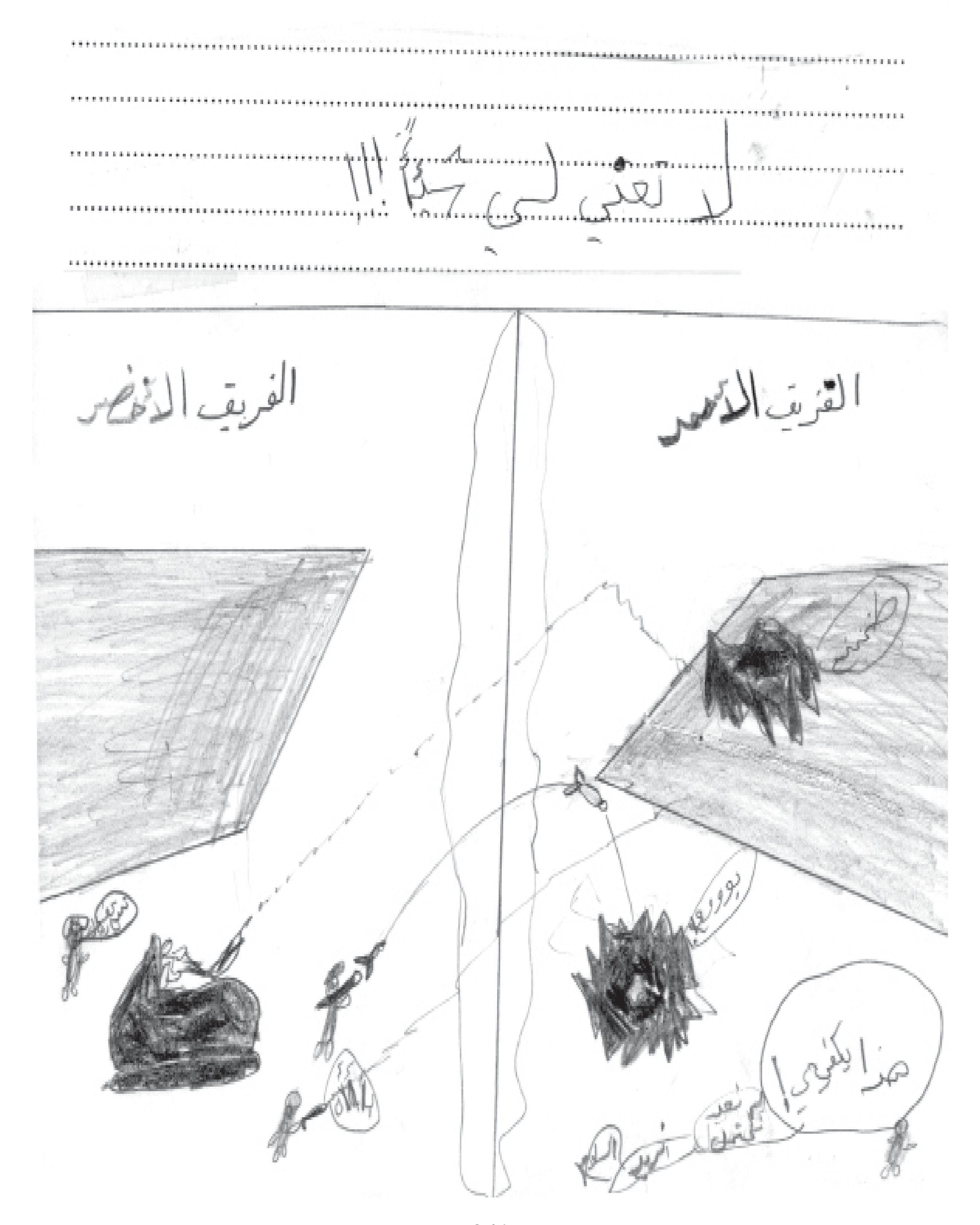
لا للحرب

ليبقى لبنان حرًا مستقلًا

ليحل السلام في لبنان

- ماذا تعني لك عبارة "السّلام"؟ اشرح

- حاول أن ترسم فكرة السّلام **في أسفل الصّفحة**



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللّغة العربيّة

1 - **أحمد (علي مدكور)**، تدريس فنون اللّغة العربيّة، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح، 1984.

2 - **الأمين (عدنان)** وغيره، الأحوال النّفسيّة للأطفال والشباب في لبنان بعد حرب تموز 2006، ط1، بيروت : الهيئة اللّبنانيّة للعلوم التّربويّة، الجمعيّة الكويتيّة لتقدّم الطّفولة العربيّة، 2008.

3 - **أنيس (ابراهيم)** وغيره، المعجم الوسيط، ط2، القاهرة : مطابع دار المعارف، 1973، ج2.

4 - **أيوب (فوزي)**، «التّأثيرات النّفسيّة والتّربوية لحرب تموز 2006 على الأطفال والتّلاميذ اللّبنانيّن»، لاط، لبنان: المجلس الأعلى للطفولة، 2007.

5 - **الجمعية الكويتيّة لتقدم الطّفولة العربيّة**، حرب الخليج (أبعادها وآثارها على أطفال الكويت)، ط1، الكويت : الجمعيّة الكويتيّة لتقدّم الطّفولة العربيّة، ج8، 1993.

6 - **جمعيّة منظمة اليونيسيف**، « تأثير الحرب في الأطفال»، جمعيّة اليونيسيف، www.unicef.org، 1996.

7 - **الحدّاد (يحي فايز)**، «الحروب وآثارها النّفسيّة على الأطفال»، مجلة عالم الفكر، ع2، مج36، أكتوبر-ديسمبر، 2007.

8 - **حرز (رماز)**، الآثار النّفسيّة والتّربوية للعدوان الإسرائيلي على أطفال قانا، صفحة (مستنسخة).

رسالة ماجستير في الإرشاد والتّوجيه : كليّة التّربية،الجامعة اللّبنانيّة، بيروت، 2004.

9 - **الرّشيدي (بشير صالح)**، «الخريطة النفسيّة والاجتماعية للشّعب الكويتي بعد العدوان العراقي»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع74، السّنة 19، يوليو 1994.

10 - **ستانفورث (شارلوت)**، أطفال بلا طفولة (أطفال فلسطين في زمن الحرب)، تر. مركز جنين للدّراسات الاستراتيجيّة، ط1، عُمان : الجمعيّة الكويتيّة لتقدّم الطّفولة العربيّة، 2004 ، سلسلة الدّراسات العلميّة الموسميّة المتخصّصة.

11 - **سراج (نادر)**، «مفردات الشّباب بين العادات والمستجدّات والشّوارد»، مجلة الأحداث، ع4، بيروت، 1993.

12 - **سعودي (منى)**، شهادة الأطفال في زمن الحرب (رسوم أطفال فلسطينيين)، لاط، بيروت: دار مواقف، 1970.

13 - **السّفير**، «انعكاسات الحرب الهمجيّة ستبقى مطبوعة في شخصيّة الأطفال»، جريدة السّفير، www.assafir.com/info، بيروت: ع1356، تشرين الأول 2006.

14 - **سنّو (رؤوف)**، حرب لبنان 75 - 90، ط1، بيروت، الدّار العربيّة للعلوم، مج 2، 2008.

15 - **شرف (عبد العزيز)**، اللّغة الإعلاميّة، ط1، بيروت : دار الجيل، 1990.

16 - **الشّرق الأوسط** ، « أكثر من 60 قتيلاً و50 جريحاً في يارون بينهم 39 طفلاً» ، جريدة الشّرق الأوسط، www.asharqalawsat.com/info، بيروت : الاثنين 5 رجب 1427/ يوليو 2006، ع 10107.

17 - **الشّرق الأوسط** ، «موعد أطفال لبنان مع أعراض ما بعد الصّدمة بعد عامين»، جريدة الشّرق الأوسط، www.asharqalawsat.com/info، بيروت، ع10198، 3 آب 2006 .

18 - **شلالا (ليليان)**، قلق الحرب في رسوم الأطفال اللّبنانيين، 173 صفحة (مستنسخة).

رسالة ماجستير: كلية التّربية، الجامعة اللّبنانيّة، بيروت، 2004.

19 - **عاكوم (كارولين)**، مشلب (مايا)، «موعد أطفال لبنان مع أعراض ما بعد الصّدمة بعد عامين» ، جريدة الشّرق الأوسط، بيروت : 30 أكتوبر 2006، ع 10198.

20 - **عبد الله (مي)**، وضعيات الرّعاية البديلة وعلاقتها بالتّكيّف المدرسي (حالة أبناء شهداء المقاومة الإسلاميّة)، 186 صفحة (مستنسخة).

رسالة ماجستير في الإرشاد التّربوي: كلية التّربية، الجامعة اللّبنانية، بيروت : **2007.**

21 - **عطيّه (نعيم)**، ذكاء الأطفال من خلال الرّسوم (نسق جديد لاختبار "رسم الرّجل" دراسة تجريبيّة)، لا ط، بيروت: دار الطّليعة، 1993.

22 - **عمّار (ابن محمّد)**، النّصراوي (مصطفى)، الآثار النّفسيّة والصّحيّة والاجتماعيّة لحرب الخليج على أطفال المنطقة وسبل علاجها، لا ط، تونس: المنظّمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، 1996.

23 - مركز البحوث والدّراسات الكويتيّة، أثر الغزو العراقي على أطفال الكويت «تجارب مؤلمة»، ط1، الكويت : مركز البحوث والدّراسات الكويتيّة، 2002.

24 - مكتب الإنماء الاجتماعي، أبناء الشهداء والأسرى وحاجاتهم الإرشاديّة، لاط، الكويت : مكتب الإنماء الإجتماعي ، 1998.

25 - مكتب الإنماء الاجتماعي، الإضطرابات التالية للأحداث الصّدميّة (دراسة إيبديمولوجيّة)، ط1، الكويت، مكتب الإنماء الإجتماعي، 2000.

26 - **المهاجر (جعفر)**، "العنوان الآثار النّفسيّة الناجمة عن الإرهاب الإسرائيلي"، جريدة

الشّرق الأوسط، بيروت : 12 شباط 2007، ع 10258.

27 - مهدي (جاسم محمد حسن)، أثر استخدام برنامج تلفزيوني في تنمية مهارات التّعبير الكتابي لدى طلبة المرحلة الثانويّة بدولة البحرين، 185 صفحة (مستنسخة).

رسالة ماجستير في التّربية: جامعة القدّيس يوسف، معهد الآداب الشّرقيّة، بيروت:1999.

28 - ميدل إيست أونلاين، «أمراض ما بعد الحرب ptsd تطارد أطفال لبنان»، MEAonline.com، واشنطن، 12/ 9/ 2006.

29 - نعمة (أديب)، أوضاع الأطفال في لبنان (1993 - 1998)، بيروت، التّقرير الوطني اللّبناني، الجمهورية اللّبنانية، وزارة الشّؤون الاجتماعية، المجلس الأعلى للطّفولة، 1998.

30 - النّهار، «أشلاء ضحايا عدد من سكان مروحين في المجزرة التي ارتكبتها اسرائيل»، جريدة النّهار، www.annahar.com/info ، بيروت، الأحد 16 تموز، السّنة 73، ع22714.

31 - النّهار، «أطفال قانا يقلبون الموقف الدّولي»، جريدة النّهار، www.annahar.com/info ، بيروت: الإثنين 31 تموز، ع22729، السّنة 73.

32 - يعقوب (غسّان)، سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النّفسي، ط1، بيروت: دار الفارابي، 1999 .

33 - يعقوب (غسان)، دمعة (ليلى)، أطفال الحرب في لبنان، ط1، بيروت: دار النّهار، 1991.

ثانياً: المصادر والمراجع باللّغة الأجنبيّة

1 - Burgess (A.W), Hartman (C.R), Children's drawings. Child Abuse and Neglect, 17(1), 1993.

2 - Carlier (l) et al , PTSD in relation to Dissociation, J.of psycho, 1996.

3-Chami, Antoine, Le dessin projectif en clinique infantile,school press, Beyrouth,2005.

4- Corman (L), Le test de dessin de famille, P.U.F.,1990.

5- Dyregrow (A), Raundalen (M), Traumatic War Stress experiences and their effects on children, New york : plenum press,1993.

6- Elyette (Dany), Colette (Duran) et alt., L'école maternelle première école, Paris, Armand colin, 1990.

7- Fayyad (J), jahshan (C), & Karam (E.G), Cultural and Social influences in child and adolescent psychiatry : child and adolescent psychiatric clinics of north America, Systems development of child mental health services in developing countries, 10(4), 2001.

8- Garmezy (N), children under stress, J.Am.Acad, of child & Adolescent psycho, 1986.

9- G.H.(Luquet), Le dessin enfantin, Paris, Delachaux et Niestlé, 1997.

10- Gorden (R),Wraith (R) ,Responses of children and adolescents

to disaster, New York : International handbook of traumatic stress syndrome,1993, plenum press.

11- Kinzie.J, A century of controversy surrounding PTSD spectrum symptoms, in J. of Trauma. Stress,1996.

12- Kwan (Saad), Raidy (Joseph), Rapport sur des activites de terrain dans un domain préscolaire, U.L., 1994.

13- Lowenfeld.v and Britain,Creative and Mental growth, 7ed, m.y. macmillan,1982.

14- Mawson (A) et al. War brought us here : Protecting children displaced within their own countries by conflict, Save the children, 2000.

15- Nader (K.O), Fairbanks (L.A), The suppression of reexperiencing : Impulse control and somatic symptoms in children following traumatic exposure, Special issue : war and stress in the Middle East, Anxiety, stress and coping : An International journal, no.3.

16- Punamaki (R), Children under conflit : The attitudes and emotional life of Israeli and Palestinian children. Tampere Resarch Institute, Research Report no. 32, 1987.

17- Pynoos (R), Witness to violence, J.Am.Acad. of child and adol. Psycho, no. 25, 1990.

18- R (Jolley), creation children experience of war, brith j, of clinical psycho, no. 40, 2004.

19- Royer (Jacqueline), Que nous disent les dessins d'enfants,

Paris, hommes et perspectives, 1995.

20- Rubonis (A.V), Bickman (L), Psychological Impairment in the wake of disaster : The disaster-psychopathology relationship, Psychological Bulletin, no.3, 1991.

21- Saigh (P.), The development and validation of the children's posttraumatic stress disorder inventory, international journal of special education, 1989.

22- Saigh (P.) et al, Self Efficacy Expectations Among Traumatized Adolescents, Behavior Research Therapy, 1995.

23- Shatan (C), The ratted Ego of Survivors, psycho.Annals, 1982.

24- Srour (W.A), children living under a multi-traumatic environment : The Palestinian case. Israel journal of psychiatry, no. 42, 2005.

25- segal (H), Introduction á l'oeuvre de Melanie Klein, paris, PUF, 1990.

26- Terr (L), Childhood Traumas, American psychology, no.148. 1991.

27- Thabet (A.M),vostanis (P), Post-traumatic stress reactions in children of war, journal of child psychology, psychiatry and allied disciplines, 1999.

28-Titchener (Jimes), Post traumatic decline : A consequence of unresolved destructive drives, New York : Brunner-Mazel

publishers, Figley (Ed), trauma & its wake (vol Π), 1986.

29- Widlöcher (Daniel), L'interprétation des dessin d'enfants, Bruxelles, dessart, 1965.

30- Yule (Williams) et al, Increased substance use in survivors of the herald of free enterprise disaster, J.med.psycho, no. 66, 1993.

ثالثاً: فهرست الجداول

رابعاً: فهرست الرسوم البيانية

خامساً: فهرست الملاحق